

أَسْرَارُ الصَّلَاةِ

تأليف :

عَلَمُ الْأَعْلَامِ ، حُجَّةُ الْإِسْلَامِ ، الْمُؤَيَّدُ بِنَأْيَيْدِ
الْمَسَلِكِ السَّلَامِ
الْمَرْحُومِ أَحْسَاجِ مِيرْزَا جَوَادِ الْمِلْكَانِيِّ الْقَبْرِيزِيِّ طَابَ ثَرَاهُ

منشورات

مؤسسة الأُعلَمِ للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٦٠



أَسْرَارُ الصَّلَاةِ



أسرار الصلاة

تأليف :

عالم الأعلام ، حجة الإسلام ، المؤيد بنأييد
المسلك العلام
المرحوم احتاج ميرزا جواد المكي التبريزي طاب ثراه



AL-Shia electronic School

منشورات

مؤسسة الأعلی للمطبوعات

ببيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة للناسر
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

المؤلف في سطور

هو الشيخ الميرزا جواد آقا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم عالم فقيه واخلاقي فاضل ورع ثقة كان في النجف الاشرف اشتغل فيها على اعلام الدين فقد اخذ مراتب السلوك عن الاخلاقي الشهير (المولى حسينقلي الهمداني) واكمل نفسه عليه وتلمذ في الفقه والاصول على العلامة الشيخ آقا رضا الهمداني وغيره من العلماء وعاد الى ايران سنة ١٣٢٠ فاستوطن دار الايمان (قم) وقام بوظائف الشرع وكان مروجاً للدين مربياً للمؤمنين الى ان توفي يوم عيد الاضحى سنة (١٣٤٣) ورثاه تلميذه الشيخ اسماعيل بن الحسين المتخلص (بتائب) بقصيدة اُرّخ في آخرها عام وفاته وسمّها بـ (القصيدة الجوادية) .

وله تصانيف منها كتاب اسرار الصلاة طبع (١٣٣٩) على الحجر وطبع ثانياً بالحروف (١٣٨١) وهو هذا الكتاب .

وله ايضاً كتاب السير الى الله المطبوع قريباً من هذه السنة في عاصمة ايران (طهران) .

وكتاب (اعمال السنة) لم يطبع بعد ونرجو المولى سبحانه ان يوفقنا لطبعه ونشره .

وأما استاذہ قدس سرہ فهو الشيخ المولى حسينقلي بن رمضان الشوندى الدرّجيني الهمداني النجفي من اعظم العلماء واکابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الاخلاق في عصره تتلمذ على الشيخ المرتضى الانصاري في الفقه والاصول وعلى حاج المولى هادي السبزواري في العلوم العقلية وعلى رجل التقوى والمعرفة السيد علي التستري قدس سرہ في التهذيب والاخلاق وفاق فيه اعلام الفن وشملته العناية الربّانية فخرج به الى اعلى مقامات الانسانيّة وكان رضوان الله عليه من ذراري الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري رحمه الله ومن اراد تفصيل ترجمته فليراجع « اعلام الشيعة الجزء الثاني من المجلد الاول ص ٦٧٤ طبع النجف الاشرف » .

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكر بعض اسرار الطهارة

أعلم أنّ الطّهارة لمّا كانت من مفاتيح ^(١) الصّلاة كما هو صريح
بعض الروايات فقدمنا الكلام في بعض ما فيها من الاسرار وفي ذلك
أبواب وفصول :

(١) كما في الوسائل باب الوضوء عن الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله : افتتح الصلوة الوضوء «الخ» وكذا عن الصدوق عن
أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .

﴿الباب ١﴾

في الإشارة الى ما يلزم على العاقل من التفكير

في هذا الحكم اجمالاً وهو ان يتفكر في حقيقتها وثمراتها وإذا عرف أنّ السعادة ظاهراً وباطناً في النظافة ، وتفكر فيما ورد فيها من الآيات القرآنية لا سيما قوله تعالى ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ ، ويضمّ على ذلك قوله تعالى^(١) : ﴿ والله يحب المتطهرين ﴾ ، ويعقل معنى حبّ الله ، وأنّه أو ثمرته كشف الحجب عن قلب العبد ، فيلقى به كلّ نور ، وسعادة ، ثمّ في قوله^(٢) ﴿ الطهور نصف الايمان ﴾ ، فيستشعر من ذلك أنّ المراد من الطهور إنّما هو التخلّي ، والتنظيف من موجبات الاكدار ، والقذارات عن الظاهر والباطن ، ويكون النصف الآخر من الايمان عبارة عن التخلّي ، والتزيّن بالفواضل ، والفضائل في الظاهر ، والباطن ، مثلاً طهارة البدن بالوضوء ، واجتناب المعاصي وحليته بالعطر والاعمال الصالحة ، وطهارة القلب بتزكيته عن الاخلاق الرذيلة ، وحليته بالتخلّق بالاخلاق الحسنة ، وطهارة السر بنسيان ما سوى الله ، وحليته بذكر الله ، وبعبارة اخرى نفي

(١) التوبة : الآية ١٠٨

(٢) وسائل الشيعة باب الوضوء عن ابي عبد السلام قال : الوضوء شطر

الايمان .

الموهوم . وصحو المعلوم ، وكشف سبحات الجمال .

فان قلت: الطَّهارة^(١) تطلق في عرف الفقهاء بالتنظيف عن
الاخباث ، والاحداث ، فمن اين يستشعر ان المراد منها هذا المعنى
العام .

قلت : يستشعر ذلك من النقل والعقل : اما النقل فيكيفك قوله
تعالى في سورة والشمس بعد تلك الاقسام العظيمة : ﴿ قد أفلح من
زكَّيها ، وقد خاب من دسَّيها ﴾ وهذا التأكيد العظيم ، إنما يدل على ان
الأمر في طهارة القلب اهمّ بمراتب عن طهارة البدن ، والمناسب من
الطهارة بكونها نصف الايمان هو الالهم ، وسيأتي في أخبار الباب ما يدل
على ذلك صريحاً وأما العقل فانت إذا تأملت في لطفه تعالى ثم في طلبه
منك طهارة مكانك الذي هو مجاور لك ، ثم لباسك الذي هو ملاصق
لبدنتك ، ثم بدنتك الذي هو قشر لحقيقتك ، تعلم من ذلك بالعلم
القطعي انه لا يهمل طهارة قلبك ، وسرك من الاقدار ، والارجاس
المعنوية ، التي لا يقاس خبثها ، ورجاستها على الارجاس الظاهرية
بوجه .

(١) كما ذكروه في تعريف الطهارة .

﴿الباب ٢﴾

في التخلي وفيه فصول

الفصل الأول

في آدابها الظاهرية وجوبا واستحبابا وهي امور :

منها أن يجلس بحيث لا يرى عورته من يحرم نظره إليها ، والاولى في ذلك أن يستر من السرة إلى نصف الساق .

ومنها غسل مخرج البول بالماء ، والغايط بالاستجمار أولاً ، ثم بالماء .

ومنها ارتياد^(١) الموضع المناسب .

ومنها تغطية الرأس اقراراً بأنه غير مبرء نفسه من العيوب ، ولثلاً تصل الرائحة الكريهة إلى دماغه ، متقنعاً إظهاراً للحياء من الملائكة الحاضرين .

ومنها تقديم الرجل اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج .

ومنها التسمية ، والدعاء عند الدخول يقول : «بسم الله وبالله أعوذ بالله من الرجس^(٢) ، النجس ، الخبيث المخبث الشيطان الرجيم» ، وعند

(١) الارتياح : طلب الشيء وتفقد ما فيه من الصلاح .

(٢) الرجس : يطلق على القذارات الباطنية والنجس بالعكس والنجس بفتح الجيم وكسرهما كلاهما صحيح .

والمخبث بصيغة الفاعل هو الذي اصحابه واعوانه خبيثاء .

الفعل «اللهم اذهب عني الازى وهناني طعامي»، وعند الاستنجاء : «اللهم حصن فرجي واستر عورتى ، وحرّمها على النار ووفقني لما يقرب منك يا ذا الجلال والاكرام» وعند القيام ، وامرار اليد على البطن : الحمد لله الذي اماط عني الازى ، وهنّاني طعامي ، وشرابي ، وعافاني من البلوى»، وعند الخروج « الحمد لله الذي عرّفني لذّته ، وأبقى في جسدي قوته ، واخرج عني اذىً يا لها نعمة ، يا لها نعمة ، يا لها نعمة ، لا يقدر القادرون قدرها » .

ومنها الاستبراء .

ومنها أن يتقي موارد المياه والطرق النافذة ، ومساقط الثمار ، ومواطن النزال ، ومواضع اللّعن ، وهي أبواب الدّور ، وعلى القبر وفي افنية المساجد أربعون ذراعاً في أربعين ذراعاً ، وفي الماء الجاري ، والرّاكد ، ويتأكد في الثاني ، واستقبال القبلة واستدبارها بالبدن ، واستقبال الريح ، واستدبارها واستقبال النّيرين بالفرج والبول ، والبول في الصّلبة ، وقائماً ومطمحاً من الشيء المرتفع ، يرميه في الهواء ، وفي ثقبوب الحيوانات ، وطول الجلوس على الخلاء والاكل عليه ، والشرب والسواك والتكلم إلا لضرورة أو الذكر والاستنجاء باليمنى ، ومسّ الذكر بها بعد البول ، والاستنجاء باليسار ، وفيها خاتم عليه اسم الله ، ودخول الخلاء ، وهو عليه ، كلّ ذلك للنصّ ، أو شيء من أسماء النّبىّ (ص) ، والأئمة (ع) ، أو القرآن الحاقاً لها باسم الله .

= وقيل : هو الذي ينسب الناس الى الخبث .

وقيل : هو الذي يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه ، ذكره الزخشرى في (الفائق)
اقول : ويمكن ان يقرء بصيغة المفعول بمعنى من تأكد وتراكم فيه الخبائة فيدبر . وهذا الدعاء ورد في كتب العامة والخاصة .

الفصل الثاني

في عبره بالخصوص :

أولها أن يتفكر في عظم لطف الله ، وأنه ما رضي أن يهمل هذه الامة في الغفلة من فوائد الحكمة ، والذكر ، والدعاء ، والعبر في مثل هذه الاحوال ، من جزئيات حركاته ، وسكناته فيستشهد منه على عدم اهماله في الاعمال الشامخة ، والاحوال العالية من صلاته ، وصومه ونحوهما ، ويصدق ما ورد^(١) عن رسوله (ص) : أنه ما من شيء يقربكم من الله والجنة ، ولا يبعدكم من الله ، ويقربكم إلى النار ، الا وقد بينته لكم ، حتى الارش في الخدش ، ويبالغ في تفهم اعماله السابقة المؤثرة في توفيقه بمراقبة هذا الحال ، وذلك يلزمه في جميع الأعمال ، وإن في معرفة ذلك خيراً كثيراً لكل عبد مراقب ، انفتح له هذا الباب ، مثلاً اذ وفق الانسان لموافقة مراد الله في جميع وجوه الحكمة ، والذكر ، والتوجه ، والدعاء ، والعبرة في تخليته . فإنه يؤثر في التوفيق في غيره ، من حركاته ، وسكناته مما يناسبه فيأتي به على وفق مراد الله ، وهكذا ، إلا أن يمنع منه مانع ، وهو أيضاً من أثر عمل بدني ، أو قلبي سابق أو حاضر ، وإذا راقب الانسان في هذه الاثار من أعماله ، يورث ذلك

(١) كما في خطبة حجة الوداع عند نزوله في غدير خم المشهورة .

خيرات كثيرة في تصحيح أعماله ، وإذا صحَّ العمل ، وخلص من الافات ، فله صور عالية عينية في البرزخ والقيامة ، غير صورته التي في هذا العالم ، كصورة شاب حسن مؤانس لصاحبه ، وكصورة نعم الجنة ، والعلم بتفصيل هذا الاجمال وتصديقه يستدعي رسم امور :

منها انَّ لكلَّ شيء^(١) سبباً حتّى ينتهي إلى مسبب الاسباب وعلة العلل .

ومنها انَّ بين كلِّ علة ومعلولها مناسبة خاصّة .

ومنها انَّ لكل^(٢) موجود في هذا العالم من الاعيان والاحوال ، وجود في العوالم العالية السابقة ، بصور يناسب ذلك العالم .

ومنها انَّ لها أيضاً وجود أو أثراً في البرزخ ، والقيامة من العوالم المتعقبة بوجود ، وصورة تناسبها .

ومنها انَّ العمالة في حفظ العوالم كلّها ، أو جلها ، وربط بعضها ببعض وأفاضة خيرات الله تعالى في ممالكه تسمّى ملائكة .

ومنها انَّ جميع حركات الانسان ، وسكناته الاختيارية منشأه عزمه وارادته ، وحبّه وبغضه ، واستشعار السعادة والشقاوة ، وبالجملّة جميع حركات الاعضاء وسكناته ناشئة من أثر أحوال القلب ، وصفاته وأحوال القلب أيضاً منشأه ، أمّا ما يؤثّر فيه من الظاهر من أعمال الجوارح ، لا سيّما الحواس أو من الباطن فالخيال ، والشهوة والغضب ، والاخلاق المركّبة في مزاج الانسان فإنّه إذا أدرك بحواسه شيئاً ، حصل منه أثر في القلب ، ان خيراً فنور ، وصفاء ، وان شراً فظلمة ، وكدر ، وكذا إذا حاجت الشهوة مثلاً بكثرة الاكل ، وبقوّة المزاج ، فإنّ لها أثراً في القلب وهذه الاثار تبقى ، وتؤثّر في إنتقال الخيال من شيء إلى شيء ، وبحسب

(١) كل ذلك مذكور في العلم الالهي ومبرهن عليها .

(٢) في السلسلة النزولية كما ان تاليه في السلسلة الصعودية .

إنّقالها ينتقل القلب من حال إلى حال ، والقلب دائماً في التغيّر ، والتأثر ممّا يرد عليه من آثار الأسباب ، المذكورة ، وأخصّ الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر ، واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الاخطار ، والاذكار أمّا على سبيل التجدّد ، او التذكّر ، ومنها يحصل الشّوق والنّفور ، ومنها ينبعث إرادة الجلب والدّفع ، فإنّ النّية والارادة والعزم ، إنّما يحصل بتأثير الخواطر ، فمبدء الافعال الخواطر ، وهي تحرّك الرّغبة والرّغبة ، تحرّك النّية ، والعزم ، والعزم يحرك العضلات ، وهي تحرّك الاعضاء ، فيحصل منها الافعال .

ثمّ الخاطر على قسمين : قسم يدعو إلى الشرّ وهو ما يضرّ بضرر لا ينتج خيراً أقوى منه .

وقسم يدعو إلى خير لا ينتج ضرراً لا خير فيه أزيد من ضرره .

فالخاطر المحمود الدّاعي إلى الخير يفيضه الباري تعالى بوساطة الملك ويسمّى هو الهامّ ، وأنّذي يدعو إلى الشرّ بوساطة الشّيطان ، ويسمى هو وسوسة .

واللطف الّذي يتهيأ به القلب لالهام الملك ، وقبول الهامه يسمّى توفيقاً .

والّذي يتهيأ به لوسوسة الشّيطان ، وقبول وسوسته يسمّى خذلاناً .

فالملك خلق خلقه الله تعالى لافاضة الخيرات ، من العلم وكشف الحق ، والوعد بالمعروف .

والشّيطان خلق خلقه الله ، شأنه الوعد بالشرّ ، والامر بالفحشاء ، والتخويف عند الهَمّ بالخير وبالفقر والفحشاء .

والقلب دائماً متجاذب بينهما ، فاذا عرفت ذلك بوجدانك ، تعرف قطعاً أنّ للاعمال بدنياً كان أو قلبياً ، تأثيراً في التّوفيق والخذلان ، ولهما

تأثيراً في الإلهام وقبوله ، والوسوسة وقبولها ، وهما منشأ الأفعال والحركات المتعقبة ، فإذا واطب عبد موفق قلبه . وراقب ربه يعلم من حاله الحاضر ، وتهيؤ أسباب الخير ، وأسباب الشرّ نور أعماله السابقة ، وظلمته ويستشهد منه لما يأتي عليه ، ويتلى به من التوفيق والخذلان في أحواله الآتية ، فيؤثر هذه المراقبة والمواظبة مع هذه المعرفة ، أن يتدارك ما سبق بالاستغفار . والتوبة ، ويغيّر ما يأتي بالاستعاذة والدعاء ، وهذا هو الوجه فيما وصيت به من المبالغة في تفهّم آثار الاعمال ، ومن وقّ لذلك الخير يجد خير المحاسبة التي فيها ورد عن الائمة (ع) : ان ليس منّا من لم يحاسب نفسه .

وثالثها : ان يتذكّر بتخليته لقضاء الحاجة ، نقصه واحتياجه وما يشتمل عليه من الاقدار وإنّه كيف يستسلم لتحمل ما يتأذى به في دفع ما أورثه أكله وشربه من القذارات ، والعفونات ولا يتوقّع من الله جلّ جلاله أن يبدّل حكمته فيما أودع مخلوقاته استعداد ذواتها من الصفات ، والتأثيرات ، ولا ينتظر أن يكون ريح قاذوراته طيبة ، فكذلك ليس له أن يتوقّع مثل ذلك فيما أودعه في الاعمال القبيحة من التأثيرات ، ويتنظر أن يكون نتيجة ظلمة مثلاً نور فإنّ أثر الظلم ليس^(١) إلّا الظلمة ، فلا محلّ لانتظار انتاجه النور فكيف يعد الانسان من زرع حنظلا ، ويتنظر أن يحصل سكرًا منه ، ورزقاً حسناً سفيهاً فكذلك فليحذر المسكين ، أن يكون هو هذا السّفيه والاحمق .

ان قلت : فعلى ما ذكرت فأين الرّجاء ؟ وأين قوله (ص) يا مبدل السيئات^(٢) بأضعافها من الحسنات ؟

(١) كما في الكافي باب الظلم عن رسول الله اتقوا الظلم من ظلمات يوم القيامة .

(٢) كما في الدعاء والآية الشريفة : ﴿ اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ .

قلت : هذا الايراد أيضاً من الجهل ، فإنَّ الرَّجاءَ^(١) غير الآمال ، والآمال غير الأمانى ، والأمانى غير الحق هذه مراتب انتظار الخير .

فمن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقى زرعه عند اقتضائه ما يقتضيه السقي ، وواظب تعهده بما هو معمول فيه . وانتظر من الله أن ينبت زرع ، ويعطيه من هذا الزرع أجود ما يحصد من أمثال هذا الزرع ، فهذا هو الرجاء .

ومن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقاه بعض سقيه ، وانتظر أن يكمل سقيه بالانتظار الذي ينتظر مثلها إلا في بعض السنين فهو مؤمل .

وأما من زرع مثل زرع ولم يسقه أبداً وانتظر أمطاراً تسقيه ، وكان ذلك في بلد لم ير فيه مثل هذه الامطار ، لا يعدّ انتظاره للزراع الصالح الطيب رجاء ولا أملاً بل أمنية .

ومن زرع شعيراً ولم يتعاهد زرعه أبداً ، وانتظر أن يحصد حنطة ، فهذا هو الحق والسفه .

وأما قوله (ع) يا مبدل السّئات بأضعافها من الحسنات ، فإنه ليس من قبيل ما يجري من طرق الاسباب المتعارفة ، ولكن له أيضاً سبباً لطيفاً معنوياً ، طرف منه بيد المكلف ، وهو أن لا يرى الخير من الاسباب ، بل ولا الشرّ ، ولا يكون عنده ضار ولا نافع إلا الله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة فيتوسّل بدعائه إلى باب فضله ، ليستجلب خيره من باب العناية المحضة ولكن ذلك إنّما يجري لا محالة فيمن يعتقد هذه الصّفة في الله ، وهذا الانسان المعتقد لرّبّه هذه الكريمة ، لا يتفاوت حاله فيما يرجوه من ربّه من تبديل السّئات بالحسنات في الامور الدنيويّة ، والاخرويّة كليهما وأنت إذا أشتبّه عليك انك تعتقد في ربّك هذه الصّفة ، وصادق في عقيدتك ، فأمتحن نفسك الغرور في شيء من

(١) فسرّه قدّه في ذيل كلامه .

محاوِجك الدُّنيويَّة ، هل تترك التَّوسل إليه من الاسباب ؟ لا سيَّما الاسباب البعيدة الَّتِي زجر الشَّارع عن التَّمسِّك بها وتتوكَّل على الله ؟ ام لا فاذاً تعرف أنَّك لست بصادق في دعويك بأنَّ الله مبدِّل السَّيِّئات بأضعافها من الحسنات فدع الایراد لمن يعتقد ذلك صادقاً وأنَّ يذكِّر ممَّا يراه من تبدُّل المطاعم ، والمشارب بالاقذار ، والادناس سائر التَّغْيِرات الواردة عليها . وعلى سائر حطام الدُّنيا الَّتِي يعشق عليها ويقتل نفسه في حسراتها ويستشعر من ذلك هوان الدُّنيا وخسَّتها وإلى مجمل ما ذكرنا وغيرها يشير .

ما في مصباح الشَّريعة .

قال الصادق (ع) • سَمِيَ المستراح مستراحاً لاستراحة النَّفوس من اثقال النَّجاسات ، وإستفراغ الكثافات والقدر فيها ، والمؤمن يعتبر عندها أنَّ الخالص من حطام الدُّنيا كذلك يصير عاقبته ، فيستريح بالعدول عنها فيتركها ويفرِّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه من النَّجاسة والغايط والقدر ، ويتفكَّر في نفسه المكرَّمة في حال ، كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أنَّ التَّمسِّك بالقناعة والتَّقوى يورث له راحة الدَّارين فإنَّ الراحة في هوان الدُّنيا والفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النَّجاسة من الحرام والشبهة ، فيغلِّق على نفسه باب الكبر بعد معرفته أيَّاه ، ويفرِّ من الذَّنوب ويفتح باب التَّواضع ، والنَّدَم ، والحياء ويجتهد في اداء أوامره وإجتنب نواهيه طلباً لحسن المآب ، وطيب النَّفس ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصَّبر ، والكف عن الشَّهوات إلى أن يتَّصل بامان الله في دار القرار ، ويدوق طعم رضاه ، فإنَّ المعقول ذلك ، ما عداه لا شيء .

أقول : أوَّل المراد أنَّ المؤمن عند ما رأى أنَّه إذا تلذَّذ قليلاً بخالص حطام الدُّنيا ، فصار عاقبته إلى ما تأذَّى منه ، ومن آفته ، ولم يسترح إلَّا بدفعه وأنَّه صار سبباً لوقوعه ، في هذه الدَّلة فيعلم منه أنَّ

عاقبة لذات الدنيا إنما هو ذلك فيترك التلذذ بها ، وجمعها إلا بقدر الضرورة ، طلباً للاستراحة القلبية والنفسية بالفراغ من ثقل تعلّقها ، في الحلال منها ، واذى حرامها ، وشبهاتها ، فيتّقي عنها اتقائه من النجاسات ، ويعلم عجزه ، واضطراره بالطبع إلى ذلّة التّحمّل بدفع أذى ما يضطرّ إليه ممّا به قوامه ، وبقائه فيترك التّكبر ويتواضع ويندم على ما فرط في ذلك من قبل ، ويستحيي عن ربّه في ترك إجابة وصاياه ، فيما يتعلّق بطهارته ، وراحته ويقطع بأنّ هذه اللذات الدنية الدنيوية يجب الصبر عنها لسوء عاقبتها ، وأنّ اللذة الخالصة الحقيقية لا توجد في حطام الدنيا ، فاللذة بعد الوصول بامان الله في دار القرار في طعم رضاء الله جلّ جلاله .

ورابعها : أن يتفكّر في لطيف صنع الله تعالى به ، في بناء أعضائه كيف وضع في تعديل صورته ، عورته في موضع مناسب لها ، ويعرف وجوه حكمة كونها في هذا المحلّ ، من تيسر دفع الأذى ، والتطهير مع قربه عن مستقرّ الاقدار وكونه تحت المعدة ، وفي استر موضع من بدنه ، كما قال الصادق في توحيد المفضل بقوله : اعتبر يا مفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه وتسهيل خروج الاذى ، أو ليس في خلق التقدير في البناء ، ان يكون الخلاء في استر موضع منها ، فكذلك جعل الله تعالى المنفذ المهيأ للخلا من الانسان في استر المواضع ولم يجعله بارزاً من خلفه ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيب في موضع غائض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ، ويحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيوار يانه إذا احتاج الانسان ، وجلس مصباً مهيأً تلك الجلسة ، القي ذلك المتقدّر منه لانحدار الثقل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ، ولا يحصى نعمائوه فعلى العبد بعد معرفة ذلك الفضل في ستر عورته ، أن يستحيي لامحالة من ظهور سوء الصفات الرذيلة منه . التي هي عورات في الحقيقة لروحه ونفسه فيسترها عن الظهور والبروز في الاعمال والافعال .

وخامسها : أن يتفكر في نعمة الله في خلق أسباب التطهير من الماء ، وجه الارض ، وكثرتهما ، وبذلتهما .

وسادسها : أن يتفكر في منّة الله على هذه الامة بالسّاحة السّهلة ، من الشريعة فلا يكفرها بتجاوز حدود الله تعالى بالوسوسة ، والتضييق على نفسه فأَنَّ الوسوسة من أضر الصفات ، والامراض القلبية ويتأدّب من أئمة الدّين حيث لم يجوزوا لنا المبالغة في الاحتياط في هذا الباب بل زجروا عنه بالقول والفعل وإذا عرف الانسان الاداب الواردة في الاخبار بالنسبة إلى التّطهير ، علم أنّ الاحتياط الذي شرعوه في سائر المقامات ، زاجروا عنه في هذه المسألة بخصوصها ، وعرف وجه الفرق ، وعلم منه ميزان جزئيات احكام الشرع المقدّس وإنّها في آية درجة من الحكمة .

ولا بأس أن نذكر ما سنح بخاطرنا من وجه الفرق ، وهو إنّ الطهارة والنجاسة ليست لها كسائر الاحكام اهمية لقلّة تعلّقها بالجهات القلبية ، والاحتياط فيها موافقة لطباع أهل الدّنيا فلا يشكل عليهم المبالغة فيها لاجل موافقة طباعهم وأمّا الاحتياط في حقوق الغير من المال والجاه ، والامور التّعبديّة التي يعسر للعاقل التّعبّد بها ، فهي من الامور المهمّة المؤثّرة في الجهات القلبية والعمل بالاحتياط فيها مخالف لطباع أهل الهوى فصار لحاظ ضرر الوسواس فيها الزم من لحاظ الاحتياط والدليل على ما ذكرناه من أن الاحتياط فيها موافق لاغلب الطباع بخلاف سائر الاحكام ما تراه بالعيان أنّ الوسوسة فيها مع زجر الشارع من زيادة الاحتياط أكثر ممّا منع عنه في غيرها بين الناس بمراتب الا ترى أنّه لا يوجد من يوسوس في اداء قروضه فيؤدّي ثلث مرّات ولكن ترى أكثر الناس يوسوس في عدم اسباغ الماء في الوضوء وتطهير الاعضاء فيغسل أكثر من ثلثين مرّة وهذا هو الوجه في الفرق ولعلّ له وجوها غيره .

وسابعها : أن يتفطن في حكم الشرع في التطهير من الاخبات الظاهرية هذه الدّرجة لدرجة أهميّة تطهير القلب عنده بل الذي يظهر من

بعض الاخبار مثل ما يأتي من رواية مصباح الشريعة في أسرار السواك ومثل ما حكوا (ع) من مواعظ عيسى (ع) وسنشير إليهما انشاء الله أن المقصود الاهم من هذه الاحكام التنبيه والايقاز لامر الباطن وإن كانت هي في أنفسها أيضاً مطلوبات للشارع ولها تأثيرات أيضاً في طهارة القلب كما يجده أرباب القلوب من الفرق بين حال الحدث والطهارة في قلوبهم .

ثم أن للقاضي سعيد القمي كلاماً في المتخلي لا بأس بنقله ، قال لما كان الله دعى العبد في صلاته إلى قرب ، ومناجاته فينبغي للعبد ان يميظ عن نفسه كل اذى ، ووسخ يبعده عن ربّه ، فمن ذلك تطهير جوفه بتخليته عن فضلة طعامه وشرابه التي هي رجز الشيطان ، حيث لم يكن لها في تلك المدينة منفعة ، بل هي مثيرة للفتن ، والعلل ومنشأ الآلام ، والاسقام في هذا الهيكل ويغسل موضع خروجها حتى لا يبقى أثر من آثارها ، أما بالماء الذي هو أصل الحياة إذ الموضع لاقى الميت البعيد عن تصرف الروح فيه أو الاستجمار حيث كان الحجر آلة لدفع كل ما يقصد تبعيده فيقوي بذلك على التطهير من رؤية الاسباب ، والمسببات كما هو فائدة الوضوء ويصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الادناس ، وللبرائة من نفسه ومن الناس لنزول سلطان القرب بلا قياس .

أقول : ولقد أفاد ، واجاد شكر الله سعيه ، ولكن لو بدّل ما ذكره في تأويل الاستجمار بقوله أو بالتواضع بمسّ الارض ليستعد بالفناء عن انيته لدرك الطهارة من الله ذي الجلال ، كان أولى ، إذ الاستجمار ليس منحصرأً بالاحجار بل بمطلق الأرض وما يخرج منها أيضاً على اختلاف الفتاوى .

ثم ان أراد العبد ان يتم مراقبته في الفكر فليتكّر في بعض آدابها مثل التقنّع والذكر .

فان التقنع للحياء من الملائكة لما رواه^(١) في البحار عن المجالس ، والمكارم في وصية النبي (ص) لابي ذر قال (ع) يا أبا ذر استحي من الله تعالى ، والذي نفسي بيده لا ظلّ حين اذهب الى الغائط متقنّاً بثوبي استحياء من الملكين الذين معي إلى أن قال استحي من الله حقّ الحياء .

وإذا تفكر الانسان في هذا الحكم ، وهذه الرواية ، وعلم حقيقة الحياء ، واستحي من ربّه حقّ الحياء ، يسلم بذلك عن حياء ، ويوم العرض على الله ومن عذابه وقد روى عن الصادق عليه السلام ما معناه : أنّه لو علم الناس ما في حياء العرض على الله لما سكنوا العمران ، واختاروا رؤوس الجبال وما اكلوا وما شربوا ، الا عن اضطرار وقد نقلته بالمعنى ، ولا يحضرني لفظ الرواية وان شئت ان تعلم لم هذا الامر ، فاعلم إنّ شدة الحياء يكون من شدة القبح في العمل ومن كثرة العمل ، القبح وشدة القبح لها أسباب وجميع أسبابها موجودة بما لا يتناهي في قبائح أعمال العبد مع خالقه ، ووجه ذلك يعلم بالقياس إلى القبائح المعمولة بين الناس ، فان الانسان إذا أتى بمنكر وخلاف لرجل فله قبح ما في نظر العقلاء وعليه الحياء من الرجل بقدر ذلك القبح وإذا كان الرجل من معارفه يزيد قبح هذا الخلاف والحياء وإذا كان من الاشخاص الاجلاء يزيد درجة القبح والحياء فكلما يزيد الجلالة في الرجل يزيد القبح والحياء حتّى يصل إلى أجل رجل في العالم فكيف اذا فرض ذلك مع من لا نهاية لعظمته وجلاله فان قبح كل خلاف ومنكر بالنسبة إليه في درجة غير متناهية وأيضاً اذا فرض لهذا الرجل ولاية له في جهة من الجهات فإنّ ذلك يزيد في قبح الخلاف وفي الحياء فهي أيضاً تزداد بزيادة

(١) كما في الوسائل باب استحباب تغطية الرأس والتقنع عند قضاء الحاجة .

الجهات ، حتّى ينتهي إلى ولاية الایجاد وأيضاً إذا فرض زيادة على ذلك كونه منعماً على هذا المخالف ، فانه أيضاً يزيد في قبج المخالفة والحياء وذلك أيضاً يزداد حتّى يصل إلى ما لا يحصى من النعم وأيضاً إذا فرض للمخالف جناية غير هذا أيضاً فانه يزيد في جهة القبج والحياء وذلك أيضاً يزداد حتّى يصل إلى جنایات لا تعدّ ولا تحصى وبالجمله إذا جاء يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لا يحسبون وبدا لهم سيئات أعمالهم ووجد كل امرء ما عمل محضراً فحينئذ ينكشف حقائق الامور ويعلم ميزان الحسنات والسيئات وفرضنا إنّ هذا الربّ العطوف طالب عبداً عن عباده واجب حقّه من شكر نعمه وقال : يا عبدي ألم تك عدماً محضاً فأوجدتك؟ من غير ان انتفع بوجودك وایجادك بل لمحض انتفاعك مني وجعلت كلّ مملكتي وجميع ممالك يخدمونك في محاييجك وكمالاتك من قبل وجودك ولم يمنعي معصيتك لي في جميع نعمي التي لا تحصى بالكفران ، عن ان احفظك وجميع ما أنعمت به عليك ، من رزقك واعزازك وتربيتك وكمالاتك في جميع وجوه نعمي عليك ، وادعوك باللطف وحسن الطلب حتّى ارسلت إليك في كلّ ليلة ملكاً كريماً ، يدعوك إلى التوبة ويعدك عني قبولها ، ويخبرك اني اجيبك إذا دعوتني ، وافرح بتوبتك اشد فرح ويدعوك إلى انسي ومناجاتي وقربي ووصالي وأنت تردّ رسولي وتطيع عدوي ومع ذلك كلّ لا أمنع عنك نعمتي ورحمتي وحسن صنعي بك ولا يزيد ذلك كلّ لك إلّا اعراضاً عني وإدباراً مني ولي إلّا تلطفاً لك وانعاماً عليك واصراراً في دعوتك وحسن طلبك حتّى بلغ الامر إلى أن صار الوقت الليلة الفلانية مثلاً أرسلت إليك واحداً من عيالي وفقراء عبيدي وإمائي يسألك شيئاً من نعمي العظيمة الموجودة عندك وقد اخبرتك قبل ذلك إنّك أن اعطيته شيئاً فقد اقرضتني وأنا الآخذ منك والمؤدّي لك احوج ما تكون عليه من الحال وان رددته رددتني فكفرت بنعمتي عليك ولم تعطه شيئاً ورجع من عندك خائباً ونام جائعاً يا عبدي لأي شيء رددتني وما اقرضتني اخفت لي

الفقر او خفت ان اخونك واكذب لك في مواعدي عبيدي لاي شيء كنت تعامل عبيدي وامائي معاملة الوفاء ولم تعاملني معاملتك معهم فكيف صرت أهون عليك من جميع مخلوقاتي وعبيدي ، وما كنت تستحي من الاعراض عن اعدائك إذا أقبلوا عليك بصورهم وان علمت عداوتهم لك في قلوبهم ولا تستحي مني وقد علمت اقبالي عليك منذ خلقتك وقبل خلقك بايجاد مواد نعمي عليك وانتاج فروعها وحفظها حتى تنتفع منها حين حاجتك فتكفر لي فاني قد خلقت لأجلك سماء وأرضاً وشمساً وقمرأ وماء وتراباً وملائكة قبل خلقك كلهم يعملون لك ويخدمونك في اصول نعمي عليك من مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك وغيرها مما لا يعد ولا يحصى من النعم وكيف لا تستحي مني في اعراضك عني بعد هذا الاقبال التام والانعام العام والتحبب الكامل واللطف الفاضل فتبغض إلي بالذنوب والمعاصي وطاعة عدوي ، وبالجمله إذا كان يوم تبلي السرائر وكشف للانسان عن حقيقة نفسه ورأى ما كسب فيها من تفاصيل هذه الاحوال وهذه المخالفات والكفوان والتبغض مع هذا الرب الرؤوف والملك الجبار المنعم العطوف حصل له ما ذكره الامام من الحياء والخجل والافتضاح وتألم منه فوق تألمه من النار كما اشير إلى ذلك في بعض الاخبار ان الله يقول لبعض عبيده يوم القيامة أما فعلت أما فعلت حتى يحصل له من الخجل ما يستدعي منه جل جلاله ان يأمره إلى النار ليخلص بها من شدة الم هذا الخجل ولا يذهب عليك ان عدم حياتنا اليوم عما نحن فيه من مسائة الحال وقبائح الاعمال وحياتنا يوم القيامة لوجوه لا تخفى على المتأمل اولها جهلنا في الدنيا بمبلغ نعم الله التي لا تحصى من وجوه عديدة وثانيها جهلنا بجميع مسائنا وافعالنا القبيحة ودرجة قبحها وثالثها وهو العمدة ضعف الايمان بمقامات الدين من العلم بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وكتبه وشرائعه وأما في القيامة فيكون الغيب عياناً ويكون العيد حاضراً عند ربه ويكشف له عن جزئيات نعم الله الظاهرية والباطنية كلها بحيث يراها ويرى أنها من الله ويكشف لجميع

جزئيات سيئاته وقبائح أعماله وسيئاته التي لا تحصى أيضاً بالكشف
 الالهي ويكون الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله شهوداً وعياناً ويرى عباد
 الله المتقين المراقبين في معاملتهم مع ربهم باحسن المراقبات فيخجل لا
 محالة لنظير ما يراه كل واحد منّا في مخازي التي عند حضور الاشهاد من
 أعيانها فان من كان له شوهة في وجهه أو جرح قبيح عليه أو كان
 مكشوف العورة أو خلق الثياب او كان مكشوف الرأس يخجل من حضور
 مجلس أعيان بلده او رآه أحد وهو يأكل الخبزة أو شيئاً ردياً لا يأكله
 الناس مثل الميتة فلا محالة يستحي عمن رآه في ذلك الحال وليس
 الحياء في اختيار الانسان لأنه صفة انفعالية منشأها استشعار انكشاف
 صفة قبح في النفس عند الغير لا سيما إذا كان ممن يعرفه ويخلف هذا
 التأثير في القبائح الشرعية عدم الاعتقاد بقبحها أولاً فان المغتاب لا يرى
 الغيبة اكلاً للحم الميت وان سمعه من لسان الانبياء يفرضه امرأ خيالياً
 من باب الامثلة مخالفاً للعيان وهكذا لا يرى غضبه مغيراً لصورته الانسانية
 إلى صورة الكلب ولا يرى معاصيه شوهة لوجه روحه ثم أنه لا يرى
 حضور ربه عياناً بل شيئاً سمعه وغفل عنه فإنه لا يورث الحياء وأما إذا
 كان يوم القيامة يرى ربه حاضراً والانبياء والملائكة والمؤمنين شهوداً
 مكرمين على هيئات حسنة عليهم ثياب النور مقدسين من كل شين وعلى
 رؤوسهم تاج الكرامة قد غشيهم النور وجوههم ناضرة مستبشرة ورأى نفسه
 اشعث أغبر عليه ثياب خلقة ممزقة بل مقدرة وعلى بدنه جراحات منكرة
 يسيل منها الصديد^(١) بل رأى وجهه ممسوخاً على وجه الخنازير وبدنه
 على صورة القردة قد غشيه ظلمة الذنوب ورأى برأى العين أنّ اللطيف
 تعالى امره أن يختار زيّ الانبياء المقربين والشهداء والصالحين وصورة
 هؤلاء المكرمين وهو بنفسه اختار هذه الهيئة القبيحة والصورة المنكرة فلا
 محالة يخجل ويستحي مما أوقع نفسه فيه واختاره من الزيّ القبيح

(١) الصديد : بالفتح القبح المختلط بالدم .

ويتحسّر من مخالفة ربّه الكريم الرحيم .

فاذا تمهّد لك ذلك فتفكّر في نفسك حضورك في يوم عظيم
ومحضر عظيم لامر عظيم وظهور سلطان الله الذي لا يقدر قدره القادرون
ويعجز عن درك شدّته العالمون وحزنك في مثل هذا المقام الهائل
وافرض أهواله وانكاله وعتابه وخطابه وحيائه وحسرتة وحرارته وفزع
وجوعه وعطشه وعرقه وخصمائه وزبانيته ثم تفكّر فيما أنت عليه في هذه
الدنيا في عالم التكليف ، من لطفه وعزّته وشرفه ، ونعمه وتأمل في
معاملة سلطان المعاد معك في هذا المقام ، وتشريفك بخلع التكاليف
الجميلة وإكرامك بدعوتك لك إلى مناجاته ، ومجلس انسه وقربه
وجواره ، بهذه الكيفيّات الجميلة ، وتأمل في قوله : أنا افرح^(١) بتوبة
عبي من رجل ضلّ مركبه وزاده في سفره ، ويأس منه ونام مسلماً
نفسه للهلاك ، ثم استيقظ ورأى مركوبه ، وزاده حاضراً عنده .

وفي قوله الكريم في الحديث القدسي : لو علم المدبرون عني
كيف انتظاري بهم ، وشوقي إلى توبتهم ، لماتوا شوقاً إليّ ولتفرقت
أوصالهم من أجل محبّتي .

وقوله : يا عيسى كم اطيل النّظر ، واحسن الطّلب ، والقوم لا
يرجون .

وقوله : عبي بحقّك عليّ إنّي أحبّك ، فبحقّي عليك احبّني .

وقوله : بلسان الملك الداعي . أنا جليس من جالسيني ، أنا ذاكر
من ذكرني ، أنا غافر من استغفرني ، أنا مطيع من أطاعني ، وأمثال
ذلك ، ثم تأمل بماذا ، وبأيّ لذّة ولأيّ كرامة ترضى تبديل هذه
التشريفات الفاخرة ، بمخازي يوم القيامة ، وانظر إلى ما روى من ذلك .

(١) كما في اصول الكافي في باب التوبة .

في قول مالك بعد إلحاح ألف سنة : أنكم ^(١) ماكنون .

وقول الجبار تعالى : اخسثوا ^(٢) ولا تكلمون ، وانظر في قيامك لصلاتك في الدنيا ، يحقّك الملائكة من قدمك إلى عنان السماء ، وينظر عليك الجبار بنظر اللطف ، ويجيبك فيما تقوله من قليل وكثير ، وباهي بك ملائكة المقربين ، ويقول في كلّ ما تعمله في صلاتك من استقبالك إلى سلامك : أما ترون عبدي ، أما ترون عبدي ؟ ويعد لكل واحد من ذلك كرامةً لك ، وقبوله وجزاءه ورضاه ومقامك يوم العرض على الله مكبلاً ، مغلولاً ازرق العين ، أسود الوجه ، مصفداً مقترناً مع شيطان ، يقال لك : يا غادر ، يا فاجر ، يا مرائي أما استحييت مني ؟ ثم يصدر من سلطان جلال الله خطاب خذوه ^(٣) فغلّوه ، ثم الجحيم صلّوه ، ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فاسلكوه ، كيف يتصدّع قلبك من استماع هذا الخطاب ، ولعمري أنّ هذا ما لا تقوم له السموات والارض ، فكيف بك يا مسكين ، فيأخذك الزبانية ، ويجرّك على وجهك إلى نار حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها حديد ، وشرابها الحميم والصديد ، واستمع قول الإمام البصير ، ولعمري لا ينبئك مثل خبير ، حيث يقول : كيف استطيع ناراً لو قذفت بشرارة على الأرض لأحرقت نبتها ، ولو تمسّك إنسان بقلّة لانضجته ، وهيج النار في قلبه ؟ وانظر يا عاقل في أحوال قوم مستقرّهم الجحيم ، وطعامهم من ضريع ^(٤) وشرابهم الحميم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدّت

(١) الزخرف : الآية ٧٧ ، ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك . قال : انكم ماكنون .

(٢) المؤمنون : الآية ١٠٨ .

(٣) الحاقة . الآية ٣٠ .

(٤) الضريع : قيل هو نبت بالحجاز له شوك كبير يقال له الشرفة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله الضريع في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وانتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار .

أقدامهم بالنواصي ، واسودّت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادونهم من أكنافها ، ويصيحون من نواحيها وأطرافها ، يا مالك قد حقّ علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منّا الجلود ، يا مالك اخرجنا منها ، فانا لا نعود ، فيقول : الزبانية هيهات هيهات ، لات حين مناص ، لا خروج لكم منها ، ولا خلاص فاخسؤا فيها ، ولا تكلمون ، ولو اخرجتم منها لكتتم إلى ما نهيتم عنه تعيدون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأنين يكبّون على وجوههم ، مغلوبين ، وفي انفسهم معلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن ايمانهم ، والنار عن شمائلهم ، وهم غرقى في النار طعامهم النار ، شرابهم النار ، لباسهم النار ، مهادهم النار ، وهم بين مقطّعات النيران وسراويل القطران ، ولثقل السلاسل يتجلجلون في مضايقتها ، ويتحطّمون بمقامعها ، ويصطرخون بين غواشيتها ، أو يضطربون في حواشيتها تغلي بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والثبور ، ومهما دعوا بالعويل يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم ، يصبر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، تنفجر الصدائد من أفواههم ، ويتقطّع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، وتسقط من الوجنات لحومها ويذاب من الظهور دسومها ، ويتعمّط من الأطراف شعورها ، وجلودها ، فكلّما نضجت جلودهم بدّلوها جلوداً غيرها ، قد عريت من اللّحوم عظامهم قد اسودّت وجوههم واعمت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، يمشون على النار بوجوههم ، ويطنّون حسك الحديد بأحداقهم ، والحيّات يلسعهم والعقارب تلدغهم ، وهم مع ذلك يتنوّن الموت ، فلا يموتون وهذا بعض ما نصّ عليه الكتاب والسنة من أخبارهم وأحوالهم .

الفصل الثالث

في الوضوء ، وفيه أبواب :

﴿الباب ١﴾

في بعض آدابها الظاهرية ، وجوباً واستحباً

يستحبّ قبله السواك والقيام^(١) في غير ما يجب أيضاً من أفعاله ومقدّماته ، وزيادته التنظيف في مائه ، وغسل الكفين قبل ادخالهما الاناء ، من حدث النوم والبول مرّة ومن الغايط مرّتين ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وتثليثهما ، بل تقديم المضمضة على الاستنشاق ، وفتح العين عند غسل الوجه ، والدعاء بما يأتي عند أفعاله وإمرار اليد بالغسل على أعضائه ، وتخليل شعر الوجه ، وبدئة الرجل بظاهر ذراعيه ، والمرئة بباطنهما ، والاسباغ بمد والاولى وحده الغسل بغرفتين اسبأغاً ، وترك الاستعانة في مقدّماته وترك استعمال ، الأجن^(٢) والمشمس وسوّر الحايض غير المأمونة ، واليهودي والنصراني ، والمشرک والناصب ، وولد الزنا على القول بطهارته ، وإلاّ فيجب ، وما أصابته الوزغة والحية والعقرب ، والقليل الذي أصابته النجاسة ولم يتغيّر على القول بطهارته ، وماء البثر الذي أصابه ما يوجب النزح ، ولم ينزح منه المقدر بعد ، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر على القول بالجواز كما هو الأقوى ،

(١) التيامن : هو جعل الماء على اليمين ويأتي في الفصل الآتي الاشارة الى أهمية التيامن .

(٢) الأجن : الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه وغالب استعماله في الثالث .

كل ذلك عند الاختيار .

وأما تفصيل الدعاء فيه ، وفي مقدماته ، ففي الصحيح^(١) عن أمير المؤمنين أنه استدعى ماء فاكفا بيده اليمنى على اليسرى ، ثم قال :

بسم الله والحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ، ولم يجعله نجساً ثم استنجدى ، وقال : اللهم حصّن فرجي ، وأعفه واستر عورتني ، وحرمني على النار ، ثم تلمّض وقال : اللهم لقني حجتي يوم ألقاك واطلق لساني بذكرك ، ثم استنشق فقال : اللهم لا تحرم عليّ ريح الجنة ، واجعلني ممّن يشمّ ريحها ، وروحها وريحانها^(٢) ثم غسل وجهه وقال : اللهم بيّض وجهي يوم تبيّض فيه الوجوه ، ولا تسود وجهي يوم تسود فيه الوجوه ثم غسل يده اليمنى فقال : اللهم اعطني كتابي بيمينى والخلد^(٣) في الجنان يساري وحاسبني حساباً يسيراً ثم غسل يده اليسرى فقال : اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا تجعله مغلولاً إلى عنقي ، وأعوذ بك من مقطّعات النيران ، ثم مسح رأسه فقال : اللهم غشني برحمتك وبركاتك وعفوك^(٤) ثم مسح رجليه فقال : اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، واجعل سعبي فيما يرضيك عني يا أرحم الراحمين^(٥) .

(١) كما في الكافي والتهذيب عن عبد الرحمن بن كثير .

(٢) وفي بعض نسخ الحديث (وطيبها) بدل (وريحانها) وفي بعض كلاهما المذكوران والريح : الرائحة والروح بفتح الراء النسيم الطيبة .

(٣) والمراد برات الخلد أي اعطني برات خلودي في الجنان يسارى وله تفسيرات آخر ايضاً .

(٤) وفي بعض النسخ : ليس « بعفوك » موجوداً وفي بعض « وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك » .

(٥) وفي بعض النسخ : « يا ذا الجلال والاكرام » بدل قوله : « يا أرحم الراحمين » .

ثم قال لمحمد ابنه راوي الحديث: يا محمد من توضأ مثل وضوئي ، وقال مثل قلبي ، خلق الله عز وجل من كل قطرة ملكاً يقدره ، ويسبحه ويكبره ، ويكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة .

وفي تفسير الإمام من قال في آخر وضوئه وغسله « سبحانك اللهم ، وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، وأشهد أن علياً وليك ، وخليفتك بعد نبيك ، وأن أوليائه خلفائك ، وأوصيائه أوصياءك » تحات عنه ذنوبه كورق الشجر وخلق الله بعدد كل قطرة من وضوئه أو غسله ملكاً ، يسبح الله ويقدره ، ويهلله ويكبره ويصلي على النبي وآله الطيبين ، وثواب ذلك لهذا المتوضي .

وروي في الفقيه : أن زكاة الوضوء ان يقول المتوضي : اللهم اني أسألك تمام الوضوء ، وتمام الصلاة ، وتمام رضوانك والجنة .

﴿ الباب ٢ ﴾

في تفصيل السواك ، وفضلها وفوائدها ، وكيفيتها وأوقاتها وغيرها

أما فضيلتها وفوائدها فورد في ذلك أخبار كثيرة ، نشير إلى بعضها
تبرّكاً .

منها الخبر المشهور^(١) المروي عن أبي جعفر (ع) عن النبي (ص)
قال : قال : لولا ان اشقّ على امتي لأمرتهم بالسّواك ، مع كلّ صلاة .

ومنها ما عن الخصال مرفوعاً إلى النبي (ص) قال : في السّواك
اثنتي عشرة خصلة ، مطهّرة للفم ومرضاة للربّ ، وتبيّض الأسنان ،
وتذهب الحفر^(٢) ويقلّ البلغم ، ويشهي الطعام ، ويضاعف الحسنات ،
ويصاب به السنّة ، وتحضره الملائكة ، ويشدّ اللّثة ، وهو يمر^(٣) بطريق
القرآن ، وركعتين بسواك أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من سبعين ركعة بغير
سواك .

(١) كما في الوسائل عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه
السلام .

(٢) الحفر : بفتح الحاء والفاء : صفرة تعلو الاسنان ، وحفر حفراً أي بتثليث
الفاء فسدت اصول اسنانه .

(٣) لأنّ الفم طريق القرآن ، كما في الوسائل عن أبي عبد الله عن النبي «ص» :
نظفوا طريق القرآن : قيل : يا رسول الله وما طريق القرآن : قال : افواهكم .

ومنها ما عن ثواب الأعمال عن أبي عبد الله (ع) قال : قال أبو جعفر (ع) : لو يعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحافهم .

وأما كيفيتها وآدابها فيستحب أن يكون بالاراك فإن لم يوجد أو شقّ تحصيله ، فغيره حتّى الدّلك بالابهام ، والمسبحة ، وإن يكون عرضاً وإن يدعوه عنده بقوله : « اللّهمّ ارزقني حلاوة نعمتك ، وارزقني برد روحك واطلق لسانى بمناجاتك ، وقربني منك مجلساً ، وارفع ذكرى في الأوّلين اللّهمّ يا خير من سئل ، ويا أجود من أعطى ، حولنا ممّا تكره إلى ما تحبّ وترضى ، وإن كانت القلوب قاسية ، وإن كانت الاعين جامدة ، وإن كنّا أولى بالعذاب ، فأنت أولى بالمغفرة ، اللّهمّ احيني في عافية ، وأمتني في عافية » .

وأما أوقاته فألّذي وجدته في الأخبار^(١) عند كلّ وضوء ، وعند كلّ صلاة ، وعند النوم في اللّيل ، وعند القيام منه ، وقبل الخروج الى صلاة الصبح ، ويحتمل قوياً كفاية ثلاث مرّات في ليلة عن حقّ السّوضو والصّلاة .

وأما عبرها يكفي فيها ما في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرّب ، وجعلها من السنن المؤكّدة ، وفيها منافع للظاهر والباطن ، ما لا يحصى لمن عقل ، فكما تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك ، ومشربك ، ومأكلك بالسواك ، كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرّع ، والخشوع والتهجّد ، والاستغفار بالأسحار ، وطهر باطنك وظاهره من كدورات المخالفات ، وركوب المناهي كلّها خالصاً لله ، فإنّ النّبىّ (ص) أراد باستعمالها مثلاً لأهل اليقظة ، وهو أنّ المسواك نبات لطيف نظيف ، وغصن شجر عذب مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله في الفم آلة للأكل واداة للمضغ ، وسبباً

(١) كل ذلك مروي في الوسائل وغيره فلا حاجة الى نقل ما ورد فيها فليراجع .

لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة ، وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام ، ويتغير بها رائحة الفم ، ويتولد منها الفساد في الدماغ ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ، ومسحها على الجوهرة الصافية ، وأزال عنها الفساد والتغير ، وعادت إلى أصلها ، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً ، وجعل غذائه الذكر والفكر والهيبة ، والتعظيم وإذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر ، صقل بمصقلة التوبة ، ونظف بماء الانابة ليعود إلى حالته الاولى ، وجوهرته الاصلية الصافية ، قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ وقال النبي (ص) عليكم بالسواك فَإِنَّ النَّبِيَّ (ص) أمرنا باستواك ظاهر الأسنان ، وأراد بهذا المعنى المثل ، ومن أناخ تفكره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع ، فتح الله له عيون الحكمة ، والمزيد من فضل الله ، والله لا يضيع اجر المحسنين انتهى .

أقول : على المصدق بالنبي وآله ان يعتني بامثال هذه كل الاعتناء ، ولا يهملها ولا يضيعها ، ويعامل معها معاملة الاسرار ، ويغتنم ما وصل اليه من هذه المعارف ، والتأويلات الحقّة بجزئيات العبادات الواردة في الشريعة القادسة ، ومقدماتها ويشكر الله ولسوله المبلغ ، ولخلفائه الحافظين بل وعلى الجملة الراوين لها عنهم (ع) ، فيؤدي حق شكر هذه النعم الباطنية الفاخرة ، ويفوز بانوارها ويصل الى ثمراتها وفوائدها ، والا فمن غفل عن الجملة من النعم اللطيفة الحقيقية ، ولم يعظمها حق عظمتها ، فلا ينتفع منها بل ويزيده خساراً من جهة تضييعها بعد اتمام الحجة ، وأما اذا آمن بها واعتقد عظمتها ، فلا بد ان يواظب عليها ويجد في التأمل فيها ، وفي امثالها كما اشير اليه في آخر ما في مصباح الشريعة ، واذا اشتغل بهذه المراقبة ، وغاص في التفكير فيها ، ربّما ينكشف له عن حقائقها ، ويرى صورها المثالية ، واثراتها الباطنية ، وانقلب له الغيب عياناً ، والرواية دراية والعلم وجدانا ، فيكثر جدّه ،

واهتمامه في هذا الباب ، ويستغرق اوقاته ويصير همهّ همّاً واحداً ، فينجرّ ذلك الى ساير المعارف ، حتّى يستغرق عقله بمعرفة الله ، واذا يكون سائس اموره الدنيويّة ، وشؤنه الظاهريّة هو الله ، فلا يبقى له شغل بمخلوق ، وهم بغير الله ، وجدّ في غير لقاء الله ، فيزيد شوقه يوماً فيوماً ، حتّى ينسلك في سلك المشتاقين ، وحينئذ يشتاق اليه ملائكة ربّه ، فيبشره ملك الموت عند قبضه ، بقوله : ابشريا ولي الله ، أنّ الله اليك لمشتاق كما يأتي تفصيله في حديث المعراج هذا ، ومن اللّوازم في عبر مسألة السّواك ، وامثالها من الآداب الجزئيّة التي ورد فيها مثل ذلك ، من التأكيد والفضل . والمثوبات الجليّة ، ان لا يستبعدّها وان كان بعيداً في عقله ، بل عليه حينئذ ان يتفكّر في حكمها ، حتّى يظهر له بنور الفكرة ما يزيل عنه ظلم الشكوك، والارتباب فإنّ الله موفّق للصّواب ، مثلاً اذا لاحظ في مسألة السّواك هذه الفضيلة العظيمة ، واستبعد عقله ان يكون لمثل هذا العمل البدنيّ الجزئي ، الذي هو عبارة عن ذلك الاسنان ، وتطهيرها من الفضل ان يزيد ثواب صلاته بسبعين ضعفاً ، وآياه ان يقبل عن عقله هذا الحكم الصّادر من بادي نظره ، بل عليه ان يمعن النّظر ويغور في تفهّم حكم هذا الامر الجزئي ، وفوائده واذا تفكّر في ذلك ، واجال نظره فيه ، رأى أنّه سبب لدفع فساد الدّماغ الذي هو مركب عقل الانسان ، واذا اختل ، اختل العقل باختلاله وفساده والادلاك للانسان اعظم من فساد عقله ، صدّق قول الحكيم الصّادق في الحثّ عليه ، وحقّ الحكمة الالهية في جعل هذه المثوبات الجزيلة له واذا زاد في الفكر ورأى أنّه سبب بقاء الاسنان ، اذ الاسنان له دخل عظيم في تحليل الغذاء ، الذي به قوام البدن ، الذي به حياة الانسان ، وطول عمره ، الذي به يفوز الى الدّرجات العالية ، يزيد في تصديقه ، وايضا اذا امعن النّظر يرى أنّ ميزان حسن الاعمال ، والافعال وقبحها ليس بالكثرة والقلة ، بل باللّطف والدّقة ، فان شئت تصديق ذلك ، فانظر في خدام السلاطين ، فإنّ الجندي خدمته المقاتلة التي قد ينجر الى القتل

والهلاك ، واجرته شيء قليل ونذر يسير ، والوزير خدمته بعض التدبيرات والفكرّيات ، واجرته ووظيفته يزيد على وظيفة عشرة آلاف جندي ، فالعبرة في الخدمة بلطف العمل ، لاكثرته وشدّته ، فاذا كان الامر على ذلك ، فلم تستبعد ان يزيد مراقبة العبد لمولاه في تطهير اسنانه ، عند صلاته في عمل سبعين ضعفاً ، فيكون هذا التّضعيف في قبال لطف هذه المراقبة الدّقيقة ، بان لم يرض العبد ان يكون عند حضوره في محضر ربّه ، ومناجاته شيء من اعضائه ، لا سيّما عضوه الّذي هو طريق قراءة كلام ربّه ، متلوّثا باثر شيء من الدنيا المبعوضة ، فهذه مراقبة لطيفة يستحق كلّ نوع من المثوبات الجزيلة ، فلا استبعاد إلّا في النظرة الاولى والحمقى ، والحمد لله .

الفصل الرابع

ورد في الاخبار ما يفهم منه^(١) التّرجيب في التّيامن في الافعال ، والاعمال الشريفة بل الوضيعة والبداء باليمين عند الابتلاء بكليهما ، فيعتبر العاقل عنده بان ذلك كلّه من شؤونات الحكمة الالهية ، وبعبارة اخرى من شؤونات ترجيح يمين الله ، وان كان كلتا يديه يمينا ، ولا يهمل المراقبة في شيء من افعاله ، واعماله ، فيبتلى بترجيح المرجوح ، ثمّ له ان يلتفت أنّ اليمين عبارة عن الطّرف القوي من الطرفين كعالم الغيب بالنسبة الى الشهادة ، وعالم الارواح بالنسبة الى عالم الاجسام ، فلك ان تقوى في جميع حالاتك روحك ، وسرك وتخدمه حتّى تكون من الرّوحانيين ، والكلمة الجامعة تجمع ما جاءت به الانبياء (ص) من الشرائع ، أنّما هو ذلك ، فهم يريدون ان يعمّروا عالم الغيب ويخدموه ، والنّاس باغواء الشّياطين ، يريدون تعمير هذا العالم المحسوس ، فالمضادة بينهم دائمة ، ثمّ لا يخفى عليك أنّه قد يرى من الأنبياء ،

(١) كما هو المشهور : واستدل عليه بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله إنه كان يحب التيامن في طهوره وشغله وشأنه كله ، وبما ورد في بعض الاخبار ان الله يحب ما هو الايسر والاسهل ، ولكن الروايتين مرسلتان ، والعمدة في المسئلة الشهرة العظيمة والانجبار بأدله التسامح فراجع .

والأولياء في بعض الاحيان التوجّه في تعمير هذه الدنيا ، فهو أيضاً خدمة لعالم الغيب ، وتخريب لعالم الحسّ ، ووجه ذلك أنّ تعمير الآخرة ، وتحصيل المعرفة لا يكون إلّا بالحياة الدنيويّة ، فتعمير هذه بقدر الضرورة لبقاء الحياة ، وبقاء النوع ليحصلوا به المعرفة ، ويعمروا فيها الدار الآخرة لازم ، ولكن لا يكون ذلك أزيد من قدر الحاجة ، فتعمير أهل الحقّ للدنيا واشتغالهم به من باب المقدّمة بقدر الضرورة ، وتعمير أهل الدنيا من جهة انها بنفسها مطلوبة عندهم ، ومعشوقة لهم ، يريدونها ويحبّونها لنفسها ، لا بشيء سواها ، ويقدرونها بجميع ما سواها ، هذا كما قد يرى من ذكر اهل الدنيا واشتغالهم بأمر الآخرة تقيّة من أهل الحق ، حيث يرون حفظ سعادتهم الدنيوية في ذلك ، فذكرهم الآخرة أنّما هو للدنيا .

الفصل الخامس

ومن العبر عند ملاحظة آداب الوضوء من الدعوات ، ان يتأدّب الانسان في جميع أحواله ، وأفعاله بما علّمه الشارع من ذكر الله بما يناسب هذا الحال وهذا الفعل والدعاء للحفظ والبركة ولذكر ما يناسبه من امور الآخرة والدعاء لها ، ومن هذا الباب الأدعية التي أنشأها السيّد ابن طاوس قدّس سرّه لبعض الأحوال ، والأفعال ، فانه وإن لم يأخذها بالخصوص من الروايات ، الا أنّه أخذها ممّا يفهم من الروايات والعمومات .

الفصل السادس

والعبرة عند رؤية الماء واستعماله ، ما في مصباح الشريعة قال الصادق إذا اردت الوضوء ، فتقدّم إلى الماء يقدمك إلى رحمة الله ، فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلاً إلى بساط خدمته ، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غيره .

قال الله تعالى : ﴿ وهو ^(١) الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ وقال : ﴿ أنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وجعلنا ^(٣) من الماء كلّ شيء حيّ أفلا تعقلون ﴾ فكما أحى به كلّ شيء من نعيم الدنيا ، كذلك بفضلِهِ ورحمته جعل حياة القلوب بالطاعات وتفكّر في صفاء الماء ورقّته ^(٤) وبركته وطهوريته ، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء وفي كلّ شيء ، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمر الله

(١) الاعراف : الآية ٤٨ .

(٢) الفرقان : الآية ٤٨ .

(٣) الانبياء : الآية ٣٠ .

(٤) وتزكّيته وطهوريته خ ل .

بتطهيرها ، وأت بآدابها فرائضه وسننه ، فإن تحت كل واحد منها فوائد كثيرة ، إذ استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثم عاش خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء ، يؤدي كل شيء حقه ، ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله (ص) مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء ، حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً ، وطهر قلبك بالتقوى ، واليقين عند طهارة جوارحك بالماء .

وعن الرضا (ع) ^(١) إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأدناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، وطرده النعاس ، وتركية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار ، وأنما وجب الوضوء على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبار فأنما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب الوضوء ، وذلك أنّه بوجهه يسجد ويخضع ، ويده يسئل ويرغب ، ويرهب ويتبتّل ، ويرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد الخ ، هذا .

ويلزم على العاقل بحكم عقله أنّه إذا علم من الشريعة لزوم طهارة مكانه ، الذي هو طرفه الأبعد ثم ثيابه الذي هو غلافه الأقرب ، ثم جلده الذي هو قشره الأدنى ، فلا يسعه أن يغفل عن تطهير لبّه الذي هو ذاته وهو قلبه ، فعليه أن يجتهد في تطهيره أزيد من غيره لأنّه موضع نظر ربّه ، وتطهيره بالتوبة النصوح ، فإنّ الباطن أنما يطهر بها ، أما سمعت ^(٢) قول الصادق (ع) وطهر باليقين والتقوى قلبك ، فإنّ اليقين يورث التقوى ، والتقوى لا يكون إلا بالتوبة ، وإذ قد تمهد ذلك فاعلم إنّ التوبة أهمّ من الطهارة في الصلاة فيجب أن يعلم حقيقتها فأقول :

(١) في العيون : وعلل الشرايع للصدوق عليه الرحمة وأشار إليه في الوسائل .

(٢) في حديث مصباح البشيرة الذي مر آنفاً .

حقيقتها فهو ان يرجع العبد من غير الله إلى الله وإن شئت قلت : من مكروه الله إلى رضاه ، وإن شئت قلت : من بعده إلى قربه ، وإن شئت قلت من الظلمة إلى النور ، وإن شئت قلت : من الجهل إلى العلم ، وإن شئت قلت : من الشقاوة إلى السعادة ، وإن شئت قلت من المعصية إلى الطاعة .

ويكتمل من علم وحال وعمل ، ويتحقق بكلّ منها لأنّ كلّها مطلوبة مستقلاً ، واضدادها بخلافها ، فالرجوع عنها يسمّى توبة .

أمّا العلم فاجماله ان يعلم أنّ الحال الذي فيه هو ، مورث الشقاوة أو مانع من السعادة ، وتفصيله ان يعلم جميع مراتب العلوم النافعة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر مع استشعار الحرمان من السعادات اللازمة لها ، والكائنة فيها .

وأمّا الحال فالتحرّس بالشقاء ، وقصد أنّ السعادة في الماضي والحال والاستقبال والرغبة بالتدارك في الأحوال الثلاثة .

وأمّا العمل فالرجوع والخروج عمّا كان ، والعزم لادامته فيما يكون والرجوع اجمالاً ان يحصل معنا يتدارك به ما تحس بسببه للعاجل والأجل وهو ان كان متعلّقاً بحقّ من حقوق الله ، فله تداركه بالقضاء ومحو الآثار ، ومنه اذابة اللحم الناشئ من المعصية ، واذاقة النفس ألم الطاعة بقدر التذاذها بالمعصية ، وصفائها بالنور بقدر تكدرها بظلمة المعصية ، وإن كان متعلّقاً بحقوق المخلوق ، فإن امكنه الاداء فباداء حقوقهم ، ولو بالاستغفاء والاسترضاء مع محو الآثار كما مضى ، وإن لم يمكنه ذلك كما إذا خان مثلاً مؤمناً في عرضه ، فإنّه لا اداء له ، وقد يكون الاستغفاء والاسترضاء مورثاً للفتن ، فله ان يستغفر له ، ويعمل له اعمالاً صالحة بقدر ما يتدارك به الخيانة ، ثمّ محو الآثار وان كان من قبيل الحيوانات ، فإن امكنه أن يعوّضه من

اضراره بنحو يقابله ثم محو الآثار ، فله ان يتداركه احتياطاً ، وهذا كله يفهم من التدبر فيما روى^(١) عن أمير المؤمنين ، أنه قال ، لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك أمك ، أتدري ما الاستغفار ؟ ان الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معانٍ :

أولها : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبداً .

والثالث : ان تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم ، حتى تلقى الله أملس وليس لك تبعة .

والرابع : ان تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها ، تؤدي حقها .

الخامس : ان تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت ، فتذيب بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم ، فينبت بينهما لحم جديد .

السادس : أن تذيق الجسم ألم الطاعة ، كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله ، وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : التوبة جبل الله ، ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال .

وكل فرقة من العباد لهم توبة .

فتوبة الأنبياء من اضطراب السر .

وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات .

وتوبة الأصفياء من النفس .

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله .

وتوبة العام من الذنوب ، ولكل واحد منهم معرفة ، وعلم في أصل

(١) كما في نهج البلاغة وغيره .

توبته ومنتهى أمره ، وذلك يطول شرحه ههنا .

فأما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة ، والاعتراف بجنايته دائماً ، واعتقاد الندم على ما مضى ، والخوف على ما بقى من عمره ، ولا يستصغر ذنوبه ، فيحمله ذلك إلى الكسل ، ويديم البكاء ، والأسف على ما فاتته من طاعة الله ، ويحبس نفسه من الشهوات ، ويستغث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ، ويعصمه من العود على ما سلف ، ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، ويقضي الفوائت من الفرائض ، ويردّ المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، ويسهر ليله ، ويظماً نهاره ، ويتفكر دائماً في عاقبته ، ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سراءه وضرّائه ، ويثبت عند المحن والبلا كيلا يسقط عن درجة التّوابين هذا ، وقد ذكر بعض السلف (١) من العرفاء للتوبة حقائق واسراراً ولطائف الاسرار ، وذكر في الأوّل ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام التوبة ، وطلب اعدار الخليقة ، والمراد من الأوّل ما أشار إليه الصادق (ع) من قوله : ولا يستصغر ذنوبه ، والمراد من الثاني ما أشار إليه بقوله : ويستغث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته والمراد من الثالث ما اشار اليه بقوله ويردّ المظالم .

وذكر في السرائر تميز التقيّة من العزّة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة ، والمراد من الأوّل أن يخلص توبته من الرياء ، والمراد من

(١) وهو العارف الكامل الخواجه عبد الله الانصاري الهروي ينتهي نسبه الى أبي أيوب الانصاري الصحابي المشهور ، صاحب التآليف والحافظ للأحاديث الكثيرة المتوفى سنة ٣٨٣ او (٣٩٦) او (٣٩٧) ، ومن تأليفه : منازل السائرين الى الحق ، والمناجات الفارسية المشهورة ، ونقل الكلام المذكور في المتن من كتابه منازل السائرين ، الذي شرحه العارف كمال الدين ، المولى عبد الرزاق بن جمال الدين اسحاق الكاشاني ، صاحب تأويل الآيات واصطلاحات العرفاء ، وشرح نصوص الحكم وشرح منازل السائرين ، وغيرها المتوفى سنة ٨٨٧ .

الثاني أن يشتغل بذكر الله بعد التوبة ، حتى ينسى جنايته ، وتوبته من الجناية ، وهو وإن كان حالا ومقاماً سنياً ، إلا أنه لا يدخل في التوبة ، والمراد من الثالث على الظاهر التوبة من التوبة لنقصها ، أو التوبة من التوبة التي يراها بحوله وقوّته ، وكلاهما جيّد ، ولكن عدّ ذلك في تلو الثاني لا يخلو عن شيء ^(١) .

وذكر في الثالث أيضاً ثلاثة :

الأوّل : ان تنظر بين الجناية والقضيّة ، فتعرف مراد الله إذ خلاك وإتيانها فإنّ الله أنما يخلي بين العبد والذنب لاحد معنيين :

أحدهما : ان تعرف عزّته في قضائه ، وبره في ستره وحلمه في امهال راكمه ، وكرمه في قبول العذر عنه ، وفضله في مغفرته .

أقول : التفكّر في هذه الأحوال اشتغال عن جهة الذنب ، والتوبة بالله من جهة الصفات والأفعال ، وهذا من وجوه قوله (ع) في بعض الروايات : مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك ، قال : والثاني ليقم على العبد حجة عدله ، فيعاقبه على ذنبه بحجّته ؛ واللّطيفة الثانية ان يعلم أنّ طلب البصير الصّادق سيّئته ، لم يبق له حسنة بحال لأنّه يصير بين مشاهدة المنة وتطلب عيب النفس والعمل ، يعني أنّ البصير الصّادق يرى جميع سيّئاته من جهة نفسه ، وخياراته من جهة الربّ فهو أولى بسيّئاته ، والله أولى بحسناته فلا يبقى له حسنة ، إذا طلب حقيقة الحال .

قال : واللّطيفة الثالثة أنّ مشاهدة العبد الحكم ، لم تدع له

(١) أي سرائر حقيقة التوبة ، حيث قال : وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز التقيه من العزة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة .
والمراد من العزة الجاه بين الناس : بأن يتميز ان توبته منبعث من التقوى والرياء والجاه بين الخلق والحشمة عندهم .

وان شئت توضيح كلامه وتفصيل مرامه تراجع الى الكتاب المذكور وشرحه .

استحسان حسنة ، ولا استقباح سيئة لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم .

قال : الشارح في شرح هذه الفقرة : مشاهدة الحكم ان لا يرى مؤثر إلا الله ، ولا حكماً ولا أثراً ، ولا فعلاً إلا له ، فيتحقق العبد عياناً معنى قوله كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاولى قوله تعالى : ﴿ وما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ ومن الثاني قوله : ﴿ قل كل من عند الله ﴾ وكل ناظر إلى جهة .

قال : فتوبة العامة لاستكثار الطاعة ، فإنه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جحود نعمة السر والامهال ، وروية الحق على الله تعالى ، والاستغناء الذي هو عين الجبروت والتوَّب على الله ، اي العامة ترى التوبة من حسناته ، فيقدم عليها من جهة تحصيلها ، ولا ينظر إلى جهة جنائياته ، ونعمة ستر الله عليه وامهاله ، حتى يتوب ، وأيضاً اذا نظر إليها من جهة أنها من حسناته يرى له المنّة والحق على الله ، فيستغني عن الله من جهة قبولها ، وعفو آثار الجنايات ، قال : توبة الاوساط من استقلال المعصية ، وهو عين الجرئة والمبارزة ومحض التدبّر بالحمية ، وللاسترسال للقطيعة ، والمراد من الأوساط الذين يعتقدون من بعض ما رأوا من الحالات ، بل وبعض ما سمعوا من الآيات والروايات ، ولم يصلوا إلى المراد منها : أنهم مجبورون في أفعالهم ، وأن سيئاتهم بحكم الله وقضائه وقدره ، وأن ذلك يؤثر في عدم استحقاق المذمة لأنفسهم من جهة هذه الأفعال القبيحة ، واغترؤا ببعض أوائل المعارف ، ووقعوا في خطر عظيم أعظم من جهل العامة ، وهو عين الجرئة والمبارزة ، وعلّة وقوعهم في هذا الجهل حمية أنفسهم من قبول نسبة القبيح ، وذلل الاعتراف ، وهذا الحال استرسال للقطيعة .

قال : وتوبة الخاصة من تضييع الوقت ، فإنه يدعو إلى درك النقيصة ويظفي نور المراقبة ، ويكدر عين الصحبة ، أي حال التوبة للخواص من جهة دركهم نقيصة الذنب ، يكدر لهم صفاء المراقبة التي يكون للمقربين ، قال : ولا يتم التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ، ثم رؤية علة تلك التوبة من رؤية تلك العلة أي توبة أهل القرب يكون من كل ما يشغله عن الحق ، حتى رؤية أنه تاب عن الاشتغال بغير الحق ، فيكمل لذة الوصال عند نسيان الغير والغفلة عن النسيان .

أقول : وللمقربين أيضاً درجات بعضها فوق بعض ، فيشبه أن يكون هذا ، مقام توبة الخواص في كلام الإمام الصادق (ع) في مصباح الشريعة ، حيث قال : وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله ، ويمكن تطبيقه بتوبة الأولياء أيضاً في كلامه ، وإذا قد عرفت بعض ما فيها من الأسرار ، فاعلم أنه لا يخلو أحد من الاحتياج إلى التوبة ، حتى الأنبياء ، والشاهد على ذلك ما يرى من اختلاف أحوالهم ، فإن وجود الاختلاف ، دليل على أن لهم أيضاً أحوالاً بعضها فوق بعض ، فيكون الرجوع عن الأدنى توبة ، وقد سمعت ما في مصباح الشريعة : أن توبة الأنبياء من اضطراب السر ، وكان^(١) رسول الله يستغفر كل يوم مائة مرة من غير ذنب ، على ما في الرواية ، وأنت إذا تأملت في معنى التوبة ، وكيفيّة خلق العباد وترقيهم ، علمت وجه احتياج الكل إلى التوبة فإنها عبارة عن الرجوع من حال أدنى إلى أعلا منه ، وليس في الوجود إلا الذات الغني بالذات ، موجود وجد كاملاً بحيث لا يحتاج إلى الترقّي والتكميل ، وذلك يصحّح معنى الحاجة إلى التوبة في الكل ، وأمّا

(١) ففي الكافي « باب الاستغفار من الذنب » عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله يتوب إلى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة الحديث .

وفيه « في باب نادر » في رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ، ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة .

الأغلب فلأنَّ العقل الَّذي به كمال الانسان ، وطاعة الرحمن ، لا يكمل في المخلوق إلَّا بعد كمال الشهوة والغضب ، وسائر الأخلاق المذمومة ، والعلم لا يعمل إلَّا بعد الجهل ، ومعلوم أنَّ الجهل وسائر الصفات المذمومة أسباب المعصية ، بل هي من المعصية يجب التوبة عنها ، فإنَّ العقل يظهر مبادئه بعد سبع سنين ، وأصله عند مراقة البلوغ ، والشهوة موجودة قبل التولّد ، والتوبة عبارة عن قبول حكم العقل في الزجر عن التوغّل في الشهوات ، هذا وجه حاجة الكلّ إلى التوبة ، وأمّا وجه دوام الحاجة إليها ، فهو أنَّ البشر لا يخلو من معصية بجوارحه ، او لهم بالمعصية والخواطر ، والوساوس المذهلة عن ذكر الله ، أو غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته ، وبآثاره بحسب الطاقة ، وكلّ ذلك نقص ولها أسباب ، وتركها والإشتغال بأضدادها رجوع عن النقص إلى الكمال ، كلّ بحسبه كما سمعت أنَّ الأنبياء أمّا يعرض عليهم اضطراب السرّ ، فيتوبون عنه ، ثمَّ أنَّ قبول التوبة الصادقة من كلّ أحد ، حتّى المرتد بقسميه^(١) مقتضى الأدلّة العقلية ، والنقلية ، وإنّما الكلام أنّها قد يكون الذنب بحيث يعسر منه التوبة ، بل قد يعذر كما إذا انطبقت ظلمة المعاصي في القلب ، أو فعل فعلا لا يمكن تداركه كما إذا أضلّ المسلمين ، فكفروا باضلاله ، وماتوا على الكفر ، نعوذ بالله وأمّا إذا امكنه التوبة بشرائطها ، فلا خلف في القبول ، هذا .

وروي عن أمير المؤمنين^(٢) : أنّه قال الذنوب ثلاثة : فذنوب مغفورة ، وذنوب غير مغفورة ، وذنوب يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه ، قيل :

(١) من الفطري والملي .

(٢) كما في نهج البلاغة ورواه في الكافي عن علي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن حماد عن بعض اصحابه رفعه قال : صعد أمير المؤمنين بالكونة المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس ٥١ باختلاف في بعض فقراته ، وسقط بعض جملاته ولم يذكر الذنب الثالث الذي يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه فراجع .

يا أمير المؤمنين فيّئها لنا ، قال : نعم أمّا الذنب المغفور ، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين ، وأمّا الذنب الذي لا يغفره الله ، فظلم العباد بعضهم لبعض ، إنّ الله اذا برز لخلقه ، أقسم قسماً على نفسه ، فقال : وعزّتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم ، ولو كفّاً بكفّ ، ولا مسحة بكف ، ولا نطحة ما بين القرناء والجمّاء فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد مظلمة ، ثمّ يبعثهم الله للحساب ، وأنت إذا تأملت في الخبر الشريف ، علمت أنّ مراده (ع) من غير المغفور ما لا يتدارك بردّ المظالم ، أو الاسترضاء ، وهذا الذي في الخبر ابقى الظلم بحاله من الآخر ومن المرجوّ أمّا ما يكون التوبة فيه ناقصة من جهة محو آثاره أو الحكم لله تعالى بما وعده لعباده فهو سوء أدب لأنّه الزام بالفضل ، وأمّا عدم الحكم له بنفي القبيح عنه ، فهو ايضاً سوء أدب ، وإن احكم في الأوّل ، وترجى في الثاني كان حسناً ثمّ إنّ الذنب أمّا كبيرة أو صغيرة ، واجتناب الكبائر ، والصلوات الخمس تكفّر الصغائر ، كما ورد في الكتاب والسنة ، قال الله تعالى (١) : ﴿ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم وقال : ﴿ والذين (٢) يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، إلا اللّم ﴾ قال رسول الله : « الصلوات الخمس ، الجمعة إلى الجمعة تكفّر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر » ، والروايات وكذلك الأقوال تختلف في تحديد الكبيرة والصغيرة ، عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الأولى قال : « الكبيرة ما أوجب (٣) الله عليها النار » وعنه أنّه سئل (٤) عن الكبائر ، فقال : هنّ في كتاب علي سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ،

(١) النساء : الآية ٣١ .

(٢) الشورى : الآية ٣٧ .

(٣) الكافي باب الكبائر عن الحلبي عن الصادق عليه السلام .

(٤) في الكافي ايضاً باب الكبائر عن عبيد بن زرارّة عن الصادق عليه السلام .

وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البيّنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، قيل : فأكل درهم من مال اليتيم أكبر ، أم ترك الصلاة ؟ قال : ترك الصلاة ، قيل : فما عدت ترك الصلاة في الكبائر ؟ فقال : أي شيء أول ما قلت لك ؟ قال : الكفر ، قال : فإنّ تارك الصلاة كافر .

أقول : الاخبار مختلفة جداً وأنا اعد كلّما ذكر في الاخبار من الكبيرة فيعلم وجه الاحتياط ، ثم اذكر ما يقوى في نظري . وقد مضى منها في الرواية المزبورة سبع ، وذكر في ^(١) غيرها اليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، وقذف المحصنة ، والسّحر ، والزنا ، واليمين ^(٢) الغموس ، والغلول ^(٣) ، ومنع الزكاة المفروضة ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، وترك الصلاة متعمداً أو شيء مما فرض الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرّحم والسرقة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله ، من غير ضرورة ، والسحت ، والميسر ، والقمار ، والبخس في المكيال والميزان ، واللواط ، والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والرّكون اليهم وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب ، والكبر ، والاسراف ، والتبذير ، والخيانة ، والاستخفاف بالحج ، والمحاربة لاولياء الله ، والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذّنوب ، وانكار حقّ اهل البيت ، وكل ما اوجب الله عليه النار .

أقول : أقل الروايات انها خمس ، وهي الشرك بالله ، وعقوق

(١) هي رواية عبد العظيم عبد الله الحسيني المذكورة في الكافي فراجع .

(٢) اليمين الغموس : هي التي تغمس صاحبها في الاثم ثم في النار والمراد منها . اليمين الكاذبة .

(٣) الغلول : الغل والغلل العطش اوشدته والمراد منه هنا هو الاكل من بيت المال قبل القسمة كما في الآية الشريفة : ومن يظل يأت بماغل يوم القيامة . وورد في تفسيرها اخبار كثيرة بهذا المضمون .

الوالدين واكل الرباء بعد البينة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذه الرواية صحيحة ، وفيها بعض تصريح على أنّ السرقة ، والزنا ليس منها ، وفي بعضها أنّ الملاهي التي تصدّ عن ذكر الله مكروهة ، كالغنا وضرب الاوتار .

أقول هيهنا امران :

الاول : رفع الاختلاف من الاخبار ، وبيانه أنّ من المعلوم بأنّ الكبير والصغير أمران اضافيان فالزنا بالنسبة الى القبله واللمس كبيرة قطعاً ، والقبله واللمس بالنسبة الى النظر كبيرة ، وهكذا فلعلّ الاخبار كل يحد الكبيرة من جهة حكم خاصّ ، مثلاً بعضها ناظر الى الكبيرة التي لا يكفرها الصلاة ، وبعضها ناظر إلى الكبيرة التي يكفر اجتنابها الصغائر ، وبعضها ناظر إلى الكبيرة التي ناقض العدالة ، وهذه ايضا اختلافها باختلاف العدالة المشروطة مثلاً في الشهادات ، وغيرها من الاحكام .

والثاني : فقه المسألة ، وبيانه أنّ الذي صرح باشتراط اجتنابها في قبول الشهادات ليست مطلقة ، بل اجتناب الكبيرة التي أوجب الله عليها النار ، هذا بحسب الواقع ، واما بحسب الظاهر فالاخبار متظافرة في الاكتفاء بحسن الظاهر ، إذا لم يكن متجاهراً بالفسق ، والتزم الجماعة وعرف بين الناس بالستر والعفاف ، هذا في الشهادات والولايات ، غير ولاية الفتوى .

وأما صلاة الجماعة فليس في اخبارها ما يشرط فيه اجتناب الكبائر ، بل ولا العدالة ، بل وقع النهي عن الصلاة بمرتكبي بعض الكبائر ، مثل قوله لا تصل خلف شارب الخمر ، واكل لحم الخنزير ، ومن يقترب الذنوب بل الاقوى جواز الصلاة خلف مجهول الحال من الشيعة ، فليس لتعين خصوص الكبيرة اهمية للعمل ، بل الحكمة الالهية مع فضله لعلهما يقتضيان خفائها لامرين :

أحدهما :- أن يجتنب المنقول إليه من جميع الذنوب من جهة الاحتياط ، والاخر أن لا يكون المقترف مقترفاً عالماً ، فيخفّ عقابه بجهله ، وهذا المقدار من الكلام في تحقيق الكبيرة كاف ، والأهمّ بمرادنا والانسب بكتابنا هو تحقيق أن الصغيرة إذا اعتقدها المقترف صغيرة ، وكان في نظره هيئاً كبرت بقدر اعتقاده صغرها ، كما أنّ الكبيرة كلّما ازداد كبرها في نظر العارف ، صغرت عند الله ، وأيضاً حكم الصغر في الصغيرة من باب الفضل ، وأمّا في الواقع بحكم العقل فكلّ مخالفة لأمر الله كبيرة ، يجب على مرتكبها النار باستحقاق ، بل هذا حكم كل ما منع منه الشارع ، ولو بالكراهة الاصطلاحية بل وهذا حكم كل مباح يصير سبباً للغفلة عن ذكر الله ، بل الاشتغال بغير الله ولومع عدم نسيان الذكر ، فالعقل بعد تصور حضور الله ، وعظمته ولطفه وطلبه العبد الى أنسه وذكره ، يعد كلّ ما يخالف هذا الطلب ولو بعدم الاهتمام كبيرة .

وبعبارة اخرى الادبار على الملك المنعم في حضوره ، والاشتغال بعدوّه عند العقل كبيرة ، ولكنّ الله جلّ كرمه ، وعظم فضله بفضله لم يجعل للصغيرة ولا المكروهات الاصطلاحية ، ولا المباحات عقاباً . وبملاحظة هذا الفضل أيضاً يشتدّ حكم العقل بقبح هذه المراتب كلّها ، وبالجمله كلّ المخالفات كبيرة في نظر العقل ، ولكن الفضل الالهي أنّما صغر بعضها ولكن ذلك فيما إذا لم يعدها العبد صغيراً .

وقد ورد عن الصادق (ع) ^(١) أنه قال : قال رسول الله (ص) اتّقوا المحقّرات من الذّنوب ، فإنّها لا تغفر . قيل : وما المحقّرات ؟ قال : الرّجل يذنب الذنب ، فيقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك ، وقال : إنّ الله يحبّ العبد ان يطلب الله في الجرم العظيم ، ويبغض العبد ان يستخفّ بالجرم اليسير وبالجمله ما يكبر به الصّغيرة الاصرار ، وقد ^(٢)

(١) اصول الكافي باب استصغار الذنوب عن زيد الشحام .

(٢) في الكافي باب الاصرار على الذنب عن عبد الله بن سنان .

ورد لا صغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ، والإصرار كما عن أهل اللغة الادامة للشيء ، ولكن الاستغفار يطل حكم السابق ، فيكون الارتكاب ثانيا مع الاستغفار له ايضاً ، وعدم العزم الذي ينافيه الاستغفار ، بحكم الواحد الغير المتكرر .

عن الباقر (ع) (١) في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ قال الاصرار ان يذنب الذنب ، فلا يستغفر . ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاستغفار التوبة ، كما هو المراد في بعض الاخبار ، فيكون ولا يحدث نفسه بتوبة من عطف التفسير ، ويمكن أن يكون بمعنى الدعاء بالمغفرة للذنب ، فيتحقق الاصرار حينئذ بشرطين :

أحدهما عدم الاستغفار ، والثاني التوبة ، فإذا وجد احدهما لا يكون العبد مصراً ، وليته كان كذلك ، ولكن جماعة افتوا بعدم كفاية الاستغفار ، وشرطوا العزم على الترك ، وان خالف عزمه الفعل ثانياً ، ولكن من الاستغفار والعزم على الترك يفاد من جملتها السّرور بالصغيرة ، واعتداد التمكن من ذلك نعمة ، لكن مع العلم بكونه ذنباً مكروهاً ، ولكن إذا جهل كونه معصية ولم يكن في جهله مقصراً ، وسرّ من اجل أنه يحسبه حسنة ، ومقربة من رضا الله ، فلا أظن أن يكون هذا السّرور سبباً لكونها صغيرة ، بل يمكن ان لا يكون محرماً بل ويمكن في بعض الموارد ان يكون راجحاً في حقه ، ومثاباً بسروره ، وبالجمله الفرح والسّرور بالتمكن من المعصية الصغيرة ، يكبرها ، بل اللازم على المؤمن ان يتحسّر بذنوبه ، ويتأسّف عليها ، ويكون في مصيبة من ابتلائه بما

(١) ايضاً الكافي - باب الاصرار على الذنب ولكن لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وآله .

يوجب بعده من رضاء الله جلّ جلاله ، ومن جملتها الاظهار لان فيه كفران لنعمة ستره تعالى ، وقد يكون تحريكاً لرغبة الغير ، بل قد يكون تهيةً لاسباب السرور ، وبتفاحش الامر بل مجرد الاظهار يلزم هتك النواميس الالهية ، وان لم يكن فيه شيء مما ذكر ، وعن ^(١) الرضا (ع) ، قال رسول الله (ص) : المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له .

نعم هنا شيء ، وهو انه قد يكون الاظهار في بعض الموارد معظماً على النفس ، ولكن مع تأسف وتحسر ، وتعظيم للامر ، فلا يكون حكمه حكم سابقه ، ولكن ذلك ايضا امر ذوقيّ لم يرد به تعبد ، بل الوارد لنا بخلافه ، فالأحوط تركه او اذا كان العبد في مقام الاستعلاج ، والاستفتاء من عالم ، ويرى استكمالها في ذلك ، أظنّ ان لا يكون ذلك مرجوحاً كما قد اتفق امثال ذلك لبعض المؤمنين في الاستعلاج من الائمة ، ومن بعض العلماء ، ولم يتعرضوا لنهيهم ، ولا يذهب عليك أنّ هذا المرجوح من الاظهار انما هو مختصّ باظهار المعاصي بخصوصها ، وبعينها واما اظهار التقصير والذنوب بالعموم باعظام واظهار تأسف وهو غير مرجوح بل هو من دأب الاكابر حيث يظهرون من انفسهم أنّهم من أهل الجنایات والتقصيرات ، لا سيما في المكاتيب ، بحيث صار المذنب والعاصي ، والجاني من القاب المؤمن عند ذكر نفسه في الكتب والرسائل ، هذا ايضا بالنسبة إلى الناس ، وأما بالنسبة إلى الخالق باظهار التأسّف والتحسر ، والاحتراق والاسترحام ، والاستغفار وذكر نعمة الامهال ، والستر والمغفرة ، بل الاقرار والاعتراف بالذنب ، وقلة الحياء فهو من اعظم وجوه المناجات ، وله خاصية عظيمة في قبول التوبة ، وتنوير

(١) ايضاً الكافي عن العباس مولى الرضا عليه السلام وعن اليسع بن حمزة عنه نفسه عليه السلام .

القلب بل الكَمَل من الاولياء يعدون حسناتهم سيئات بوجه من المعارض يخرجهم من الكذب الصريح ، بل كان دأب جماعة من الاعاظم التعبير من عباداته ، واعماله ومجاهداته وزراً ، والوجه في ذلك انّ عظمة الامر قد يجعل المحتمل محققاً في الانظار ، بل قد يجعل غير المحقق كالمحقق ، ومعروف انّ الذي لدغته الحية يخاف من الخبال ، مع علمه بانّ الحبل لا يلدغ ولعلّ من هذا الباب ما ورد في الاخبار انّ من تمام الاخلاق الحسنة أن يقطع الانسان انّ كلّ أحد أتقى منه ، أنا لله وأنا اليه راجعون من مصيبة الغفلة ، والعجب والدّلال الذي يشهد عليه جميع احوالنا وحالاتنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وإلى الله الكريم المشتكى من شرور انفسنا ، وغرورها برّبنا الكريم ، فانه قد غرّنا بالله الغرور ، فالمستعان من الربّ الغفور ، ومن جملتها أن يكون المذنب ممن يقتدى به كالعلماء ، وبعض المعروفين بالقدس والتقوى ، فانّ الصغيرة منهم قد يصير سبباً لكبائر الذنوب من العوام ، وذلك ما يعمل من السيئات بحيث يراه الناس ، وان كان العلم بنفسه يكبر معه قبح المخالفة من بعض الوجوه ، ولكن المراد هنا ما يكبر من جهة اقتداء العوام به ، فانّ للعالم وظيفتين :

الاولى : ترك الذنب ، والثانية اخفائه إذا ابتلى هذا ومن المؤثر في محو آثار الذنوب اتباعها بالحسنات ، لا سيّما الخوف والبكاء والصدقات ، وأثر من الكل التحابّ في الله لا سيّما محبة آل محمّد ، ويتبعه محبة شيعتهم ومواليهم .

والمؤمن انّما يغفره الله ، وان لم يتشبّث بهذه الاسباب وغيرها ، كان يبتليه بالمصائب ، والبلايا في نفسه واهله وماله وجاهه ، فيكون ذلك كفارة لذنوبه كما في بعض الاحاديث القدسية اهل معصيتي لم اقنطهم من رحمتي فان ماتوا فانا حبيهم وان مرضوا فانا طبيهم وان لم يتوبوا فبالمصائب والبلايا اطهرهم ومن هذا الباب ورد ان كل ما يصيبه الانسان

حتى ضرب العرق والصداع والنكبة فهو من ذنوبه ، فالبلايا كلها رحمة للمؤمن ، فله ان يستقبلها بقبول حسن ، كما ورد أنه قال الله لبعض^(١) انبيائه اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته فإذا البلايا والمصائب الدنيوية من نعم الله تعالى للصالحين ، كما ان النعم الدنيوية عقوبة من وجه هذا .

وأما علاج الاصرار والدواء لتحصيل التوبة ، فهو بتحصيل اسبابها وهي العلم والذكر والفكر والمجاهدة بالعمل أما العلم فبأن يعلم ان الآخرة خير وابقى ، وان الذنوب موجبة للشقاوة العظيمة في الدنيا والآخرة ، والتوبة منجية منها ، ومورثة لمحبة الله ، وموصلة الى جوار الله ولقائه ، وإن لذة اللقاء هي التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولها من اللذة والبهجة والسرور والجور ، ثم لا ينفع العلم مع الغفلة حتى يتذكر وعلامة الفكر النافع أن يؤثر فكره في تغير حاله ، كتأثير فكره فيما يتفكر فيه من عواقب سوء ، لتفريطه في المنافع العاجلة مثلا إذا سبَّ أحداً من المؤمنين فله ان يعلم ان سبّه يورث في الآخرة نكالا ، وعذاباً لا يقاس بشيء من نكال الدنيا ، وهذا العلم لا ينفع مع الغفلة عنه حتى يكون ذكراً له ، والذكر لا يكثر نفعه حتى يديم فكره فيما يتذكره من سوء عاقبته ، حتى يؤثر في تغيير حاله ، مثل ما يعتبر حاله إذا سبَّ ملكا مثلاً في غيبته وسمع أنه وصله سبّه فدعاه إلى محضر التنكيل ، فكيف يكون حال هذا المسكين عند الفكر فيما يحتمل أن يفعل به السلطان في مجازاته ، وعقابه وكيف ينغص عيشه ويتحسر بتفريطه ، ويدم على ما ارتكبه ، وكيف يشتد حزنه وخوفه ، وكيف يتصور حاله في محضر الملك ، وأنه بأي عقاب يجازيه وبأية مثلة يمثله ، وكيف يكون حاله إذا أمر الجلاوزة لأخذه ، وامير الغضب لقطع لسانه مثلاً ،

(١) في كتاب ارشاد القلوب للشيخ الزاهد ابي محمد الديلمي ، ففيها أوحا الله الى موسى عليه السلام اهـ .

وبالجملة لا يدع شيئاً من العقوبات إلا ويتذكّر وقوع نكالها عليه من السلطان ، ويتألم به حتّى أنّه شوهد في بعض الأوقات أنّه تلف الجاني المتوقّع للعقوبة من كثرة خوفه ، واختلّ عقله من شدّة حزنه ، والفكر الكامل الصحيح قد يؤثر في القلب بما لا يؤثره وقوع ما يتفكّر فيه .

وبالجملة إذا تفكّر الإنسان في عظمة أمر الآخرة من الحسنة والنار وتصوّر لذات نعم الجنّة كلّها بأنواعها وأفرادها وتصوّر بهجتها وسرورها وكرامتها وتصوّر حسرة حرمانها ثمّ تصوّر ألم عذاب الآخرة بأنواعها وأفرادها ، وتصوّر وقوعها على نفسه ، نظير ما يتفكّر في اللذات الدنيويّة ، والمولمات الدنيويّة المتوقّعتين ، يؤثر ذلك لا محالة أثراً يصحّ توبته لا محالة والأُنفع بحال المبتدى الفكر في الموت ، وشدّته وسكراته ، وفزعه وحرارته وألمه ، وحسرتة وفراق جميع محابه ومألوفاته ، ووحشة القبر وظلمته وغربته وكربته ودوده وبلاه . .

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلا^(١) عن اللهو واللذات للمرء زاجر

وقد رأيت بعض المستمعين حين مذاكرتي لأحوال الموت والموتى ، اختلّ دماغه عن الفكر في ذلك في أيّام قليلة ، حتّى احتجت لعلاجهم ممّا وقع به فمنعته من حضور مجلس المذاكرة ، والفكر في الموت ، وأمرته في الفكر في رحمة الله ووسعتها ، وفي اخبار موت الصالحين ولذّة ما يجد أولياء الله بالموت من الشوق إلى لقاء الله وكراماته حتّى أفاق ممّا كان .

وبالجملة لو تفكّر بهذا الترتيب في عواقب احواله ، وافعاله فأقلّ ما يؤثر فيه انقلاعه عن الذنوب ، وأنما عدم التأثير في الأغلب من جهة أنّ الناس يتغافلون عن ذكر الموت ، والقبر والبلا وان عرضهم عارض

(١) البلا : بفتح الباء ناقص يائي بمعنى الرت والخلق ، ومن الناقص الواوي بمعنى الامتحان والابتلاء ، والمراد في المقام هو الاول .

فذكرهم الموت ، يشتغلون عن ذكره فراراً من تنغص العيش .

ولكنّ الأكابر كانوا يتعاهدون قبورهم وينامون فيها ويخاطبون أنفسهم بما يخاطب به الأشقياء ، ليتأثروا بذلك أثراً يمنعهم عن الوقوع فيه بغير عُدّة ، وكان دأب بعضهم أنّه أعدّ لنفسه قبراً يأتيه وينام فيه ، ثمّ يقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً ، ثمّ يخاطب نفسه ، ويقول : يا فلان قم ارجعك ربّك ، فاعمل صالحاً من قبل أن يأتيك يوم تؤمّل فيه الرجوع ، ولا تطفر به ثمّ يبالغ ويجهّد في العبادة ، وبلغني أنّ العلامة الاشرفي المازندراني ، كان يحرق ناراً كثيرة ، ويأمر من يشدّه بحبل ، ويجرّه إلى النار ويذيق نفسه بعض ألمها ، وحكى عمّن رأى في البيت المقدس من العباد أنّهم كانوا يمرّون بالسلاسل من اكتافهم ، ويخرجونها من ظهرهم ، ويشدّونها باسطوانة البيت يشتغلون العبادة .

وبالجملة يلزم في تأثير الفكر المبالغة فيه ، مثلاً يفرض في نفسه جميع سكرات الموت ، والقبر والبلاء ، وينظر إلى طراوة صورته في حاله ، ثمّ ينظر بعين الخيال في قبره كيف يوقعه القبر في قبح المنظر ، يسيل احداقه ويتخلخل لحمه ويبلّى شعره فأنّه يبصر من قبح المنية منظرأً يهتال المرء منه ويرتاع الناظر ، ثمّ يتذكر مفاجات الموت ، وإن استقله بعد ذكر مفاجات الامراض وتعاقبه للموت ، فكّم من نفس بات حياً صحيحاً واصبح ميتاً ، وكّم من نفس بات صحيحاً واصبح بعد صحته مريضاً ، وبعد سلامته نقيصاً ، يعالج كرباً ويقاس تعباً في حشرجة السياق ، وتتابع الفراق وتردد الانين ، والذهول عن البنات والبنين ، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل ، وهو هائل قد اعتقل منه اللسان ، وتردد منه البيان وذاق وضعاً مكروهاً وفارق الدنيا مسلوباً لا يملكون له نفعاً ، ولا لما حلّ به دفعا ، وليعلم الانسان ان الناس سيّارة قد حدى بهم الحادي ، وحدى بخراب الدنيا حاد ، وناداهم للموت مناد .

الا وإنّ الدنيا غدّارة مكارة ، تنكح في كل يوم بعلا ، وتقتل في

كلّ ليلة اهلا ، وتفرق في كلّ ساعة شملا ، فكم من منافس فيها ،
وراكن إليها من الامم السابقة قد قذفتهم في الهاوية ودمرتهم تدميراً ،
وتبرتهم تتييراً ، واصلتهم سعيراً أين من جمع فأوعى ، وشدّ فأوكى ،
ومنع فاكدى ، واين ^(١) من اسكر الاساكر وعسكر العساكر ، وركب
المنابر ، اين من بنى الدّور ، وشرف القصور وجمهر الالفوف ، قد
تداولتهم أيّاما .

وابتلعتهم اعواما ، وناهيك للانقلاع عن المعاصي التفكّر في اقسام
الموت للصّالحين والطحالحين ، هذا وان وفق عبد للتوبة ، فله حينئذ ان
يأخذ كتاباً لنفسه ، ويكتب فيه كلّما توجّه إليه من حقوق الله من عباداته ،
وسائر فرائضه من الافعال ، والتّروك وكلّما ابتلى به من حقوق النّاس في
اموالهم ، واعراضهم وحقوقهم اجمالاً ، ثمّ يكتب فصولاً لاعضائه من
سمعه وبصره ولسانه ومذاقه ومشامه ، ويده ورجله وبطنه ، وجميع
جوارحه . وقلبه ثمّ ينظر في أقسام الطاعات من صلاته ، وزكاته وخمسه
وصومه وحجّه ، والامر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والعهد واليمين
والنذر ، والكفارات ، وردّ السلام بل التحيّات كلّها ، وتسمية العاطس
اذا حمد وصلّى ، وصلة الارحام وبرّ الوالدين ، واداء حقوق الاخوان
وهي كثيرة .

في الخبر ما عبد ^(٢) الله بشيء افضل من اداء حق المؤمن ، ومنها
نفقة الزّوجة ، والمملوك ، وسائر حقوقهما ، ونفقة الاقارب مع فقرهم
وغنائهم ونفقة الحيوانات التي حبسها ، وتقدير المعيشة من غير سرف ، ولا

(١) هذه الجملة لعلها من اغلاط النساخ ، او الطبع ، وليست جارية على قانون
اللغة فان السكر وهي الخمر لا تجمع على وزن الاساكر والمعنى واضح ولعله من
مراعاة القافية .

(٢) الكافي باب حق المؤمن على أخيه ، عن مزارم عن أبي عبد الله عليه
السلام .

بخل وطلب الحلال ، ودفع الضرر عن النفس والمال ، والختان للرجال ، والتزويج مع خوف الوقوع في الحرام بدونه ، والصدق في الأقوال وقيل في الأفعال ايضاً ، واداء الامانة الى البرّ والفاجر ، والوفاء بالعهد والوعد . وصرف نعم الله تعالى فيما خلقت لاجله ، والسجود عند تلاوة العزائم واستماعها ، بل سماعها ايضاً هذا كلّها من الفرائض العينية وأما الكفائية فكالجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والافتاء والقضاء مع اضطرار الناس ، وتخليص المشرف على الهلاك ، واعانة المستغيث مع القدرة ، واطعام الجائعين على ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وتحمل الشهادات مع عدم تعيينه عليه ، والا فيكون عيناً ، وكذا تجهيز الموتى وتغسيلهم ، ودفنهم وسائر الولايات ، وابقاء ضروريات البقاء للنوع .

ثم يتأمل في الطاعات القلبية ، وهي ايضاً اّما عينية واما كفائية .

ومن الاولى معرفة العقائد الحقّة الواجبة ، ولو اجمالاً ومعرفة الاحكام الشرعيّة ، ولو تقليداً عند العمل ، ومعرفة للاخلاق ، وآفات الاعمال والنفس والتوبة والشكر والصبر ، والخوف والرجاء ، والنية ، والاخلاص وغيرها مما يجب على المكلف من الاعمال القلبية .

ومن الثانية معرفة علم الكلام للرد على المبتدعة ، ومعرفة الاحكام الشرعيّة زائداً على الواجبة عيناً .

ثم يتفكر في المعاصي ، وهي ايضاً على اصناف : منها ما هو حرام بأصل الشرع كشرب الخمر والزنا ، وما يحرم بالقصد والنية كالأكل والبيع مثلاً للتقوى ، والاعانة على المعصية ، ومنها معاصي الجوارح ، ومنها معاصي القلوب وكلّ منها اّما كبيرة او صغيرة ، وفي تعيين الكبيرة اختلاف شديد روايةً وفتوى ، ولعلّ الصلاح في الابهام أن يجتنب المتّقي

عن الاغلب ، وفي الصحيح ^(١) انّ الكبيرة ما وعد الله عليها النار ، وفيه ^(٢) من أجنب ما وعد عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً ، وروى ^(٣) أنّها السبع الموجبات وهي : قتل النفس الحرام ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، والتعرب ^(٤) بعد الهجرة ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وفي الحسن ^(٥) هن في كتاب عليّ سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، واكل الربا بعد البيّنة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وعينها الرضا في كتابه إلى المأمون خمسة وثلاثين واثمها بالاصرار على الصغائر .

ثم ينظر في اصناف المحرمات وهي كثيرة : معاصي القلب ، ومعاصي الجوارح :

الأول : كالحسد إذا اظهره ، والحقد ، واضمار السوء للمؤمن ، والفرح بمصيبة المؤمن ، وقتله ، والفرح بضعف الاسلام ، وقوة الكفر ، والركون الى الظالمين . وسوء الظنّ بالمسلمين في غير محله ، وحبّ اعداء الله ، وقيل حبّ الدنيا ، ومنه حبّ الجاه والرياسة ، والعجب والرياء ، والكبر ، بمعنى تذلل القلب لقبول الحق ، والحرص القوي والسخط على قضاء الله ، والغفلة عن التكليف ، والتفاق ، وتعلم العلوم المحرمة كالكهانة ، والسحر للعمل ، والبخل والجبن ، والامن من مكر

(١) الكافي - باب الكبائر - عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في رواية الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار .

(٢) في الخبر الثاني في ذلك الباب .

(٣) ايضاً الخبر الثاني من ذلك الباب .

(٤) التعرب بعد الهجرة : هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجراً .

(٥) هو الخبر الثامن من ذلك الباب ، وقد مضى شطر من الكلام في الكبائر والصغائر .

الله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والجهل كلّها من معاصي القلب ، نعم بعض مراتبها لا تعد كبيرة بل ولا محرّمة ، بل داخله في المكروهات والثاني كالكبائر التي ذكرناها آنفاً ، والبدعة ومنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ، والسعي في خرابها ، والسعي في كلّ معصية ، وكتمان الحقّ والرّشا ، والوقوف في بلاد الكفر بعد التمكن من الخروج منها ، ومشاقّة الرّسول . ومتابعة غير سبيل المؤمنين ، والاستكبار عن الدعاء وكل عبادة ، وقطع الطريق ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وتكذيب آيات الله ، وايداء رسول الله والمؤمنين واهانتهم ، بل وايداء الحيوانات من غير اذن الشرع ، والأعراض عن آيات الله وابطالها ، والتخلف عن الجهاد بل بعض اقسام الدّفاع ، والقعود في المساجد جنباً وحائضاً والمرور عن المسجدين ، ولبس الذّهب والحرير للرّجال عدا المشروط في حال الحرب ، والاكل والشرب من اواني الذّهب والفضّة ، بل واتخاذهما ، وعمل آلات اللّهُو والقمار .

ومنها الآلات المذكورة ، وتصوير ذوات الارواح ، والاحوط ترك اتخاذها محترماً والبناء رياء وسمعة اي فضلاً على ما يكفيه ، واستطالة على الجيران ، ومباهاة للاخوان ، والاستخفاف لفقير مسلم ، وعدم اعفاء اللّحية ، والقمار والرهانات إلّا ما استثنى ، وانشاء ما يتضمّن هجاء مؤمن ، والتشبيب بإمرأة معيّنة غير محللة ، أو بغلام على الأحوط ، والنياحة بالباطل ، والاستماع اليها ، والغناء بالصوت اللّهُوى ، والقيادة والمساحقة ، ومباشرة المرأة مع الاخرى ليس بينهما ثوب ، وتحدثها بما تخلويه مع زوجها ، وتزيينها لغير زوجها ، وخروجها من بيتها بدون اذن زوجها ، والنظر إلى الاجنبي مع ريبة ، حتّى نظر الرّجل الى الجميل من الولدان ، والمصافحة مع غير الحرم من النّساء ، والتزامهنّ ، ونظر الرّجل إلى عورة أخيه المسلم ، والمداة إلى عورة المداة ، والتطلع على دور

الغير ، والجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لعن ^(١) رسول الله الخمر ، وعاصرها وغارسها وشاربها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وقال انّ الله لعن أكل الربا ، وموكله وكاتبه ، وشاهديه .

وعن أمير المؤمنين (ع) ^(٢) :

إيّاك أن تكون عشارا ، أو شاعرا ، أو شرطيا ، أو صاحب عرطبة وهي الطنبور وصاحب كرية ، وهي الطبل .

ومن المعاصي الاخبار بالمغيبات على البت ، لغير نبيّ أو وصي نبيّ سواء كان بالتنجيم ، أو الكهانة ، أو القيافة ، أو الرمل ، أو غير ذلك ، والشعبذة والسحر ، وفي الحديث إيّاكم وتعلّم النجوم إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر ، فإنّها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم ^(٣) كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكاfer ، والكاfer في النار ، وفي آخر من تكهّن أو تكهن له ، فقد برء من دين محمّد (ص) .

والسّحر ^(٤) هو كلام ، أو كتابة أو رقية أو اقسام ، أو عزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ، ومنه عقد الرجل عن زوجته ، وإلقاء البغضاء بينهما ، ومنه استخدام الملائكة والجنّ ، واستنزال الشياطين في كشف الغايات وعلاج المصاب ، واستحضارهم ، وتلبسهم ببدن صبيّ أو

(١) وسائل الشيعة : كتاب التجارة لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة : غارسها ، وحارسها ، وعاصرها ، وشاربها ، وساقها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبائعها ، ومشتريها ، وآكل ثمنها ، وما نقله قدس سره ليس متن الرواية ، ولعله منقول بالمعنى ، مع اختصار .

(٢) كما عن نوف البكالي عن علي عليه السلام وقد نقلوه في الكتب الفقهية ايضاً .

(٣) كما في الوسائل عن نصر بن قابوس وغيره .

(٤) هو عبارة الشهيد في الدروس .

امراً ، وكشف الغائب على ذلك ، فتعلّم ذلك واشباهه حرام ، والتكسّب به سحت إلّا للتوقّي ، ودفع المتنبّي ، ويجوز حلّه بالقرآن ، والاقسام ، أو مطلقاً ، وفي الخبر^(١) : حلّ ولا تعقد ، ومنها الغضب لغير الله ، والحميّة ، والعصبية مع اعمالها ، والتكبر ، والتجبر ، والاختيال في المشي ، والتفاخر حتّى بالولائم ، والبذاء والفحش ، والبغي وتزكية النفس ، والخرق والمراء ، والنميمة والاستماع إليها واشاعة الفواحش في المؤمنين ، وتجسّس عيوبهم ، والبهتان والسعاية ، والسباب واللّعن ، والطعن لغير مستحقّهما ، والمكر والخديعة ، والغدر والغش والتدليس إلّا ما استثنى والغضب والنهب وأكل ما حرّمه الشرع بل مطلق التصرف المحرّم والذهاب بحقوق المسلمين ، والظلم والقساوة والجفاء وكلّ ما نهى الله ورسوله عنه ، وترك الآداب والسنن النبوية بالمرّة ، واعانة الظالمين والاعانة بالكفر ، والإثم ، هذه اصول الطاعات والمعاصي ، وإذا أراد التوبة فلينظر بالتأمل في جميعها ، واحداً بعد واحد في ثلاثة أمور :

الأوّل : في انقسام هذه الى الأعضاء ، فيكتب لكلّ عضو صحيفة لما يجب عليه ، ولما يحرم ، وفي كلّ صفحة جدولين طويلين ، وفي ذيل كلّ جدول أيضاً جدولين ، ثمّ يتفكّر أوقاته من بلوغه إلى حين التوبة تفصيلاً ، هل يجد فيها اخلاً بالواجبات ، أو ابتلاه بالمحرّمات ، ثمّ ينظر هل من المحرّمات ما ارتكب به أو من الواجبات ما اخلّ به ، يثبت كلّاً منها في صحيفة ثمّ ينظر هل هو من حقوق الله ، أو من حقوق الناس ، ويكتب كلا منهما في جدول ، ثمّ ينظر في حقوق الله هل له قضاء ، أو كفارة أو لا ، يثبت تفصيلاً في محله ، ثمّ إذا بالغ في تجسّس حالاته ، وأوقاته أياماً بهذا المنوال ، فيثبت كلّ ذلك في محله ، ثمّ ينظر في حقوق الناس هل له اداء وتبرئه ، أم ليس له إلا الاستغفار ، وهديّة

(١) كما عن الكافي في رواية عيسى بن السقفي عن أبي عبد الله عليه السلام .

الأعمال ثم يتجسّس ما جنى في صغره في أموال الناس ، وثبت في ذمّته ضمان مالي لمسلم ، أو ذمّي فيشتها في صحيفة أخرى ، ثم يشتغل باستخلاص ذمّته ، ويغتسل غسل التوبة ، ويذهب إلى موضع خال ، ويعمل أولاً بما رواه السيّد في الإقبال عن رسول الله للتائب ، ثم يسجد على الأرض ، ولو كان جلوسه على الرماد كان أولى ، يدعو الله باسمائه الحسنی ، ويكثر من ذكر أسمائه الجماليّة ، ويختمه بيا أرحم الراحمين سبعاً ، ثم يعترف بذنوبه ، ويعدّها كلّما أمكنه ، ثم يحمد الله على امهاله ، وفتح باب التوبة ، ثم يصليّ على محمّد وآله ويبالغ فيها ، ثم يصليّ على جميع الأنبياء والمرسلين ، والملائكة أجمعين ، وجميع عباد الله الصالحين ، وجميع المؤمنين ، ثم يدعو لإمام زمانه حجّة الله صاحب الزمان ، أرواح العالمين فداه بالفرج ، والعافية ، والنصر ، ثم يكشف عن رأسه ، ثم يحثّ التراب عليه ، ويتمرّغ في التراب ، ويبكي بكاء الثكلى ، ويلجّ في الاستغفار ، ويقول : يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس اجب لي في قبول توبتي ، ووفّقني لاتمامه ، فإنّ الخير كلّه بيدك ، وأنت الفاعل لما تشاء ، وكيف تشاء : ثم يقول يا كريم العفو ، يا مبدّل السيّئات بالحسنات ، صلّ على محمّد وآله ، وبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات ، ويا قابل السحرة صلّ على محمّد وآله ، واقبلني ثم يقول : اللهمّ إن كنت قبلت مثلي فاقبلني يا قابل السحرة اقبلني اللهمّ وإن لم تكن قبلت إلى الآن مثلي ، فمن الآن اقبلني وأمثالي ، فليكن هذه أوّل ما ظهرت من وسعة رحمتك الّتي لم تظهر إلى الآن في الوجود ، فإنّ رحمتك وسعت كلّ شيء وأنا شيء فامتعني رحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم يكرّر هذا التفصيل ثلاثاً ، ويختم كلّ واحد منها بالصلاة ، وقول ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله ، ثم يعزم على تركها فيما يأتي مستعيناً من الله ، ومتوكّلاً عليه ، ويشرع في استكمالها على ما ذكرنا مبتدئاً بالأهمّ والأهمّ ، وليحسن ظنّه بقبول الله تعالى ، وإن يرى توبته ناقصة يراقب في الوفاء بتوبته ، وإن اتّفق إحياناً نقضها في

بعض الامور ، فليعد إلى التوبة ، ويقرء على نفسه اخبار الرجاء ، ولا يئس من روح الله وقبوله ، فما لم يسأم العبد من التوبة لا يمنع الله من المغفرة ، فإنّه هو التوّاب الرحيم ، ويبالغ في الالاحاح والمسئلة بالمغفرة ، على قدر عظمة الجنايات .

وليتذكّر توبة أبيه آدم ، وما روي أنّه بكى مأتي سنة .

وليتذكّر ما روي من توبة داود (ع) ، حيث روى أنّه سجد أربعين يوماً ، لم يرفع رأسه من السجدة حتّى خرقت ركبتة ، وجهته ونبت حوله من دموع عينيه نبات ، واحرقه بنار نفسه ، حيث تأوّه من شدّة حزنه ، وكان بعد قبول توبته ينوح على نفسه ، ويبكي على خطيئته في البراري ، وروي أنّه إذا أراد النياحة ، امر سليمان أن ينادي في الناس ، الا من أراد ان يسمع نوح داود (ع) على نفسه ، فليأت فيجتمع حوله من الناس ، والوحوش خلق كثير ، فيأخذ في ثناء الله تعالى ثمّ ذكر الجنّة والنار ، ثمّ في أهوال يوم القيامة ، وفي النياحة على نفسه ، فيموت من الهوام والوحوش ، ومن الناس جمع كثير ، فيقول سليمان (ع) : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كلّ ممزق ، فيأخذ في الدعاء ، فيينا هو كذلك إذ نادى بعض العباد يا داود عجلت في طلب الجزاء على ربّك ، فيخرّ داود (ع) مغشياً عليه ، فيأخذ سليمان (ع) سريراً ، ويحمله عليه إلى داره ، وينادي المنادي في الناس : الا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير ، ويحمل جنازته ، فإنّ الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنّة والنار ، فكانت المرأة تأتي فتحمل قريبه ، ويقول : يا من قتله ذكر النار ، يا من قتله خوف النار ، ! وهكذا يكون حال من كان عارفاً بعظمة ربّه ، مع أنّ خطاياهم (ع) ما كانت من ذنب كذنوبنا ، فإنّهم معصومون عن ارتكاب الذنوب ، وخطاياهم ، أنما كان ترك الاولى ، وليتأسّ بالشابّ النبّاش ، ويذكر قصّته على ^(١) ما رواه في الصافي عن المجالس

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٥ نقلها قدس سره باختلاف يسير .

عن عبد الرحمن بن غنيم الدوسي قال دخل معاذ على رسول الله (ص) باكياً ، فسلم فرده ، ثم قال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله انّ بالباب شاباً طريّ الخد ، نقيّ اللون حسن الصورة يبكي على شبابه ، بكاء الثكلى على ولدها ، يريد الدخول فقال النبيّ (ص) : ادخل عليّ الشاب يا معاذ ، فادخله عليه فسلم فرّد ، ثم قال : ما يبكيك يا شاب ؟ قال : كيف لا أبكي ، وقد ركبّت ذنوباً ان أخذني الله ببعضها ادخلني نار جهنّم ، ولا أراني إلّا سيأخذني بها ، ولا يغفر لي ابداً فقال رسول الله (ص) : هل اشركت بالله شيئاً ؟ قال : أعوذ بالله ان اشرك بربي شيئاً ، قال : أقتلت النفس التي حرم الله ؟ قال : لا ،

فقال النبيّ (ص) : يغفر الله لك ذنوبك ، وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ، ورمالها وأشجارها ، وما فيها من الخلق ، قال : فأنّها أعظم من الأرضين السبع ، وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق ، فقال النبيّ (ص) : يغفر الله لك وإن كانت ذنوبك مثل السموات ، ونجومها ، ومثل العرش والكرسي ، قال : فأنّها أعظم من ذلك ، قال : فنظر النبيّ كهيئة الغضبان ، ثم قال : ويحك يا شابّ ذنوبك اعظم أم ربك فخرّ الشابّ بوجهه وهو يقول : سبحان ربّي ما من شيء أعظم من ربّي ، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم ، فقال النبيّ (ص) : فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الربّ العظيم قال الشابّ : لا والله يا رسول الله ، ثمّ سكّت الشابّ فقال النبيّ (ص) : ويحك يا شابّ الا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك ، قال : بلى اخبرك أنّي كنت انبش القبور سبع سنين ، اخرج الأموات وانزع الأكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرفت عنها أهلها ، وجنّ عليها اللّيل ، أتيت قبرها ونبشتها ثمّ استخرجتها ، ونزعت ما كان عليها من أكفانها ، وتركتها مجرّدة ، على شفير القبر ، فمضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّن لي ، ويقول : أما ترى بطنها وبياضها ، أما

تري ورکها ، فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ، ولم أملك نفسي حتى جامعته ، وتركتها مكانها فإذا أنا بصوت من ورائي يقول : يا شاب ويل لك من ديّان يوم الدين ، ويوم يقضي لي ولك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى ، ونزعتني من حفرتي ، وسلبتني اكفاني ، وتركتني أقوم جنباً إلى حسابي ، فويل لشبابك من النار ، فما أظنّ إنّي أشمّ رائحة الجنّة أبداً ، فما ترى لي يا رسول الله فقال النبيّ (ص) : تنح عني يا فاسق ، إنّي أخاف أن احترق بنارك ، فما اقربك من النار ، ثمّ لم يزل يقول ويشير إليه حتى مضى من بين يديه ، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ، ثمّ أتى بعض جبالها ، فتعبّد فيها ، ولبس مسحاً ، وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ، ونادى يا ربّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا ربّ أنت الذي خلقتني ، وزل منّي ما تعلم سيّدي ، يا ربّ أصبحت من النادمين ، وأتيت نبيّك تائباً ، فطردني ، وزادني خوفاً ، فأسئلك باسمك وجلالك عظم سلطانك ان لا تخيب رجائي ، سيّدي ولا تبطل دعائي ، ولا تقنطنني من رحمتك ، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة ، ورفع يديه إلى السماء وقال : « اللّهمّ ما فعلت في حاجتي ان كنت استجبت وغفرت خطيئتي فاوح إلى نبيّك ، فإن لم يستجب دعائي ، ولم تغفر لي خطيئتي ، وأردت عقوبتي ، فعجل بنار تحرقني ، أو عقوبة في الدنيا تهلكني ، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة ، فأنزل الله على نبيّه ﴿ والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ أتاكَ عبيدي يا محمّد تائباً ، فطرده فأين يذهب ، وإلى من يقصد ، ومن يسئّل أن يغفر له ذنبه ، ولمّا نزل الآية كان يتلوها النبيّ (ص) ، وتبسّم فقال لأصحابه : من يدلّنا على ذلك الشاب قال معاذ : يا رسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه ، حتى انتهوا

إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبونه ، فإذا هم بالشاب قائم بين الصخرتين ، مغلولة يده إلى عنقه ، قد اسودَّ وجهه ، وتساقطت اشفاره من البكاء ، ويقول سيدي قد أحسنت خلقي ، وأحسنيت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي في النَّار ، تحرقني أو في جوارك تسكنني ، اللَّهُمَّ أنك قد أكثرت الإحسان إليّ ، فأنعمت عليّ فليت شعري فماذا يكون آخر أمري إلى الجنة تزفني أم إلى النار تسوقني ، اللَّهُمَّ انّ خطيئتي أعظم من السموات والأرض ، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم فليت شعري تغفر خطيئتي ، أم تفضحني بها يوم القيامة ، فلم يزل يقول نحو هذا ، وهو يحثّ التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السَّباع ، وصفت فوقه الطير ، وهم سيكون لبكائه ، فدنّى رسول الله فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه ، وقال : ابشر ، فأنك عتيق الله من النار ، ثم قال : لاصحابه هكذا تداركوا الذنوب ، كما تداركها بهلول ، ثم تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه ، وبشره بالجنة .

خاتمة : اعلم انّ الذي يفهم من اخبارنا ، انّ الكون ^(١) على الطهارة مستحبّ في جميع الأوقات ، لا سيّما لطالبي العلم فإذا كان الأمر على ذلك فلا وجه للاحتياط في الوضوء لتحصيل الطهارة قبل الوقت ، وإن كان غرضه من هذا التحصيل ان يصلي بهذه الطهارة صلواته في الوقت ، لأنّ الدّاعي الأوّل أمر راجح مطلوب شرعاً ، وإن كان الدّاعي أمراً غير قربي وظنيّ انّ هذه الاحتياط على اطلاقه ليس براجح ، حيث أنّه كثيراً ما يؤدّي في الأسفار إلى الصلاة بالتيّم ، وإلى ترك الكون على الطهارة ، وورد في الاخبار حثّ أكيد على الكون على الطهارة ،

(١) كما في الوسائل في حديث أنس « وان استطعت ان تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل » .

وكما في الحديث الآتي المروي عن ارشاد الديلمي ، ورايته مروياً في كتب العامة ايضاً : « من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني » الحديث نقله ملخصاً قدس روحه .

مثل ما ورد : أنّ من أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني ، ومن توضّأ ولم يصلّ ركعتين فقد جفاني ، ومن صلّى هاتين الركعتين ، ولم يدع عقبيها فقد جفاني ، ومن يتوضّأ وصلّى ودعى عقبيها ، ولم استجب له دعائه فقد جفوته ، ولست برّب جاف ، ثمّ أنّه كان بعض مشايخي ^(١) قدّس الله سرّه ، وجزاه عنّي خير جزاء المعلّمين المربّين ، كان يوضيني بالعمل بمضمون هذه الرواية ، ويقول اسجدوا بعد هاتين الركعتين وادعوا الله في السجدة ان يرزقكم معرفته ومحبّته .

فصل : يجب الوضوء ^(٢) للصلاة الواجبة ، والمندوبة ، والطواف الواجب ، ولمس كتابة القرآن ، والأحوط تركه لمسّ جلده وورقه ، وأسماء الله ، وأسماء المعصومين ، وكتابة القرآن ، ويستحبّ للكون على الطهارة ، وللطواف المندوب ، أو شيء مما لا يشرط فيه الطهور من مناسك الحج ولدخول المسجد ، وللتأهّب للصلاة الفريضة قبل دخول الوقت ، وقراءة القرآن ، ولطلب الحاجة ، وللنوم ، وجماع المرأة الحامل ، وللدخول على الأهل من السفر ، ولصلاة الجنائز ، ولادخال الميت على قبره ، وللمتطهّر إذا مضى من طهارته مدّة يصحّ بها اطلاق التحديد به ، وللمحدث بالرعاف والقيء ، والتقبيل بشهوة ، ومسّ الفرج ، وبما خرج من الذكر بعد الاستبراء ، وإذا توضّأ قبل الاستنجاء والتخليل ^(٣) المخرج للدم مع كراهية الطبع آياه ، والمذي وانشاء الشعر الباطل زيادة على أربعة آيات ، والكذب والغيبة والظلم والاكل الجنب ،

(١) وهو الآية في العرفان : والزهد والتقوى ، الاخوند المولى حسينقلي الهمداني رضوان الله عليه قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) كل ذلك مذكور في كتب الفقه والروايات ، فراجع اليها ، وقد أوجب العامة الوضوء في مثل الرعاف والقيء والتقبيل ومسّ الفرج والذكر ، والتحليل المخرج للدم بل لكل خروج الدم وغير ذلك ، ولا حاجة لاطالة الكلام ونقل الاخبار في ذلك .

(٣) اي تحليل الاسنان مع خروج الدم وكراهته خروجه .

ونومه وجماعه ، وتغسله الميّت ، ولغاسل الميّت إذا أراد الجماع قبل الغسل ، وللحائض إذا أرادت الذكر وقت صلاتها .

فصل : في الغسل حكمته وجوباً وندباً حكمة الوضوء ، وعبره مثل عبره ويزاد في عبره أن يعتبر الإنسان من وجوب غسل تمام البدن فيه ، أنّ التطهير بقدر الكثافة ، فإذا يعرف تكليفه في تطهير قلبه ، وروحه ، وسرّه عن كلّ ما يندسها بالجملة ، يستحبّ فيها التسمية ، والدعاء بالمأثور في اثنا بقوله : اللهمّ طهّر قلبي ، واشرح لي صدري ، واجر على لساني مدحتك ، والثناء عليك اللهمّ اجعله لي طهوراً وشفاء ، ونوراً أنّك على كلّ شيء قدير . وبعد الفراغ بقوله : اللهمّ ^(١) طهّر قلبي وزكّ عملي ، وتقبّل سعيي ، واجعل ما عندك خيراً لي ، اللهمّ اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين . وروي غير ذلك ، وهذه الاذكار كما ترى شاهدة على أنّ الغرض الأصلي ، والمقصود الأهم ، طهارة القلب ، وشرح الصدر وهو على ما روي عن النبيّ نور يقذف في القلب ، فينشرح منه الصدر ، وعلامته التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار الخلود ، والمراد منه على ما يراه بعض أهل التحقيق نور معرفة النفس ، وهو ان يرى حقيقة نفسه ، بلا صورة ولا مادة نوراً ذات حياة وعلم ، وهو النور الذي اشير إليه في آخر مناجاة شهر شعبان : والحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً كما ذكره بعض المشايخ ، وبالجملة إذا اعطى العبد نور معرفة النفس الذي به يمكن الوصول إلى معرفة الربّ ، يرى بهذا النور ملكوت هذه العوالم المحسوسة للناس ، فيكون انساناً ملكوتياً ، ويدخل في دار الخلود لغلبة روحانيّته ، وهذا هو المراد من الانابة إلى دار الخلود ، وكيف كان وكما أنّ طهارة الجوارح يرفع الموانع من دخول المسجد والصلاة ، كذلك طهارة السرّ عن مقتضيات هذا العالم المحسوس ، عالم

(١) كما في رواية علي بن الحكم رواه في الوسائل .

الطبيعة المظلمة يرفع الموانع عن الانابة الى دار الخلود ، أي الى دار السلام ، ودار الحيوان ، وجوار الله ، وبدخول هذه الدار يقرب العبد من الله ، ويحصل له المعرفة الكشفية فيكون ما عند الله خيراً مما عنده ، وعند الناس ، ويرى هذا العالم عالم الغرور .

ويستحبّ الغسل في مواضع يذكر في الفقه لا يهمنّا ذكرها ، إلا ما ذكر بعضهم من أنّه يستحبّ لكلّ مشهد ، ومكان شريف ، ولكلّ يوم وليلة شريفة ، وعند كلّ فعل يتقرّب به إلى الله ، ويلجأ فيه إليه ، ولا بأس بذلك برجاء المحبوبة ، كما يستشعر ذلك من تضاعيف الاخبار ، ومن خصوص بعضها .

مثل ما رواه في العلل عن الرضا عليه السلام في علّة غسل الجمعة والعيدين ، وغير ذلك من الأغسال لما فيه ، من تعظيم العبد ربّه واستقباله الكريم الجليل ، وطلب المغفرة لذنوبه ، إلى أن قال : وجعل في ذلك الغسل تعظيماً لذلك اليوم على سائر الأيام ، وزيادة في النوافل والعبادة ، وهذه الرواية تشعر بل تشهد على ما ذكر ، وهذا البعض الاسكافي ^(١) ، وكيف كان لا بأس بالاثنيان به في هذه المقامات برجاء المحبوبة ، هذا ويعلم بعض ما يلزم فيه من المراقبات ممّا أشرنا إليه ، ونزيد في ذلك لبيان عبرة لترتيبه يأتي في الوضوء أيضاً ، وهو أنّ الإنسان إذا التفت لعدم اهمال الشارع لترتيب غسل الاعضاء في الوضوء

(١) هو محمد بن أحمد بن الجنيد ، من أكابر علماء الشيعة الامامية ، متكلم ، فقيه ، محدث ، اديب ، واسع العلم صنف في الفقه والكلام ، والاصول ، والادب وغيرها تبلغ مصنفاته خمسين كتاباً ، والاسكافي منسوب الى الاسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط ، قيل مات بالري سنة ٣٨٠ .

ويطلق الاسكافي ايضاً على الشيخ أبي علي محمد بن أبي بكر ، همام بن سهيل بن بيزان المعاصر للشيخ الكليني توفي سنة ٣٣٢ ، وعلى أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي المتوفى سنة ٢٤٠ .

والغسل ، علم من ذلك عزّة الحكمة الإلهيّة . وإنّ لها في كلّ شيء مجرى ، وحكما في أهميّة امر المراقبة في جزئيات حركاته وسكناته ، وإذا اهتم بذلك وعمل بما علمه من وجوه الحكمة في الافعال ، يورثه الله علم ما لا يعلم من الحكمة ، ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وإذا تعمّق في ذلك ، ورأى أنّ تقديم الرجل مثلاً على الرأس خلاف الحكمة ، فيرضى بما يفعله الحكيم تعالى في جميع ما يحكم به ، ويرى أنّ سخطه على ما لا يوافق هواه من احكام الحكيم تعالى من نقصانه ، واعوجاجه وإلّا فلا اشكال في حسن الحكمة وكمالها .

فصل : في الحّمّام ، عن ^(١) أمير المؤمنين (ع) أنّه قال : نعم البيت الحّمّام يذكر النار ، ويذهب بالدرن ، وفي الرواية مع وجازتها اشارات لطيفة إلى مطالب جليلة ، ومهمّات عظيمة .

منها أنّه قدم ذكر النار على ذهاب الدرّن ، وفيه تأديب للمؤمنين في تقديم ذكر الآخرة على الدنيا ، ولو في الأمور الدنيويّة ، وكان هذا دابه (ع) في جميع اموره وأحواله بل وكان امره اعلى من ذلك ، وهو ان كلّ امرين وردا عليه وتساوى فيهما جهة رضا الرب تعالى من جميع الجهات ، كان ينظر في أنّ أيّهما اشدّ على النفس ، وعلى صاحبه ، ويمكن ان يكون تقديم ذكر الله في جميع الأشياء احد معاني قوله (ع) أنّه ما نظرت إلى شيء إلّا ورأيت الله قبله ، وبعده ومعه ، هذا وإن كان له معنى آخر على ما قدم ، وهو الأصل ، ولكنّه لا ينافيه كون ذلك أيضاً في مرتبة من معانيه ، هذا وكان لنا شيخ ^(٢) له أصحاب من أهل التقوى وكان من جملتهم سيّد ^(٣) من سادة بلدة همدان ، وكان شابّاً حسن

(١) كما في رواية محمد بن اسلم ، رواه في الوسائل .

(٢) وهو الشيخ الجليل الاخوند ملاحسينقلي الهمداني قدس روحه ، قدمنا ترجمته

فراجع .

(٣) ولعله السيد علي الهمداني على ما ذكره انه من تلاميذ الشيخ قده فراجع اعلام الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني دام بقاءه ، وذكرنا في ترجمته ايضاً .

السيرة بالفطرة ، مراقباً مجاهداً مستقيماً يشتغل لتحصيل الفقه ، وتركيزاً النفس في خدمة الشيخ فاتفق يوم ان شكى من أهل بلده من بعض اخوان هذا السيد إلى الشيخ ، بأنه قصر في أمر من الامور المتعلقة بالتجارة ، وامر الشيخ السيد ان يكتب في ذلك كتاباً لأخيه ، فكتبه وجاء به إلى الشيخ لينظر كيف كتبه وإذا فتح الشيخ كتابه ، وإذا في الكتاب ملامة لأخيه من سوء معاملته ، وأن امثال ذلك يضره في اعتباره عند الناس في كسبه ، وإنه يضره في آخرته ، ولما رأى الشيخ كتابه ، وأنه قدم الضرر الديني على الضرر الاخروي ، قال : هذا الكتاب يشبه كتاب الغافلين ، فإن المراقب لا يقدم ذكر الدنيا على الآخرة .

ومنها ان الحَمَام يذكر النار للمراقبين ، فمن لم يتذكر النار في الحَمَام ، فهو من الغافلين ، ووجه ذلك ان المؤمن من جهة ايمانه باليوم الآخر لا بد له ان يكون دائماً خائفاً من النار ، حتى يجوز على الصراط ويأمن منها ، والخائف من شيء هائل منتظر ، انما يتذكر بروية كل ما يشبه ما يخافه ، والحَمَام انما يشبه في بعض الوجوه بجهنم ، لأن النار من تحت ، والظلمة من فوق ، وهو ماء حار .

ومنها الاشارة إلى أن المؤمن انما يلزمه ان يكون متذكراً في كل ما يراه ، ما يناسبه من امر آخرته ، فان الحَمَام لا خصوصية له من هذه الجهة ، فالحكم عام فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون له فيما يراه من جزئي أو كلي عبرة ، وموعظة فاذا نظر الى النار ، يتذكر منها نار جهنم وإلى الظلمة ذكر ظلمة القبر ، وان استوحش من شيء ذكر وحشة القبر ، وإن رأى شيئاً بالياً ذكر منه بلائه . وهكذا .

ومنها ان النظافة حتى نظافة البدن امر مرغوب ، ثم انه ^(١) يستحب ان يقول الإنسان إذا دخل في البيت الثالث ، نعوذ بالله من النار ، ونسأله

(١) كما في رواية محمد بن حمران رواه في الوسائل

الجنة إلى أن يخرج منها .

فصل : في التنوير ، ورد في الحث عليه اخبار كثيرة ، وفي الزجر^(١) عن تركه وتأخيره عن شهر أمر عظيم ، وللمراقب في امره عبرة شريفة ، وهي ان هذه الشريعة لم يهمل الانسان من العمل بالحكمة في أمر اشعار معدودة على اسافل اعضائه ، وزجر عن عدم ازالتها بالتأكيد كيف يجوز ان يهمل هذا الحكيم الانسان في اصلاح صفات قلبه ، التي بها تميزه عن سائر الحيوان وينله إلى الدرجات العلى مع العليين ، وتشبهه بالملائكة العالمين ، وأيضاً يجب على المؤمن باحكام هذه الشريعة ، إذا رأى ما روي في رواية التنوير ان من تركها شهراً لم تقبل صلاته ، ان يعتبر من ذلك في الجدّ للعمل بجزئيات احكام الشرع ، ولا يستحقر شيئاً من جزئياتها ، ويستحبّ لمن تنوّر ان يدعو بهذا^(٢) الدعاء : «اللهم طيّب ما طهر منّي ، وطهر ما طاب منّي ، وابدلني شعراً طاهراً لا يعصيك ، اللهم أني تطهرت ابتغاء سنّة المرسلين ، وابتغاء رضوانك ومعرفتك ، فحرّم شعري وبشري على النار ، وطهر خلقي ، وطيّب خلقي وزكّ عملي واجعلني ممّن يلقاك على الحنفية السمحة ، ملّة إبراهيم ، ودين محمّد حبيبك ، ورسولك عاملاً بشرائعك ، تابعا لسنة نبيّك (ص) ، آخذاً به متأدياً بحسن تأديبك ، وتأديب رسولك (ص) وتأديب أوليائك الذين أدبتهم^(٣) بأدبك ، واوعت الحكمة في صدورهم ، وجعلتهم معادن لعلمك ، صلواتك عليهم » فمن قرئه طهره الله من الادناس الدنيويّة ، والصفات الرذيلة من الذنوب ، وبدله من كلّ شعر

(١) كما في الوسائل « باب استحباب النورة وان قرب العهد به » وباب لا اطلاع في كل خمسة عشر يوماً .

(٢) كما في الوسائل عن سدير انه سمع علي بن الحسين عليهما السلام يقول : من قال اذا طلى بالنورة : اللهم طيب الدعاء .

(٣) في نسخة الوسائل : غذوتهم بأدبك .

أزال من بدنه شعراً لا يعصى فيه ، ويخلق بعدد كل شعرة في بدنه ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة ، يسوى كل واحد من تسبيحهم ألف تسبيح من تسبيحات أهل الارض ويلحق بالنورة ازالة شعر الإبط ، وفيه أيضاً تأكيد شديد ، ويستحب ازالة سائر شعور بدنه غير المنشأة منها ، ويستحب لمن تنور ان يتحنأ^(١) موضع التنوير كله ، بل سائر جسده من الفرق إلى القدم ، كما يجب على من تخلّى من الرذائل ، أن يتخلّى بالفضائل .

فصل : في تقليم الأظفار ، والعبرة في ذلك ان يعلم المراقب ان ايداء الغير ، والظلم والتشبه بالسباع ممقوت عند الله ، بحيث لم يرض بما هو من آلتها في بدن الانسان ، فأمر بتقليم الأظفار ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في مواضع^(٢) عيسى (ع) : « قل لظلمة بني إسرائيل قلموا أظفاركم من كسب الحرام ، واصموا اسماعكم من ذكر الخناء^(٣) واقبلوا بقلوبكم ، فاني لست أريد صوركم » فعلم من ذلك ان المراد الأصلي من هذه الاحكام الصورية ، هو اصلاح القلوب بصفة العدل ليصلح لخلافة العدل الحكيم تعالى ، ويعلم من ذلك عناية الله في حق هذه الأمة المرحومة ببيان هذه الجزئيات ، ويعلم هذه المراتب من حكمة الظاهر والباطن ، ومنته عليه حيث جاء من الله بهذه الشريعة الكاملة التي لم يترك فيها شيء يمر ممّا يقرب^(٤) من الله تعالى ، وما يبعد عنه حتى ارش الخدش ، ويتفطن من ذلك أن شريعته هو الصراط المستقيم ، الذي هو أقرب الطرق إلى الله على التحقيق لا المجاز .

فصل : في أخذ الشارب واعفاء اللحى . للعبد المراقب ان يتفطن من هذا الحكم عناية الله في حق عباده ، بعدم رضاه ان يكون على

(١) اي طلي الحناء والخضاب به ، كما في الوسائل عن محمد بن يعقوب ره .

(٢) كما في البحار ج ٥ في مواضع عيسى عليه السلام نقلاً عن الكافي والأمال .

(٣) الخناء : الفحش .

(٤) كما في خطبة حجة الوداع للنبي ص .

صورة اعدائه فإن ذلك غاية للاعتناء بالعبد من المولى ، وأن يتفطن بخطر مخالفة هذا السيّد البرّ الودود ، وكيف يبذل مقام التكريم ، والتشريف والودّ والعطف على الذلّ والهوان ، والبغض والعدوان ، حتّى يكون التشبّه به في الصورة أيضاً حراماً ، وبالجمله ورد في الحديث القدسي (١) إنّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس اعدائي ، ولا تطعموا مطاعم اعدائي ، ولا تسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

أقول : فانظر يا مسكين ، ان سيّدك أنما خصّك واصطفاك لنفسه ، وميّزك عن أعدائه ، حتّى في الصورة والهيئة ، بدنأً ولباساً ، ومسكناً ونزهك عن التشبيه بهم ، حتّى في الصورة والهيئة ، فان خالفته في هذا الحكم ، وامتنعت عن قبول هذه العناية ، وتلبّست بعد ذلك بلباس اعدائه ، واخترت التشبّه ماذا يحكم عقلك بهذه المخالفة من الجسارة والقبح ، هل هذه إلّا اظهار العناد برّب البلاد والعباد ، وتفكّر في هذه الجاهرة بالشقاق والعناد ، بالنسبة إلى ملوك الدنيا وساداتها ، مثلاً اذا كان للسلطان لباس خاص بجنوده ورعيّته ، ولعدوّه أيضاً لباس مخصوص ، وأعطى السلطان خلعتة لواحد منهم ، وقال اجعله لباساً لك على هيئة ألبسة جنودي ، ورعيّتي ، وحذّر أن يجعله على هيئة لباس اعدائه ، وخالف هذا وذلك ، وجعل خلعة السلطان على هيئة لباس اعدائه ، ولبسه في حضوره ماذا يقول العقلاء لهذه المخالفة ، أيعده معصية ، أم يقول أنّه معاندة ، واطهار شقاق وطغيان ؟! فاحذر من مثله في امر ملك الملوك تعالى .

فصل : في العطر ، روي في الكافي عن عليّ بن ابراهيم ، رفعه إلى أبي عبد الله (ع) في حديث قال : صلاة متطيّب افضل من سبعين

(١) كما في الوسائل عن الكافي بإسناده عن اسماعيل بن مسلم في باب كراهة

لبس السود .

صلاة بغير طيب ، وروى الصدوق بإسناده عنه (ع) ، قال : لمفضل : ركعتان يصلّيهما متعطر أفضل من سبعين ركعة يصلّيهما غير متعطر ، ورواه في الخصال أيضاً .

أقول : لا يذهب عليك أنّ مثل هذه الرواية ، والفضل للطيب أنّما هو من جهة شرف العقل ، لأنّ العطر يقوّي الدماغ ، ويحفظه من الفساد وفساده يفسد العقل ، والعقل أشرف أركان حقيقة الانسان ، وأشرف مراتبه ومقاماته ، بل هو أشرف اجزاء العالمين كلّها ، وجميع الخيرات منسوبة إليه ، كما أنّ جميع الشرور منشأ الجهل ، ولذا ورد الحثّ الأكيد ، والترغيب لكّما له دخل في تقويته ، ودفع الموزيات عنه ، وأيضاً العطر مثال المتحلي الذي هو شطر مقابل للمتحلي ، الذي يعبر عنه في الاخبار بنصف الايمان ، فيكون هذا أيضاً مثلاً بنصف الايمان ، فليتفطن العاقل من امثال هذه الأحكام ، على درجة لطف الله جلّت آلائه ، واستحكام شريعة حضرت سيّد المرسلين ، أنّهم لم يهملوا امثال هذه الجزئيات من أسباب تقوية العقل الكاسب للايمان والتوحيد ، والكمال ، والسعادة فيستحيي بعد هذا التفطن ، عن اهمال احكام هذا العقل ، وتضييع هذه الألطاف الثمينة ، وكفران هذه النعم الجميلة الجليلة ، فليخاطب نفسه العوّاد للكفران ، والتعرض للخذلان ، ويقول : يا جاهل يا عدوّ نفسه إلى م هذا التواني والكسل ؟ والاهمال والتضييع ، والتعرض للهلاك ؟ أما ترى أنّ الربّ الودود لك في مقام هذا اللطف اللطيف ، والذكر الشريف ، بأن جعل لك شريعة ، وأحكاماً ، وتعرض فيها لهذه الجزئيات من جزائك ، وأرسل نبياً وأنزل كتاباً ، وجعل لذلك ملائكة ، وحفظة وأعواناً ، وجعل بتحصيل هذه الخيرات مثوبات جزيلة ، وأنّت تضيعها كلّها بالاهمال .

فصل : في التيمّم قال الله تعالى (١) : ﴿ وإن لم تجدوا ماءً

(١) النساء الآية ٤٣ .

فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً .

أقول : ينبغي للعاقل ان يمعن النظر في أمثال هذه الأحكام التي لا سبيل للعقول العامة إليها ، فإنّ عقول العامة ترى الوضوء والغسل مناسبة بل لازمة للصلاة حيث يرى فيها التنظيف ، والتطهير ، ولا ترى للتيمّم ذلك ، بل ترى خلافه ، ولكن إذا أمعن النظر في قوله تعالى بعد آية التيمّم ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ﴾ أنّ التراب أيضاً طهور ، كما قال رسول الله (ص) : جعلت لي الأرض مسجداً ، وترابها طهوراً ، ووجه كونه طهوراً لا يدرك إلاّ برؤية القذارات المعنوية ، وروح هذه القذارات الظاهرية ، ونور التواضع بمسّ التراب ، ومسحها على الأعضاء الشريفة ، فإنّ المقصد الأصلي من الوضوء أيضاً تطهير الأرجاس المعنوية بمسّ الماء ، الذي هو مظهر اصل الحياة ، والعلم الذي به الاستخلاص من جميع الاوزار ، والأرجاس ومسّه يؤثر في تطهير الظاهر والباطن ، وإذا فقد او ضُرّ فبدله ما يحصل منه تطهير الباطن ، وهو مسّ التراب الذي هو إشارة إلى الرجوع إلى حقيقته التي هي عدم محض ، وتواضع في الظاهر الذي هو فناء عن الانية ، فيحصل به ما يحصل بالماء والعلم من طهارة الباطن ، دون الظاهر ، ولأنّ مقصود الأهم امر الباطن ، فعند عدم الامكان اكتفى بطهارته التي هي العمدة ، دفعاً للحرص ، ويمكن أن يقال أنّ هذا عدة الله في جميع مراتب تذكية النفس، وتهذيب الأخلاق ، فإنّ آخر المجاهدة ان يتواضع العبد من حوله وقوّته ، ويرى الحول والقوّة كلّهُ لله ولكن الخطب كلّهُ في صدق هذا الحال، وعدم الغرور فيه ، وشاهده ان يكون هذا حاله بالنظر إلى الامور الدنيوية ، والأسباب الظاهرية ايضاً ، ولا يتمسك في جلب منافعه ، ودفع مضارّه بالأسباب إلاّ من جهة أمر الله ، لا لاعتقاده انّه ينفعه أو يضرّه .

فصل : في اللباس ويقع الكلام فيه في امور :

الأول : في معرفة أنه تعالى أنما كرم بني آدم به ، دون سائر أنواع الحيوانات ، وله شكر النعمة ، ولا اقل من أن لا يخالف العبد في كرامة الله من اللباس مراده ، فان المخالفة بنفس الكرامة اقبح لا محالة عند العقل ، والمخالفة في اللباس يكون من وجوه :

الأول : بأن تخالفه في ذاته بأن تجعله من المغصوب ، أو جنسه بأن يلبس الحرير أو الذهب مثلاً .

والثاني : أن تخالفه في مقداره بالتبذير .

والثالث : أن تخالفه في هيئته بالاطالة المنهية ، ونحوها أو بالتشبه بالنسوان ، أو بالتشبه بالكفار وظنى أن هذا اغلظ صور المخالفة ، وأقبحها على العاقل لأن التشبه بأعداء الله ، والتلبس بلباسهم في حضوره ، بعد نهيه بالخصوص ، كأنه مبارزة ، ومعاندة له في حكم العقل ، لا سيما بعد ملاحظة ما ورد في الحديث القدسي ^(١) بهذا اللفظ : قل لعبادي : لا تلبسوا بلباس أعدائي ، ولا تشبهوا بأعدائي فتكونوا أعدائي ، ثم أنه يزيد قبحاً ، وخامة أن يكون ذلك في بلاد المسلمين ، لأنه يكون لا محالة مبغوضاً ^(٢) لهم ، ومنكراً عندهم ، ومخالفاً لصورهم واللباس نفسه للستر ، والحفظ وكيفيته ليس إلا للترزين للغير ، فالتلبس بلباس الكفار في بلاد المسلمين ، مع كونه منكراً عندهم ، لا يكون إلا من مناسبة ذاتية ، وإلا فالعرضيات هناك تقضي بتركه ، وذلك كتلبس بعض أهل زماننا بلباس الافرنج ، فإنهم يتشبهون بالافرنج بقصد الوجه فيما يضرهم في دنياهم أيضاً ، بل وقد رأى أن بعضهم من جهة التشبه بهم ، يعالجون شعرهم الأسود بالدواء ليكون

(١) كما مر في الحديث القدسي المروي في الوسائل .

(٢) قد صار التلبس بلباس اعداء الدين في زماننا هذا عزة وفخاراً والتلبس بلباس اهل الدين وشعار المسلمين عاراً وشناراً والى الله المشتكى .

اصفر ، ويشبه الافرنج مع انّ أهل الذوق اجتمعوا انّ السواد في الشعر أجمل ، نعوذ بالله من الخذلان في الدنيا والآخرة .

ثمّ انّ الراجح في أمر اللباس ، الاقتصاد لا الفاخر الأعلى ، ولا الداني الأسفل بخلاف المأكل والمسكن ، وغيرهما ممّا يعيش به الانسان من عروض الدنيا ، لما في الأخبار في تعريف الشيعة ، التعبير بقولهم (ع) مأكلهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، فإنّ الشهرة باللباس مرغوب^(١) عنه ، من كلا الطرفين ، وربّما يترجّح أحد الطرفين بالعرض ، هذا ويكره^(٢) الصّلاة في الثوب الذي فيه تماثيل ، والخاتم الذي فيه صور ، ولو كانت مستورة خفت الكراهة ، ولو غيّرت بقطع الرأس مثلاً انتفت ، وكذا في الحديد إلا إذا كان مستوراً او حال ضرورة ، وقيل بالحرمة ، وفي ثوب من لا يتوقّى النجاسة ومن يستحل الميتة بالدبغ ، والثوب الذي يلاصق وبر الأرنب ، والثعالب ، والسود إلا في الخف ، والعمامة والكسا ، والمشيّع اللّون والرقيق الغير الحاكي وفي السراويل وحده إلا أن يجعل على عاتقه شيئاً ، ولو حبلاً ، ومع الخضاب وإن كانت خرقة نظيفة ، واللّثام للرجل ، وتخف حالة الركوب وقيل بالتحريم والنقاب للمرأة ، وخلو جسدهنّ عن القلائد ، وفي الخلاخل المطلوبة لهنّ ، وظاهر القاضي التحريم ، وقيل لله اختصاصها بالصلاة ، واشتمال الصماء ، وهو ان يدخل الثوب من تحت جناحه ، ويجعله على منكب واحد ، وقيل هو جعل وسط رداءه تحت احدى ابطيه ، وطرفيه على المنكب الآخر ، والقميص الذي ليس عليه رداء للامام ، والعمامة لاحنك

(١) أي طرفي الخلقان والخشن ، والفاخرة الثمينة ، كما في الوسائل ، فعن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان الله يبغض شهرة اللباس ؛ وأبي سعيد عن الحسين عليه السلام قال : من لبس ثوباً يشهر كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار .

(٢) كل ما ذكره قدس سره مذكور في الوسائل ومعنون في الكتب الفقهية فلا حاجة لنا الى نقل ذلك كله واطالة الكلام فمن اراد فليراجع اليها .

لها ، وإن كان الظاهر من أكثر الاخبار كراهتها مطلقاً ، واستحباب التلحي ، والتحنك وهو ان يديره دوراً منها تحت الحنك ، والابتدال وهو ان يجعل أحد طرفيها بين المنكبين من خلف ، أو خلف الاذن اليمنى ، والثاني في الصدر ، والجمع أولى بأن يجعل رأسها مسدولة خلف المنكب الأيمن ، ويديرها على رأسه على ما يشاء ثم يديرها دورة تحت الحنك ، ويجعل آخرها مسدولا على الصدر من طرف الاذن الأيسر ، ويكره أيضاً في القباء المشدود ، وظاهر المفيد التحريم ، وفيما يستر ظهر القدم ، ولا يستر شيئاً من الساق كالشمشك ، وعبر بعضهم بالجرموق ، وهو معرب سرموزه وقال جماعة بتحريمه ، والنعل السندي ، وحرمه بعضهم كلها للنص ، إلا الثلاثة الأخيرة ، وفي استحباب لبس الفاخر في الصلاة ، لأن الله جميل يحبّ الجمال ، أو لبس الخشن أقوال مختلفة كظاهر الاخبار يمكن الجمع بأن يقال باستحباب كل منها أما الأول فلأن الله يحبّ الجمال ، وأما الثاني فبقصد التذلل والتواضع ، واحتمل بعض المحدثين حمل الثانية على التقية ولم يثبت ، وأما اسرارها فيكفي لمعرفة التدبر فيما قاله الصادق في مصباح الشريعة ، ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وانعمه الايمان ، قال الله تعالى : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ وأما اللباس الظاهر ، فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم ، وهي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين آية لأداء ما افترض الله عليهم ، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله ، بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ، ولا يحملك إلى العجب والرياء ، والتزيّن والمفاخرة ، والخيلاء فإنها من آفات الدين ، ومورثة القسوة في القلب ، وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته ، والبس باطنك بالصدق ، كما البست ظاهرك بثوبك ، وليكن باطنك في ستر الرهبة ، وظاهرك في ستر الطاعة ، واعتبر بفضل الله عز وجل ، حيث خلق اسباب اللباس يستر بها العورات الظاهرة ، وفتح باب التوبة والانابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب ، واخلاق السوء ولا

تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعينك حاله وأمره ، واحذر ان يفنى عمرك بعمل غيرك ، ويتجر برأس مالك غيرك ، وتهلك نفسك ، فإنّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله في العاجل وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله ، فهو بمعزل من الآفات ، خائض في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والعرفان وما دام ناسياً لذنوبه ، جاهلاً لعيوبه ، راجعاً إلى حوله وقوّته ، لا يفلح إذا ابداً انتهى » وللمؤمن في التدبّر باشارات هذا البيان المقدّس الوافي مجال واسع ، ولا بأس بذكر ما يذكر ما يمكن ان يراد من بعض اشاراته الاجماليّة منها قوله (ع) وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله - اه .

أقول : هذه العبارة من جوامع الكلم ، الذي لا يبلغ على كنه ما فيه فطنة البشر ، وكلّما يتفكّر الانسان فيه يزيده المعرفة بحسنه وكماله ، ومن جملة ما فيه مع وجازة اللفظ اشتماله بجميع مراتب الخير في أمر اللباس ، مع اشارة إلى علّتها ، لأنّ اللباس إذ كان أجود كثيراً يشغل القلب بالرياء ، والعجب والتفاخر ، وحفظه ، وإذا كان أدون أكثر من حدّه الشرعي ، وهو أيضاً يشغل القلب إمّا بالرياء أو بالخجل ، والتكلف بستر بعض نواقصه عن الأنظار ، ويلجأ الانسان إلى أن يتحفّظ من وخامة ما يؤثر في خلق العالم من حقارته ودنائته ، فإنّ في ذلك أيضاً وجوهاً للحكمة لا يعقلها ، ولا يصيب حقيقتها من دون شوائب الغرور ، إلا من أعطاه الله الحكمة لفضله العظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فإنّ الانسان إذا لبس الأدون من اللباس ، يعامله الناس معاملة المجانين والأراذل ، وذلك قد يصير سبباً ، وعوناً للشيطان في بعض الاحوال ، فإنّ الجاه مقدار منه من أسباب الآخرة ، ولكن الخطب كلّهُ انّ الجاه أنّه غداء للروح وموافق لهوى النفس ، ولذّته روحانيّة فوق اللذّات الجسمانيّة ، يعمى حبّه قلب الانسان ، فيغترّ

في رعاية قدر الحاجة منه ، وإخلاص النية فيه ، فيحصل ما يضره ضرراً عظيماً ، فيتخيل أنه نافع ، ويعتقد أنه يحصله الآخرة ، وهو يحصله للدنيا ، فهلك من حيث لا يشعر ، ويحسبه هيناً ، وهو عند الله عظيم ، والكلمة الجامعة تحفظ هذه الحدود الدالة للمريد على الصراط السوي والنمط الأوسط ، وجادة الاعتدال من طرفي التفريط والافراط ، هو ما عبّر عنه الأمام (ع) من قوله : خير لباسك ما لا يشغلك عن الله ، نفاسة أو ردائة وأما قوله : بل يقربك إلى الآخرة ، اشارة إلى تفصيل اصول ما يستحبّ رعايته في اللباس .

وأما قوله : فلا يحملك اه ، فهو إشارة إلى وجوه الاشتغال عن الله إجمالاً ، ومن أراد تفصيلها فعليه ان يعمل بما القاه (ع) في هذا الباب (١) . من الأصول ، لينفجر على قلبه عيون الحكمة المودعة فيها .

وأما قوله : ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك اعظم منه ، واشتغل بعبء نفسك عما لا يعينك حاله وأمره - اه .

أقول : هذا الأصل من أعظم اصول المجاهدة ، واسلمها وانفعها ، وفيه أيضاً اشارة إلى علّة الحكم ، فإنّ الانسان إذا اشتغل بعبء نفسه ، وإصلاحه يكون ذلك شغلاً شاغلاً له عن الالتفات الى الغير ، وتجسّس عيوبهم ، فتسلم من جميع آفات اذاء الناس إذا غلبها ، وأما إذا غفل عن نفسه ، فتراه لا يسكت عن التعرّض للغير ، والاشتغال بتتبع عثرات الناس ، ويدخل تحت قوله (ع) على ما رواه في الكافي (٢) ، وغيره : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم قلبه لا تتبعوا عثرات المؤمنين ، وإذا أعان الله عبداً على نفسه ، يعرفه عيوب نفسه وآفات

(١) وهو الباب السابع من مصباح الشريعة في آداب اللباس .

(٢) الكافي - باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم : عن اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله ، وكذا عن أبي بصير عنه (ع) .

عمله ، ومداخل الشيطان ، فيشتغل بنفسه عن غيره ، حتّى ينتهي أمره إلى أن لا يرى في الناس أحداً مثله ، في سوء الأعمال والاخلاق ، بل يعتقد في كلّ من رآه أنّه اتقى منه ، وهذا الحال اسنى الحالات ، بل في بعض الأخبار أنّه آخر الصفات الحسنة ، وهو تمام الأمر ، فإن اشكل عليك تصوير ذلك ، من جهة أنّ المؤمن كيف يقطع بكلّ من رآه من الناس وفيهم هؤلاء الفسّاق ، والفجّار المعلنون بالكبائر أنّه اتقى منه ، بل كيف يحتمله فضلا عن القطع .

أقول : وتصويره يظهر بعد التأمل في من غلب على قلبه شيء من الخوف والحبّ والشوق ، بحيث ملك قلبه ، وغلب على سرّه ، فظهرت آثاره في جوارحه وحبّه ، فإنّك تراه يحكم بخلاف الحس ، أما سمعت المثل المعروف : أنّ الذي لدغته الحية يخاف من الجبل ، مع قطعه بأنّ الجبل لا يضرّه ، وأما سمعت أنّ الذين غلب عليهم الشوق ، والمحبة ربّما احرقوا بالنار ، ولم يحسّوا بألم الاحراق ، من غلبة لذّة الوصال ، فإنّ المؤمن إذا تجلّى عليه عظمة مولاه ، ومراتب عطوفته ، وعنايته وعرف موقع جناياته ، وعصيانه مع هذا الملك العظيم الرؤوف ، وعرف شيئا من حكم عدله ، وجلاله ، قد يبهر الخوف عقله ، ويؤثر في قلبه ، ويغلب على حسّه ، فيحكم بأنّ ما هو فيه من قبح المعصية ، لا يمكن ان يوجد في العالم مثله ، وقد يؤثّر من جهة الحياء والخجل بأزيد منه ، ومن جهة الشوق والمحبة بأزيد منهما ، ففي كلّ هذه الأحوال ينتهي أمره ، بحيث يحكم بخلاف الحسّ فيقول (١) الناس أنّه خولط ، وما هو بذلك ، وقد خامرهم من عظمة ربّهم ، وشدة سلطانه ، فأذهبت به عقولهم ، يقولون مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا هل شملهم الخجل ، وهؤلاء الأولياء هم الذين لا يكون لهم ذكر ، وفكر وشغل سوى الله ، بل ولا هم ومقصود إلا رضا محبوبهم ، ولا يعتنون بشيء غيره من دنيا وآخرة .

(١) كما روى في صفات المتقين في نهج البلاغة والكافي وغيره .

آنكس كه تراشناخت جانرا چكند فرزند وعيال و خانمانرا چكند
 ديوانه كنى هر دو جهانش بخشى ديوانه تو هر دو جهانرا چكند
 اقول : فوا سوأتاه إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، ممّا نحن فيه من
 الغفلة والعزّة في هذه الدنيا ، والاسف والحسرة في الآخرة ، فإنّها مصيبة
 عظيم رزئها ، وجلّ عقابها ، وبالجملّة إذا كان المقصود الأقصى ،
 والمهمّ الاسنى ان يكون العبد مشغلا برّبّه عن جميع من سواه ، وإن لم
 يقدر على ذلك ، فيما يمكنه من ذلك الأقرب فالأقرب ، لا يكون له حدّ
 في لباسه ، بل وفي سائر ما يتعلّق به ، إلّا ما يليق بهذا المقصد ، لأنّه
 قد يختلف أحوال السالكين في ذلك ، بل ويختلف أحوال الاعصار ،
 والامصار ، فالكلمة الجامعة هو ما أشار إليه أوّلاً ، ثمّ تفصيله ما أشار
 إلى جملة إلى آخر كلامه ، وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب او القى
 السمع وهو شهيد .

فصل : يستحبّ^(٢) لمن يريد اللباس أو نزعه ، التسمية وان يبدء
 عند اللبس باليمين ، حتّى في النعل ، وبالييسار عند النزع فيه ، وان
 يقول عند اللبس : ولا تلبسوا الحقّ بالباطل ، ولا تكتموا الحقّ ، وأنتم
 تعلمون ، ويقول : اللهم البسني لباس التقوى ، وجنّبني الردى ، وان
 يقول بعده : الحمد لله الذي كساني ما اوارى به عورتى ، واتجمل به في
 الناس .

روى في الكافي في رواية^(١) أمر أمير المؤمنين (ع) لمن كساه الله
 ثوباً جديداً الوضوء ، وصلاة ركعتين يقرأ فيهما أمّ الكتاب ، وآية

(١) كما في الكتب الفقهية والسنن وكذا البسملّة عند نزع اللباس مروي وانها أمان
 عن تصرف الجان وأما عند لبسه لدليل عام وكذا ما أورده «قده» مذكور في الوسائل وغيره ولم
 أجد قوله : وان يقول : لا تلبسوا الحقّ - اه .

(٢) كما في الوسائل باب ما يستحب ان يعمل عنه لبس الثوب الجديد .

الكرسي ، والتوحيد ، والقدر ، ثم يحمد الله الذي ستر عورته (وزينه خ ل) وجمله في الناس ، واكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنه لا يعصى الله فيه .

وروى ^(١) عن أبي عبد الله (ع) أنّ من قرء القدر اثنتين وثلاثين مرة في اثناء جديد ، ورش ثوبه الجديد إذا لبسه ، لم يزل يأكل في سعة ما بقي منه سلك .

وروي الشيخ صلاة ركعتين في المسجد بعد لبسه ، وقول الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به في الناس .
وروى غير ذلك أيضاً .

ثمّ أنّه قد أشرنا فيما قدّمنا أنّ الأمر في اللباس من حيث الجودة ، والرداءة ليس مثل سائر اساس البيت ، والمأكل والمسكن ، وأمّا الذي يستنبط من كلامهم فيها ، فهو ان يتواضع بقدر الوسع ، والطاقة ، ولا يزيد ، فالأخبار الواردة في الجوع والتواضع لله في ترك لذائذ الاطعمة ، وذمّ بناء ما لا يسكن وحرمة البناء للفخر ، وترك الشرفة للبيوت ، وذمّ تشييد البناء واعلائه ، وذمّ التكاثر في اسباب الدنيا كثيرة فوق جدّ التواتر ، فمن ابتلى بمسألة التجمل في الاسباب واساس البيت وسلك هذا الوادي قد ما يوشك الشيطان ان يوقعه في ما لا نجاة له منه ولا خلاص لان التجمل بالاعيان ، والعروض لا حد له ، لأنّ لكلّ يوم جمالاً مخصوصاً لا يكفي له الجميل السابق من الأسباب والذي كان في السابق يخلق وينكسر ، ويتجدّد وغيره ، فيصير بعد كونه جمالاً محبوباً ، منفوراً عند أهله وقوة حبّ الجاه الذي دعاه لذلك ، يستدعي في كلّ يوم زيادة على ما سبق ، ويقول هل مزيد والمصرّ في ذلك إنّما يهلك من وجوه

(١) كما في الوسائل عن الصدوق في الخصال وروى غير ذلك ايضاً في الوسائل وغيره لا حاجة الى نقله .

مختلفة ، ايسرها والزمها الاشتغال عن ذكر الله تعالى ، ولذا ترى القرآن أكثره في مذمة الدنيا ، والاشتغال بها ، والحث على الزهد فيها ، والرغبة في امر الآخرة ، وكفى من ذلك للمؤمن قوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا ﴾ .

فصل : في الاوقات ، اعلم ان الاوقات كالامكنة - وسائر الموجودات منها سعيد ، ونحس ، وشريف ، وغير شريف ، بالجملة فلها احكام مختلفة تظهر فيما يوقع فيها من الأفعال بل وما يوجد فيها من الموجودات ، بمناسبات ذاتية حقيقية ، يعرف من انطباق العوالم وعرضية اعتباراته يعرف من العلم بالحوادث الزمانية ، وحكم تأثير المجاورة ، وبالجملة لا يعرفها كلها إلا علام الغيوب ، أو من ارتضى من رسول او ولي ، وكيف كان فقد ورد في الشرائع لها احكام ، لا سيما شريعة نبينا الخاتم (ص) ، فقد ورد فيها احكام ، ووظائف مفصلة لسننها ، وشهورها واسابيعها ، وأيامها ، ولياليها وساعاتها ، ثم إنه قد ورد في أخبار كثيرة أنه يؤتى بالاوقات يوم القيامة في صورة الاعيان ، بل في صورة الانسان ، وهكذا ورد في سائر الاعراض ، وهذا ينكره العقول الضعيفة ، ولكن على المؤمن ان لا ينكر شيئاً من امثال ذلك ، بل يقول : هم اعلم بما قالوا ، ويستعين من الله الهادي ان يرزقه معرفته ، وأما تصوير امكان هذه الاخبار فيعلم مما اسلفناه سابقاً بأن لكل موجود في كل عالم صورة متناسبة لذلك العالم ، ويشهد له تعبيرات المنامات ، فإن من رأى في المنام أنه ينظم الدرّ في جيد الخنازير ، قال له المعبر أنك تعلم الحكمة للفاسق ، ومن رأى أنه يختم افواه الناس وفروجهم ، قال : ذلك للمعبر ، واجابه المعبر بأنك رجل تؤذن في شهر رمضان قبل الفجر ، وكان كما قاله ، فعلم من ذلك ان صورة الحكمة في عالم النوم الذي هو من العوالم المثالية ، صورة الدر في هذا العالم ، وهكذا الأذان الذي قبل الوقت فيه بصورة الخاتم ، وهكذا ، بالجملة لكل معنى حقيقة صورة

وقالاً في كلِّ عالم بحسبه ، وهكذا ، ولها آثار مختلفة باختلاف العوالم ، فإنَّ هذا العالم من جهة كونه عالم الطبيعة مظلمة ضيقة مَيَّتة ، للحقائق فيه هذه الصُّور ، وهذه الآثار التي نراها بالعيان وفي عالم المثال مثلاً من جهة أنَّه لا مادة فيه ، بل الحقائق فيه مصوَّرة ، ومقدَّرة بلا مادة طبيعيَّة ، آثار هذا العالم المادِّي ، ولذا ترى إنَّ الإنسان يطير في النَّوم ، يجوز عن الجدار .

وأما عالم العقلي ، من جهة أنَّه دار الحيوان يكون جميع الحقائق فيه ذات حيات ، وشعور كما ورد أنَّ السرير في الجنَّة يبتهج ، ويتحرَّك من سروره إذا جلس عليه المؤمن ، وكيف كان لا وجه لاستبعاد احوال العوالم العالية في ميزان عالِمنا هذا قال بعض من يدَّعي الكشف : أنَّ كلَّ ما في الرِّوايات مما تجده بحكم هذا العالم مجازاً كان له في عالم المثال حقيقة بلا توسُّع وتجوُّز ، رأيناها فيها بعين هذه الصور المرويَّة ، وقد ذكروا لهذا العالم من الخواص ما لا يقبله عقول أكثر النَّاس ، واستشهدوا لها من الأخبار الواردة في حالات الكاملين وصفاتهم ، من قبيل قولهم (ع) كلُّنا محمَّد ، وكلُّنا واحد ، وأنَّه في شرب بعض انهار الجنَّة طعم كلِّ مطعوم ^(١) ، ومشروب ، يقولون : أنَّ هذا من جهة أنَّ موجودات هذا العالم كلُّها جنينة حاضرة عند كل واحد منها ، فإنَّ الانسان يجد في كلِّ لحظة جميع اللذات الموجودة في كل شيء كل واحد بطعمه المخصوص ، ولذَّته الخاصَّة من غير بطلان للخصوصيَّة ،

(١) كما في العيون بإسناده الى عبد السلام بن صالح الهروي ، قال قلت للرضا عليه السلام ، يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف النَّاس فيها ، فمنهم من يروى أنَّها الحنطة ، ومنه من يروي انها العنب ومنهم من يروي انها شجرة الحسد ، فقال (ع) : كل ذلك حق قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ، فقال : يا ابا الصلت شجرة الجنة تحمل انواعاً ، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب ، ليست كشجرة الدنيا الحديث اقول : وفي هذا الحديث اشارات لطيفة لا يسعها المقام .

يقولون اشياء غير هذا ، لا سبيل لنا لردهم ، فنذرهم في بقعة الامكان ، بل نظنّ صدقه بتقريبات وتنبيهات ذوقية ، واشارات وتلويحات نقلية ، حتّى يرزقنا الله معرفته بالعيان من فضله وكرمه ، وبالجمله يجب على العاقل اذا عقل ، انّ للاوقات والازمنة احكاما ، واشارات ، وإنّ وقته في مدّة عمره بمنزلة رأس مال خطير ، بحيث يمكن ان يتجرّب به في كلّ نفس منافع عظيمة ، وممالك كثيرة ، بل سلطنة دائمة ، يظن ان يتلف منه شيئا بلا فائده ، بل يجعله مكان هذه الأرباح الكثيرة الفاخرة ، سببا للشقاوة الدائمة والخلود في العذاب الأليم .

ثمّ له أن يعتبر ممّا مضى من عمره ووقته ، لما يأتي في امور :
منها : انّ ما مضى فنى بلذاتها والامها لم يبق لذّة ولا الم بل يبقى تبعه واجر .

ومنها ان الباقي منه لا يصحّ الركون اليه ، حتّى الى آخريوم وليلة ، فما لا يقدّم همّ مثل هذا الامر محتمل الوجود الهين البقاء ، وسريع الزوال على أمر قطعيّ الاتيان ، والدائميّ العظيم الشأن .

ومنها انّ السعادة والشقاوة ، واللذة والالم فيه أنّما هو بقضاء وقدر لا بسعي وعمل . ولا تهيؤ اسباب ، وبين السعي والوصول ، والاسباب والمأمول عموم من وجه ، وإذا اعتبر بهذه الامور ، وتذكّر به عند الهَمّ بالامور المهمّة وتفكّر فيهما ، حتّى أثر في قلبه ، لا يكون همّ الدنيا عنده أكبر من همّ الآخرة ليبتلي بما يورثه ذلك من الامور الاربعة الموجودة لصاحبه ، كما على ما روي أنّ من أصبح وأكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء ، والزم الله قلبه أربع خصال : همّا لا ينقطع عنه ابدا ، وشغلا لا يتفرّغ منه ابداً ، وفقرّاً لا ينال غناه ابداً ، واملا لا يبلغ منتهاه أبداً .

فصل : في الاهتمام بالاقوات الشريفة وفيه امور :

الأوّل : فيما يقع في كل سنة مرّة .

والثاني : فيما يقع في كل شهر مرة .

والثالث : فيما يقع في كل اسبوع مرة .

والرابع : ما يقع في كل يوم وليلة ، من الاعياد الشريفة ، وأيام المواليد العزيزة ، وليالي القدر ، وأيام وقع فيه امر عظيم من الله بالنسبة إلى الخلق أما الاعياد ، فاللزام ان يعرف الانسان معنى العيد في الاقبال ، ومنها ان يفهم معنى العيد الموجود انه من مقامات السَّعود ، وانجاز الوعود ، واقبال الله على العبيد ، واحضارهم بين يدي مقدس سرادق ظلّه المجيد ، واطلاق خلع الحبّ على القلب ، ونشر الوية القرب من الربّ ، واشراق شمس الاقبال على وجوه الآمال ، وتبشير الاعمال والابتهاال بالقبول ، واجابة السؤال ، وتقديم الممالك ، والاتكاء على الارائك ، وتسليم مفاتيح الرِّضا والرِّضوان ، وسطر كتب الامن والامان ، وتهية ما يحتاج هذا العيد المسعود إليه في المنزل الذي يقدم عليه ، وبالجمله يوم العيد يوم اطلق الله فيه الاحسان والأنعام بكلّ خاص وعام ، وهو يوم اظهار الجود والكرم ، وبذل الفضل والنعم ، ومن البين أنّ الجود والكرم من كلّ جواد بحسب جوده ويساره ، وبحسب قابليّة العيد واستعداده ، وإذا كان الامر بهذا المنوال ، ونشر الوية الأنعام والافضال من الله الكريم المتعال ، فليأت كلّ برّ وفاجر ، ومحسن ومسيء ، ولكن باعتراف وحياء ، وخجل ورجاء ، فإنّه لا ردّ له البتّة في مثل هذا اليوم عن جناب اللّطف والاحسان ، من الملك المَنَّان ، ولكن ذلك كلّّه لمن اعتقد بالله وجوده ، ووعيده ، ولكن الكافر والجاحد والآيس ، والمعاند لا حظّ له بحكم العقل ، من شرب حياض الفضل ، بل مورده ومصدره من حياض العدل هذا فانظر كيف عكس الامر بين المسلمين ، فجعلوا يوم العيد عدة اللّهوات ، وشرب القهوات ، واللّعب واللّهو ، والغفلة والسهو ، روى رئيس المحدثين في كتاب من لا يحضره

الفقيه ، قال : نظر الحسن (ع) ^(١) الى الناس يوم الفطر ، يضحكون ويلعبون ، فقال لاصحابه انّ الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضمّاراً لخلقهم ، يستبقون فيه بطاعته ورضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضّاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المقصّرون وإيم الله لو كشف الغطاء ، لشغل محسن باحسانه ، ومسيء باسائه ، وفي غيرها بزيادة عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب .

وكيف كان ، فليكن العبد لا محالة قبيل دخول العيد ، حاله كحال من ناداه منادي ملك ملوك الدنيا ، في معشر عام الى مجلس السلام ، والخلع والانعام وله جنايات عظيمة ، وسوابق امور وخيمة ، فانه لا محالة يكون في قلق ، واضطراب بين الخوف والرّجاء ، ويكون لا محالة عليه أثر الخجل والحياء ، ويتفكّر في أن يعدله عدة ينفعه في هذا المجلس العظيم ، وينظر هل يُهمّه أن يكون مقامه في هذا المجلس مقام الاعزّة ، ولباسه من لباس شرفاء الحاضرين ويكون شمول الطاف هذا الملك عليه مثل الاقران ، او يرضي أن يكون رأسه مكشوفاً عن تاج كرامات الله وعورته مكشوفة عن ستر الله ، ومقامه مقام المقصّرين المستحقّين لاعراض الله ، ويتفكّر في ذلك ساعة ، ثمّ يستعجل في ذلك بالعلاجات الفورية لاهل التقصير ، أوّلاً بالتوبة الحقيقيّة ، والانابة الصّادقة ، وان لم يقدر على ذلك ، ولم يعطه نفسه العوّاد للخبيثات ، الفرصة من الدّخول من باب التّوايين ، فلا محالة ترضيها للدّخول من باب الاستغفار ، بقدر الذّنوب والدّعاء بالعفو ، والقبول ، وتوفيق التوبة ، ويقول إلهي ان لم تسمح الا من اجازته براءة عمله ، فأنّي لممّن لم

(١) أقول روى هذا الخبر في الكافي في كتاب الصوم في باب النوادر عن علي عليه السلام ورأيت ايضاً في غيره باختلاف في العبارة وكيف كان فحقيقة المطلب هو ما افاده .

تجب قبل القضاء ، واجابة المسؤول ، وان لم تسمح نفسه بذلك ،
تعنه طاعة الرّحمان أن يبالغ في الدّعاء ، والاستغفار فلا محالة ان
يدخل من الباب الذي دخل منه ابليس ، وفرعون ، ولم يخيهما ارحم
الراحمين ، واجاب دعوتهما ، وهو باب عدم اليأس والقنوط ، فالاولى ان
يقول يا من أجاب لأبغض خلقه ابليس ، حيث استنصره ، استجب لي
كما استجبت له ، ويا من قضى حاجة فرعون اقض حاجة هذا الفرعون
الثاني بل الاول ثم يحسن ظنه على التحقيق بالاجابة ، والقبول ، ونيل
المراد والمأمون .

وتفكر فيما افاده السيّد الاجل ، معلّم أهل المراقبة السيّد ابن طاوس
في الاقبال ، بقوله : أيّها الاخ المقبل باقبال مولاه ليعلم كيف تحضر بين
يديه ارحم ضعف روحك ، ما قبل مشورة نصيحك ، وفكر في تعظيم من
هو مقبل عليك ، وطهر قلبك من الشواغل التي يحول بينك وبين احسانه
اليك .

إلى أن قال : اعلم أنّ المتوجّهين إلى الله في يوم الذي ، سمّاه
جلّ جلاله عيداً لعبيده ، وانجازاً لوعده ، وأمرهم بالخروج إليه ، والوفادة
عليه ، فإنّ الناس المتوجّهين فيه على اصناف : صنف خرجوا وقد
شغلهم هية الله جلّ جلاله وجلالة عظمتة ، وذهول العقول عن مقابلة
حرمته ، واجابة دعوته ، حتّى صاروا كما يصير من لم يحضر ابداً عند
خليفته ، واستدعاء للحضور بين يدي عظمتة الشريفة ، فأنه يكون متردداً
بين الحياء والخجالة للقاء تلك الجلالة ، وبين خوف سوء الأدب ، وبين
أمواج العجز عن الجرئة بالخطاب ، والتماس الجواب ، وبين الفكر فيما
ذا عساه يكون قد أطلع الخليفة عليه من أفعاله ، وسوء اعماله ، فيشغله
هذه الشواغل ، عن بسط كفّ سؤاله ، واطلاق لسان حاله .

ثمّ ذكر الصنف الثاني ، وهم الذين تفكّروا في نعمته تعالى من
خلق السماوات والارضين ، وما فيهما من ابتداء خلقهما ، وحفظهما ،

وترتيبهما لاجل انعامهم ، ورزقهم ، وتربيتهم ، وبالجمله لوجوه جميع خيراتهم الدنيوية والدينية ، فاخجلهم ما مضى من انعامه ، وما حضر من اكرامه عن طلب شيء آخر ، ومن شريف مقامه .

وذكر الثالث : وهم الذين تفكروا في خيانتهم لهذا الملك المنعم المنان في نعمه ، وتضييعها بالخسران حقه ، فكساهم ذل الخيانة والامانة عار الخجل والوجل ، حتى ما بقي بينهم فراغ لرجاء وأمل .

وذكر ^(١) الرابع ، وهم الذين على مراكب دالة باعمالهم في لباس غفلتهم ، وجهالتهم في نعم خالقهم ، ورازقهم ، ومنن مولاهم وسيدهم ، مدة عمرهم ، وزمان حياتهم ، من الانشاء والحفظ ، والبقاء ، ووجوه النعماء ، وقال هؤلاء كالعميان ، وكالمرضى .

وذكر الخامس : وهم الذين خرجوا ليطلبوا اجرة اعمالهم في شهر رمضان ، ولسان حالهم طلب المحاسبة في معاملتهم مع ربهم ، فأجابهم لسان حال عدله :

إذا كان كل منكم يطلب اجرة عمله ، فاذكروا افعالنا لاجلكم قبل وجودكم ، وهذه حياتكم من لدن أبيكم آدم ، وعملنا مع آبائكم ، وامهاتكم وجدودكم ، فافكروا في اجرة كل من استخدمناه في مصلحتكم من الملائكة والأنبياء والمرسلين ، والملوك ، والسلاطين ، وغيرهم من جميع عبيدنا من الماضين ، والحاضرين ، فانظروا مقدار الفاضل من

(١) هذا هو الصنف الثالث في كتاب الاقبال للسيد الاجل والاصناف الذين ذكرهم السيد في الاقبال ستة على ما في النسخة التي عندي ولكن المؤلف قد عدها سبعة مستنداً اليه رضوان الله عليه ولعله من اختلاف النسخ وراجعت بعد كتابة هذا المقام الى نسخة اخرى من كتاب الاقبال ، فوجدته كما في المتن من كونهم سبعة وذكر «قده» مضمون ما سرده السيد «ره» لا عين الفاظه وربما نقل بعض عباراته وقد صححنا بعض الاغلاط الموجودة في النسخة المطبوعة ونسأل الدعاء من الناظرين والقارين .

اجرة أعمالنا ، فادّوه إلينا ثمّ تعرضوا لسؤالنا ، حيث عدلتم عن باب الاعتراف لنا بالفضل ، ووقفتم على باب طلب الاجرة .

وذكر السادس : وهم الذين عرفوا أنّ أعمالهم لا تقابل نعمه جلّت آلاؤه ولم يطلبوا من باب الأجر سبباً بل مدّوا كف لسان الحال الذي كان قبل الوجود أي لسان الفقر والاحتياج لطلب الكرم والجود المفضل .

وذكر السابع : وهم الذين لبسوا لباس المعرفة بقدر المنة عليه ، باقباله تعالى عليهم ، وحضورهم للاحسان إليهم ، وليس بهم خاطر ولا ناظر يتردّد منذ نشروا إلى حيث حضروا في غير طرق الاعتراف بالمنن لربّهم جلّت آلاؤه ، ويتمنّى لسان حالهم ان لو كان لهم قدرة ان يكونون موجودين في الأزل ، ولا يزال مع وجوده ، وكلّ منهم باذل غاية مجهوده في خدمة معبوده ، وشكر جوده لرأى ذلك قاصراً عن مقصوده ، ولولا خوف المخالفة لما يراه ، لتمنّى كلّ منهم إلّا يفارق باب الخدمة في دنياه واخراه .

أقول إنّما اكتفى «ره» بما ذكر ، واصناف الخارجين أكثر من أن تحصى ، لأنّ مقصوده الإشارة إلى بيان ما هو الغالب على المتعبّدين من اصحاب اليمين من الاحوال ، والأوصاف وإلّا فالسائرين الى الله من أهل التوكّل والرضا والتسليم ، والشوق والمحبة والانس ايضاً لهم حالات سنّية غير ما ذكر فإنّ من الشوق والمحبة من يحضر هذا المجلس ، وهو سكران من وجد ما أصابه من لذة الدعوة والنداء ، ولا الالتفات له الى العامل والعمل والأجر . وهو يلجئ داعي المجلس لسروره وبهجته ، ويفديه لروحه ومهجته .

ثمّ أنّه ذكر السيد كلاماً ، وذكر أجمعاً للمتشرف باستقبال العيد ، وهو قوله :

« اللهم إنّ الملوك والأمراء قد وهبوا خلعاً لمماليكهم وعبيدهم ،

وجنودهم ولو كان مماليكهم من الانبياء ، والعبد المملوك رأسه مكشوف من عمائم المراقبة التي يليق بكم ، ومن ميازر الاخلاص التي تجب لكم ، ومن سرّ الإقبال عليكم ، ومن الخلع التي يصلح للحضور بين يديكم ، وثياب العبد المملوك خلقة بيد الغفلات ، وذنسة من وسخ الشهوات ، ولباس ستر عيوبه ممزق بيد ايثاره عليكم ، ومغفر غفران ذنوبه ، مكسر بيد تهوينه بالاستغفار الذي يقربه إليكم ، وعوراته مكشوفة وعثراته مخوفة ، فهو متهتك في هذا العيد السعيد بسوء ملبوسه ، وخجلان خذلان من ثياب منحوسة ، فما انتم صانعون بمملوك يقول لسان حاله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأنتم علمتم الملوك مكارم الأخلاق ، وعنكم ومنكم عرف ابتداء الخلع ، وإطلاق الأعناق ، والأرزاق وقد كان العبد المملوك لما ابتدتم بانشائه ، عرفتم ما يقع منه من سوء إياه ووسعه حلمكم حتى خلّعتم عليه خلع البقاء ، وخلع سلامة الأعضاء ، وخلع الشفاء من الادواء ، وكسوتموه لحماً وجلداً ، وبالغتم معه انعاماً ورفداً ، فبقي العبد المملوك عرياناً في حضرته ، فمن ذا يستره ويكسوه إذا رأوه قد ضاقت عنه سعة رحمتكم ومن يأويه اذ نودى عليه اي طريد نقمتكم فيا من خلع عليه وقد عرف ما ينتهي حاله إليه ، ورباه وغذاه وآواه ، فقد احاط علماً بجراته عليه ، وما كان قد تشرف بمعرفة مولاه ، ولا ارتضاه ان يخدعه في دنياه ، ارحم استغاثته بك ، واستكانته لك . واستجارته بظلك ، ووسيلته بفضلك إلى عدلك ، وأكسه من خلع العفو والغفران ، والأمان والرضوان ، ما يكون ذكرها ، وشكرها ، وسرها منسوباً إلى رحمتك ، وجودك فقد انكسر قلبه ، وخجل واستحيى من وقوفه عرياناً في يوم عيدك ، مع كثرة من خلع عليه من عبيدك ووفودك ، وما له باب غيرك ، وهو عاجز عن عتابك ، فكيف يقوى على حرمانك وعقابك .

فصل : قال ومن آداب العبد يوم العيد مع من يعتقد أنه امامه

وصاحب هذا المقام المجيد ^(١) .

فأقول : واعلم أنه إذا كان يوم عيد الفطر ، فإن كان صاحب الحكم والأمر متصرفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الذي أعطاه مولاه ، فليكن مهناً له بشرف اقبال الله تعالى عليه ، وتمام تمكينه من إحسانه ثم كن مهناً لنفسك ولمن يعزّ عليك ، وللدنيا وأهلها ، وكلّ مسعود بامامته بوجوده وسعوده ، وهدايته وفوائده دولته ، وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التصرف في مقتضى رئاسته ، فليكن عليك أثر المساوات والمواساة في الغضب مع الله تعالى مولاك ومولاه والغضب والتأسّف على ما فاتك من فضله .

وروى ^(٢) قول أبي جعفر للراوي يا عبد الله ما من عيد للمسلمين أضحي ولا فطر إلّا ويتجدّد لآل محمّد فيه حزن قال : قلت ولم قال لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم .

وأقول ^(٣) لو أنّك استحضرت كيف كانت تكون اعلام الاسلام بالعدل منشورة ، واحكام الأنام بالفضل مشهورة ، والأموال في الله إلى سائر عبادته مبذولة ، والامال ضاحكة مستبشرة مقبولة ، والأمن شامل للقريب والبعيد ، والنصر كامل للضعيف والذليل والوحيد ، والدنيا قد اشرقت بشمس سعودها ، وانبسطت يد الاقبال في اغوارها وتجوّدها ، فظهر من حكم الله جلّ جلاله الباهر ، وسلطان القاهر ما يبهج العقول والقلوب سروراً ، ويملأ الآفاق ظهوراً ونوراً ، لكنك والله يا أخي قد تنغصت في عيدك الذي أنت مسرور باقباله ، وعرفت ما فاتك من كرم

(١) ايضاً من كلام السيد ره .

(٢) أي وروى السيد بإسناده الى جعفر بن بابويه من كتاب من لا يضره الفقيه وغيره بإسناده الى حنان بن سدير عن عبد الله بن دينار عن أبي جعفر عليه السلام انه قال يا عبد الله ما من عيد اه .

(٣) ايضاً في كلام السيد ره .

الله وافضاله ، وكان البكاء والتألف والتأسف اغلب عليك ، وألحق بك ، وأبلغ في الوفاء لمن يعزّ عليك ، وقد رفعت بك الآن ، ولم اشرح ما كان يمكن فيه اطلاق اللسان ، وهذا الذي ذكرناه على سبيل التنبيه والاشارة ، لأنّ استيفاء شرح ما نريده يضيق عنه مبسوط العبارة ، اعلم أنّ الصفاء والوفاء لأصحاب الحقوق والتفريق والبعاد ، احسن من الصفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد ، فليكن الصفاء والوفاء شعار قلبك لمولاك ، وربك القادر على تفريج كربك .

فصل - ومن مهمّات الايام الشريفة ، ان يسلم المؤمن من امة نبينا على حصر يومه وليلته من ائمة الدين ، ويقول له بعد التحيّة والسّلام يا مولاي انت سيد كريم ، امام جواد عظيم ، تحب الضيافة ، وتكرم الضيف ومأمور من الله بالاجارة فاضفني ، واجرني وأنا اليوم ضيفك ، وجارك واجعل جزائي منك ان تدخلني في همك وحزنك ، ودعائك ، وحمايتك ، وولايتك ، وشفاعتك ، وشيعتك وارغب إلى الله في ثوابي ، وخيري ، وهدايتي وارشادي ، وتأبيدي وتسديدي ، وتوفيقي ، وكل خير لي ، وأهلي وإخواني المؤمنين لديني ودنيائي وآخرتي ، وان يختم ليلتي ويومي ، وشهري ، وستي ، وعمري برضاه ، ويرضيني عنه ، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة صلوات الله ، وسلامه عليكم أجمعين ، ويفعل ذلك في أوّل ليلته وآخرها ، وأوّل يومه وآخره .

وأما تفصيل حصر الايام فالسبت لرسول الله (ص) ، والاحد لامير المؤمنين (ع) والأثنين لامامين الحسين ، والثلاثاء للامام أبي محمّد السّجاد ، والامام أبي جعفر الباقر ، والإمام أبي عبد الله الصادق ، والاربعاء للامام أبي ابراهيم الكاظم ، والامام أبي الحسن الرضا ، والامام أبي جعفر الجواد (ع) والامام أبي الحسن الهادي (ع) ، والخميس للامام الزكي أبي محمّد الحسن العسكري والجمعة للامام الهمام نور الله التأمّ ، فرج الله القريب ابو القاسم ، الامام المهدي القائم

صلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، واولاده المنتجبين ،
روحي وارواح العالمين فداه .

ومنها ليالي القدر ، وتتبعها النصف من شعبان ورجب ، وأول
رجب ، ويلزم لمَدَّعي الإيمان بالله ورسوله (ص) ، والقرآن العظيم ، ان
يعامل معها ما يظهر منه آثار التصديق ، والايمان ، ومن لوازم الإيمان أن
يكون همّ هذه الليلة في قلبه ، كهَمّ الف ليلة ، وازيد لأنه خير من الف
شهر ، ويتفكر في عظم هذه الليلة عند الله ، بأن جعل للعبادة فيها أبواب
من النور ، كنور عبادة الف ليلة ، فيكون عظمته عنده أيضاً بهذا
المقدار ، وإذا كان كذلك فلا بدّ له ان يعمل لها عدّة قبل وقتها أيام سنته
بالدعاء ، والانتظار ، ودفع الموانع ورفعها ، وتهيئة الاسباب ، حتّى تهيأ
غذاء مناسب ، ومكان مناسب ولباس مناسب ، ودعاء ، ومناجات وغير
ذلك ، ممّا يكمل عبادته وخلوته ، ومناجاته مع الله ، ومن مهمّات ذلك
ما اسلفناه آنفاً من سلام حماته في حضراته في الليلة ، وان يتوسّل بهم
في مهمّات الليلة ، ويشفعهم في أن يقبله الله تعالى ، وعمله وتوفيقه
برضاه ، وحبه في جميع حالاته ، وأن يبقيه له إلى يوم يلقاه سالماً ، من
الآفات ، ثم الاجتهاد بكلّ ما رآه أقرب إلى رضا سيّده الكريم ، ويكون
همّه في جميع آنات ليله في مراقبة حضور مولاه ، وأن لا يغفل عنه في
آنٍ واحد ، ولو بالغذاء ، ولا يأكل ، ولا يشرب ولا ينقلب في شيء من
اموره ، الا بقصد صحيح ونية مقربة صادقة ، ويكثر من الدعاء ،
واللطف مع مولاه العطوف الرؤوف بمناجات لطيفة ، مهيجة مبكية ،
ويكثر السجدة على التراب والصلاة على سيّد المرسلين ، وآله الطيّين
الطاهرين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ،
والمؤمنين والدعاء لفرج حجة العصر وحفظه ونصره ، وان يرزقه الله
رضاه ، ويهديه بهداه ، وتوفيقه لطاعته ، وله أن يعمل ببعض ما حكى

عن المجاهدين^(١) من شدّ الايدي على الاعناق ، والضّجعة في القبور ، وعرض النفس على النار ، وعدّ كثرة حلم الله عند جنائياته العظيمة ، وذكر حسن صنع الله به مع قبح معاملته معه ، وان يكون كلّ لسان ومناجات لارباب الاحوال أصلح ، واسرع في اجلاب حاله واكثر تأثيراً في رفته ، وهيجان احزانه واشواقه اثر عنده ممّا ليس كذلك ، وان يكون في جميع حالاته بحسن ظنه بعفو الله وحلمه وجميل صفحه ، وكرم عفوه ، وحسن تجاوزه وتبديله السيّئات باضعافها من الحسنات ، وأن يكون دخوله في مناجاته من كلّ باب انسب واليق بحاله ، وبما فيه من الوقت ، ويكثر من قول يا من اجاب لا بغض خلقه ابليس ، يا من قبل السحرة بعد ان اتوه معاجزين ، ولرسوله مخاصمين ، ومعاندين اقبلي ، ويقول : يا من قبل السحرة بموسى (ع) وهارون (ع) ، اقبلي بمحمّد وعلي وآلهما الطّاهرين ، وان ينقلب من حال إلى حال ، ومقال إلى مقال ، تارة يتشبه بالخائفين ، واخرى بالراجين بل يتشبه بأهل الرّضا والتمكين ، بل وأهل الشّوق والأنس ، ويتفوّه بمناجاتهم ومقالاتهم ، ولكن عليه أن يستعلاج في أن لا يتلى بكذب صريح^(٢) ودعوى باطلة ، ويحتال في تصحيح المقال ، ولو بالتوسّع والمجاز ، وأن يدعو الله عند طلب المقامات الرفيعة يا لجُود الأجودين ، ويا أقدر الأقدارين ، وان يستدلّ ببعض استدلالات الأئمة (ع) بقبول الله تعالى .

وأما الأيّام المواليده الشّريفة ، مثل مولد رسول الله (ص) ، وسائر المعصومين ، ويتبعه يوم البعثة الشّريفة ، ويوم غدير خم ، ويوم دحو

(١) مثل ما نقله قده سابقاً من الزاهد العابد ، الحاج الاشرفي ره ، وذكرنا ترجمته رضوان الله عليه هناك فراجع .

(٢) مثل اظهار التوكل والرجاء او الخوف من جنبه عز وجل ، مع عدم تحقق حقائق هذه الخصال في قلبه ، واظهار التوبة والانابة مع عدم الارتداع والانقلاع عن المعاصي ، وعدم الرجوع اليه تعالى .

الارض ، ويوم المباهلة فإنّ المؤمن بالله تعالى ، وبآلائه العظيمة يعظم عنده هذه الاوقات ، بقدر عظمتها عند ربّه ، ويشكر ربّه بقدر عظمة انعامه في هذه المواقيت مثلاً يتفكّر في ليلة المولد الشريف فوائد وجود رسول الله (ص) ، وأنّه مظهر رحمة الله الواسعة على الخليقة أجمعين ، وأنّ الله تعالى بطفيل وجودهم اوجدنا ، وبهدايتهم هدانا ، ووضع عنا الاصار ، وخفّف عنا في التكليف ، وأكرمنا بما اكرمنا وتقبّل شفاعته فينا وأنّه (ع) تحمل في هدايتنا ما لم يتحمّل نبيّ قطّ عن أمّته ، ولم يدع علينا بعذاب حتّى ساق الامة الى طرق الهداية في المعارف الربّانيّة ، واتى من الحكم ويّين من المعارف ما لم يظهر من جميع الأنبياء ، والمرسلين .

وبالجملة صبر في تكميل هداية الامة ، ونجاتهم واوذي حتّى قال صلى الله عليه وآله ما أوذي نبيّ مثل ما اوذيت ، حتّى قتل أولاده وسببت بناته وهتك حريمه وذبح اطفاله ، حتّى أنّه ما سمع بأهل بيت نبيّ بل ولا أحد في العالم ، فعل بهم من القتل والاسر والسلب مثل ما فعل بأهل بيت رسول الله (ص) ، ومع ذلك صبر ولم يدع على أهل الأرض بعذاب ونكال ، بل دعى ربّه وقال اللهمّ أهد قومي فانّهم لا يعلمون ، فجزاه الله تعالى عن هذه الامة ما يليق بجميل فعاله ، بل بكرم نواله .

وبالجملة إذا تفكّر المؤمن في أيّام مواليدهم وخلافتهم ، وعظيم نعم الله تعالى في هذه الاوقات ، يرى ويعقل ما يجب عليه من شكر هذه النعمة العظيمة .

وكلّ ما ذكرناه من فوائد وجود رسول الله (ص) يتلوه في جميع مراتبها بل يعدله فوائد خليفته ، وأخيه أمير المؤمنين (ع) الذي آخاه ، وفي الشدائد واساه (١) .

(١) رواه الفريقان متواتراً .

وقال من كنت مولاة فهذا عليّ (ع) مولاة ، وكذا سائر المعصومين من أولادهما ، فإنّ للمؤمن ان يفرح بفرحهم ويصليّ عليهم ، ويحذو حذوهم ويهتدي بهداهم ، ويوالي من والاهم ، ويعادي من عاداهم ، ويشكر الله لا سيّما في مثل هذه الايام بنعمة وجودهم بقدر القدرة والاستطاعة ، ويعلم أنّه لو عمّر أبد الابدین ، ويسجد لشكر هذه النعمة ما أتى من حقّها عشر عشر معشارها ، وان يظهر آثار الفرح ويكثر من التّحابّ مع اوليائهم ، ويتحبب إليهم بما يبلغه مكنته وفطنته من واجب حقوق الموالاة ، والاخوة في الولاية فإنّ هذا باب عظيم من السعادة ، وفيه خير كثير ، ورد فيه اخبار متواترة فأنّه من أعظم شعب الإيمان ، بل في بعض الاخبار إنّ الإيمان ليس إلّا الحب والبغض ، ولا بأس بالاشارة لبعض ما ورد في فضلها .

روى في الكافي عن أبي جعفر (ع) قال قال (١) رسول الله (ص) المتحابّون في الله يوم القيامة على ارض زبر جدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضا ، واضواء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب وكلّ نبيّ مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ، يقال هؤلاء المتحابّون في الله ، وورد أنّ (٢) الحبّ في الله من أوثق عرى الإيمان ، وفي رواية قال (٣) هل الإيمان إلّا الحبّ والبغض ، وورد (٤) أنّهم يدخلون الجنّة بغير حساب ، وأنّ نور اجسادهم ونور وجوههم ، ونور منابرهم يضيء كلّ شيء ، وأنّهم من اصفياء الله .

وورد أنّ التّحابّ في الله أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحجّ

(١) كما في الكافي عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) كما في رواية سعيد الاعرج عن أبي عبد الله عليه السلام ، من أوثق عرى الإيمان ان تحب في الله وتبغض في الله الخبر .

(٣) كما في الكافي عن فضيل بن يسار . باب الحب في الله والبغض في الله .

(٤) كما في الكافي في رواية أبي بصير ورواية ابي حمزة الثمالي وغيره .

بل الذي يفهم من أخبار المصافحة ^(١) أنّ سائر الفضائل في جنب التحاب في الله وجودها كالعدم وأنّ احد المتصافحين ان كان احبّ لأخيه منه كان هو احبّ إلى الله من الآخر ، وأقرب عنده ، ولعمري أنّ هذا الأمر عظيم ما اعظمه .

وليعلم أنّ الغدير من أجلّ الأعياد ، وأعظمها لأنّه كالجزء الأخير للعلة التامة في النجاة ، والفوز بالدرجات الرفيعة ، وقد روي فضله المخالف والمؤالف ، وعمنوا لرواية فضله وتعظيم وقع فيه كتباً مفصلة ، وعلى الشيعي ان يعظّمه حقّ تعظيمه ، ويظهر فيه الفرح والانبساط ، ويتزيّن له ، ويتودّد مع الموالين بأنواع التلطفات بالزيارة ، والمصافحة والمعانقة ، والدعوة والاضافة والهبة والعطاء والمباشطة في الكلام ويكثر حمد الله ويذكر من الحمد ، ما ورد ^(٢) عند لقاء المؤمنين ويصلي ^(٣) ما ورد فيه من بعض الصلوات الجليلة وورد في جزائها مثنوبات جزيلة ، ويعلم من الأعمال الواردة فيه ، ما فيه أجر عظيم ، وإن كان جميع ما يصفه المؤمن في هذا اليوم عظيماً عند الله ، وإن كان حقيراً عند نفسه ، ويزوره (ع) ^(٤) بالزيارة المفصلة الواردة فيه ، ويهنئ رسول الله وامام زمانه ، وخفير يومه بالخصوص ، والأئمة (ع) بالعموم ، ويناجي مع إمام عصره ببعض فقرات دعاء الندبة ويتحسّر من فقدان نعمة حضوره في مثل هذا اليوم العظيم ، ويهنئ خواص أمير المؤمنين (ع) ، والملائكة لا سيّما جبرائيل الذي كان يكثر نصره في المواطن ، ويخدمه فيها ، ويتبع

(١) كما في الكافي في رواية ابي خالد القمطاط ورواية مالك بن عون الجهني وغيرهما .

(٢) وهو قوله : الحمد الله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

(٣) كالصلوة المروية في الاقبال للسيد الجليل رضى الدين ابن طاوس «قده» .

(٤) كزيارة أمين الله وغيرها .

ما ذكر من شكر هذه الأوقات الشريفة ، شكر سائر الاوقات التي ظهرت فيها من الله المنعم ، بعض النعم الجزيلة الخاصة والعامة ، فإن لكل منها مراقبة خاصة ، وفكراً مخصوصاً به ، مثلاً يتفكر يوم الدحو أنه يوم انعم الله فيه على أهل الأرض ببناء المسكن ، ومواد وجوه الرزق كلها ، ويقايسه بما إذا فعل به أحد من ملوك الدنيا شيئاً من هذه الوجوه ، وباشره بيده ، كما ورد في ذلك بسط الله الأرض ، ويتفكر في نفسه أنه كيف يكون موقع هذا اللطف والاحسان عنده من هذا الملك ، فيجاهد في شكر المنعم تعالى ، الذي لا يحصى نعمائه العادون بقدر الاستطاعة ، ثم انّ الذي دلّ على تعظيم أيام المواليد الشريفة ، والخلافة الظاهريّة ، والفرج فيها ، انما يدلّ على تعظيم أيام وفاتهم (ع) وشهاداتهم ، ومصيباتهم باظهار الحزن والجزع ، واقلّه ان يكون أيام مصيباتهم عند المؤمن ، اعزّ من أيام مصيبته ومصيبة كل من يعزّ عليه ، ليكون معهم في درجتهم كما ورد بذلك ^(١) الاخبار لا سيّما أيام العاشورا فانه يوم عظيم عند الله وأهل ملكوت السماوات والروحانيين :

در بارگاه قدس که جای ملال نیست سرهای قدسیان همه بر زانوی غمست

وعظمت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات ، قد ورد في بعض الأخبار ما ينبئ عن خطر هذا اليوم العظيم ، ! بما يهر عنه العقول ، ويعلم من الروايات انّ ذلك لم يكن مخصوصاً بما بعد الشهادة ، بل كان يعظم هذا اليوم في الأمم السالفة ، فإنّ الله تعالى ذكر مصيبة هذا الامام المظلوم على الأنبياء فبكوا وجزعوا من هذه المصيبة

(١) كما هو مذكور في كتب المقاتل ، كرواية شبيب وغيرها ، ومناجات موسى ابن عمران .

وقوله : يا رب لم فضلت امة محمد (ص) على ساير الامم فقال الله تعالى : فضلتهم بعشر خصال الى ان قال : والعاشورا قال موسى : وما العاشورا ، قال : البكاء والتباكي على سبط محمد والمرثية والعزاء . الخبر .

العظمى ، وشاركوا بذلك رسول الله في عزائه ونالوا بذلك الأجر العظيم عند الله ، ثم إنّ اللازم على المؤمن في هذا الأمر ان يسلم للروايات الواردة في تعظيمه وجلالة أمره ، والاجور العظيمة المتعلقة به وإن أراد ان يصدّقه من جميع الوجوه بالبرهان ، ليرفع استبعاد عقله بالحجّة يتفكّر فيما يحكى عن الشيخ العارف المحقق الكامل الشيخ حسين النجفي ، حين سأله سيّد العلماء الربّانيّين سليل آل طه ويس بحر العلوم قدّس سرّه العزيز عن حكمة عظمة هذا الأمر في هذه الدرجة وأجابه (ره) ، إنّ الحسين مع أنّه كان عبداً مملوكاً لله ، وممكننا بذل في سبيل محبة الله كلّ من المال ، والأهل والأولاد ، والعرض حتّى جسده الشريف بعد الشهادة ، ورضى بشهادة الأهل أجمعين ، حتّى عبد الله الرضيع ، وصبر فيما أصابه على بدنه الشريف من جميع وجوه المصيبات المتصوّرة ، وبالجملّة بذل كلّ لله فالله تعالى أولى بأن يذل له كلّ ، ولنعم ما أجاب ، فإنّ الانسان إذا تفكّر في وقعة كربلاء وخصوص شهادته ، يجدها أمراً عظيماً ، مثلاً الشهيد والمقتول في العالم كثير ولكن المقتولين والشهداء يقتل كلّ منهم بقتلة واحدة ، مثل الذبح والنحر ، والعطش والهّم والحزن ، والجوع والصبر ، وهو قتل بجميع ما يقتل به جميع المقتولين ، وأصابه من العطش ما لو قال قائل : إنّ عطشه لو قسم لأهل العالم لماتوا لم يكن لأحد نفيه ، فإنّ في شدّة عطشه اليوم تعبيرات وبيانات من الله في الأحاديث القدسيّة ، ومن نفسه القادسة لا يقدر العقل قدرها ، وأن شئت تصديق ذلك تفكّر في عبارة الحديث القدسي ، صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش ، وتعقل عطشاً يصير مؤثراً في الجلد بالانكماش ، ثم تدبّر في قوله : يحول العطش بينه وبين السماء كالذّخان ، ثم تفكّر في قوله : (ع) * اسقوني شربة من الماء ، وقد تفتّت كبدي من الظمأ ، واويلا (ترجمة الفتت ريزه ريزه شدن است) اي صار كبدي قطعاً صغاراً ، وكيف يكون الكبد قطعاً صغاراً من العطش ، قبل أن ينضج وحتّى لا يبقى فيه من الرطوبة شيء ، ويس

بحيث يتقطع من اليبس ، فسبحان الله العظيم من أمر عظيم ، ثم ان من قتل أهله وولده كثير ، ولكن اين من له أهل نظير أهله ، وولد نظير ولده فان ولده العزيز كان اشبه الناس خلقاً ، وخلقاً ومنطقاً برسول الله وان ذلك امر عظيم (١) يتلو درجة الامام ، أو يقارنه ويساويه ، وهكذا من اسر أهله كثير : ولكن اين من اسر له مثل الحجة الامام زين العابدين (ع) وزينب ، وسكينة ، وأم كلثوم ، ومن سمع جهد الاسر في أحد ، مثل ما سمع في أهله ، وأيضاً من رفع رأسه بالقناة كثير ، ولكن من سمع رأساً فعل به من الشدة والظلم ، ما فعل برأس ابن رسول الله ، وبالجملّة إذا تفكر العاقل في أمره (ع) ، يجده خارقاً للعادات في تحمّل المصيبات ، لذلك عجب من صبره ملائكة السماوات ، فان الأبدان ولو فرضت اقواها لا تصبر بما أصاب بدنه الشريف ، والقلوب لا تصبر بما أصاب قلبه العزيز ، بمعنى انّ البدن والقلب يموت ، ويهلك من بعض ما أصابه ، ويستريح بالموت ولكنه بقي وصبر بامور عظيمة كلّ واحد منها من اسباب القتل فكأنه قتل سبعين قتلة أو أزيد وبالجملّة لا يقاس حكم العاشورا بغيره فعلى الموالي ان يكون حاله في هذه الايام بحيث لا يقاس بشيء من أيام مصيباته ، ويقتدى في ذلك بأهله ، ويتشبه بهم أما سمعت ما حكى من أحوال بعض (٢) الهاشميين إلى خمس سنين من شهادته (ع) ؟ أو ما سمعت مصيبة زوجته الرباب (٣) ؟ أو ما سمعت نوح (٤) الإمام

(١) فان الشبابة في الخلق دليل على الشبابة في الخلق « بفتح الخاء » .

(٢) رواه المحدث القمي ره في نفس المهموم عن الصادق عليه السلام انه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا روى في دارها دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله .

(٣) بنت إمراء القيس وهي أم سكينة حملت فيمن حمل الى الشام ثم عادت الى المدينة تخطبها الاشراف من قريش ، فقالت : ما كنت لأتخذ حواً بعد رسول الله (ص) صلى الله عليه وآله ، وبقيت سنته لم يظللها سقف بيت ، حتى بليت وماتت كمداً ولها في مجلس ابن زياد قصة تحرق القلوب والاكباد .

كما روى السيد ره عن الصادق عليه السلام : إن زين العابدين عليه =

السَّجَاد (ع) أربعين سنة ؟ وإن لم يقدر على ذلك يتأسى لا محالة ببعض الصغار الذين كانوا في زماننا من اهلنا ، وقد رأيت منهم من كان يترك اللَّذَات في تمام أيام العاشورا ، ولا يأكل إلّا خبزاً خالياً ، بل رأيت من يستنكف من تقبيل أخيه الصغير ، مع شدّة محبّته له ، وإن كنت أضعف من ذلك أيضاً. فلا محالة اجعل التاسع والعاشور أيام مصيبتك ، تترك فيه اللّذة ، وتشارك لا محالة فيهما إمام زمانك ، فإنّه رُوحى وأرواح العالمين فداه ، لا ينسى مصيبة جدّه في شيء من الأيام ، ! بل الذي دلّ عليه بعض الكلمات أنّه يندب على جدّه في كلّ صباح ومساء .

ومن الثاني ^(١) أوّل الشهر ، وآخره ، وخميسه الآخر ، فأما الأوّل فعلى العبد المراقب أن يكون دخوله في الشهر ، كورود منزل من منازل السير إلى الله ، فله ان يذكر الله عند رؤية الهلال بما ورد ، ويدعوه بجميع السعادات المتوقّعة في هذا الشهر ، لا سيّما السعادات المختصّة به ، وان يعيذ امام زمانه رُوحى له الفداء ونفسه ، وجميع من يعزّ عليه ، وإخوانه المؤمنين ، وجميع نعم ربّه في هذا الشهر بالله من جميع الشرور ، بل ويتصدّق عنه (ع) ، وعن جميع من ذكر ، وأما آخره ، والخميس الآخر منه ، فقد ورد أنّه يعرض فيهما عمل الشهر على ربّه ، فله في هذين اليومين ان يحاسب أعماله في هذا الشهر اجمالاً ، ويعالج ببعض المعالجات الدينيّة من التوسّلات ، والاستشفاعات ويكثر من التضرّع والابتهاال ، والتوسّل والسؤال ، مع خفير يومه من ساداته في أن يستصلح أعماله ، وحاله مع الله ، ويدعوا الله من حقّه بكرم عفوه ، وتبديله السيّئات بالحسنات ، ويدعو بما انشأ السيّد المراقب من الدعاء لذلك في كتاب محاسبة النفس ، لاواخر النهار من اليوم ، لا سيّما آخر

= السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، إلى آخر ما روى في ذلك طوبنا عن ذكره اختصاراً .

(١) وهو الذي يقع في كل شهر مرة .

الشهر بما يرجى معه ان يكون كفارة لما صدر منه في الشهر كله ، ولا يترك ما ورد ^(١) في كل يوم من قوله يا من ختم النبوة بمحمد (ص) ، اختتم لي في يومي هذا بخير ، وشهري بخير ، وستي بخير ، وعمري بخير .

ثم انه من اهم ما يلزم العاقل عند محاسبة نفسه ، ان يتفكر في خجل ما يعرضه عند الحساب إذا كوشف عن قبائح اعماله وسوء معاملته مع ربه فانه امر عظيم لمن كان له القلب .

وقد ورد في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله تعالى ، وفضيحة هتك السر على المخفيات ، لحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ، ولا يأوى إلى عمران ، ولا يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف ، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ، ! ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار ، وحينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعو ، وفي غمراتها مسؤول ، قال الله : وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين - انتهى .

أقول : ويناسب المقام شرح حقيقة المحاسبة ، وكيفيتها ولكن طوينا ذكرها ههنا لعلنا نذكره فيما سيأتي .

ومن الثالث : يوم الجمعة ومن أراد ان يعرف عظمتها ، فليراجع الاخبار الواردة في فضائلها . وأعمالها ، ووظايفها وليس مقصودنا ذلك ، ولكن لنا في ذلك كلمة ، وهي ان الانسان كيف لا يخل من خيرات العاجل والسعادات الدنيوية ، فانها كلما ازدادت ازداد شوقه وحرصه على الاستيزاد منها ، ويقول هل من مزيد ، ولكن يخل من خيراته الآجلة ،

(١) وهو الذي يقع في كل اسبوع مرة .

والسعادات الاخریة ويكسل عن تحصيل كثيرها بعمل يسير ، ولا أرى
إلا من اجتماع امور شتى ، عمدتها ضعف الايمان بالآخرة ، وبعدها عدم
الاطمينان بقبول أعماله وبقائها سالمة عن الآفات ، حتى يصل وقت
بهجتها ولذتها وبعده الف القلب والنفس بذكر هذه الدنيا ولذاتها وعشقها
بشهواتها وزينتها ، وهذا العشق منع العاقل من التعقل في عواقب
الامور ، فاجتماع هذه الأسباب صار سبباً لكسل المؤمن عن الاجتهاد في
تحصيل أنوار الجمعة ، وسعاداتها العالية ببعض الأعمال الجزئية ، وإلا
فكيف يمكن ان يعتقد الإنسان مثلاً ان الله يدعوه في ليالي الجمعة من
أول الليل إلى آخرها ، ويقول هل من صاحب حاجة يسألني ، فأقضي
حاجته ، هل من مستغفر يستغفرني فاغفر له ذنوبه ؟ ويقول ، هل من ،
هل من إلى الصبح ، ويدعوه إلى الخلوة به ، ومناجاته ، والتأنس به ،
ووعده ان قال العبد يا ربّ يا ربّ ان يقول له : لبيك عبدي ، هل يعتقد
الإنسان ذلك كله ، ثم ينام إلى الصبح ، ولا يقوم ورداً من ليله ليحصل
فيه شيئاً من هذه المراتب الجليلة ، ولعمري انّ ذا لا يكون إلا من
الجهات المذكورة ، وقد ورد في الحديث ^(١) القدسي يابن عمران كذب
من زعم أنّه يحبني ، فإذا جنّه الليل نام عني اليس كلّ محبّ يحبّ خلوة
حبيبه .

ثمّ انّ الجمعة ، وإن كان جميع آياتها شريفة عزيزة ذات أنوار بهيئة
ولكن معذلك فيها ساعة أشرف من جميع ساعاتها ، يقبل فيها الدعاء
وهي على ما يعلم من الأخبار ، ووصل إليّ من بعض الأكابر الموثوق
بهم في أمثال المقام .

آخر ساعاتها التي ورد فيها دعاء السمات . ثمّ إنني سألت بعض
مشايخي ^(٢) الأجلّة الذي لم أر مثله حكيماً عارفاً ، ومعلماً للخير حاذقاً ،

(١) كما في الجواهر السنية لصاحب الوسائل ره عن مفضل بن عمر عن الصادق
عليه السلام ونقل المؤلف بعض فقراته .

(٢) وهو المولى أخوند ملا حسينقلي «قده» قدمنا ترجمته فراجع .

وطيباً كاملاً ، أي عمل من اعمال الجوارح جرّبتهم اثره في تأثر القلب ؟
قال : سجدة طويلة في كلّ يوم يديهما ، ويطيلها جدّاً ساعة ، أو ثلاثة
ارباعها يقول فيها لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ،
شاهداً نفسه مسجوناً في سجن الطبيعة ، ومقيّدة بقيود الاخلاق الرذيلة ،
ومنزهاً لله تعالى بأنك لم تفعله بي ظلماً ، وأنا ظلمت نفسي وأوقعتها في
هذه المهلكة العظيمة .

وقراءة القدر في ليالي الجمع ، وعصرها مائة مرّة .

قال قدّس سرّه : ما وجدت شيئاً من الأعمال المستحبة يؤثّر تأثير
هذه الثلاثة ، وقد ورد في الأخبار ما حاصله أنّه ينزل يوم الجمعة مائة
نفحة أو رحمة ، تسع وتسعين منها لمن قرئها مائة مرّة في عصرها ، وله
نصيب في الواحدة أيضاً .

ومن الرابع ^(١) ساعات الصلاة الخمس في القسمة السادسة من
النصف الاخير من الليل ، وقد ورد فيها أنّه أفضل ساعات الليل للدعاء ،
وهو مجرّب فعلى العبد المراقب ان يتعقّل معنى وقت الصلاة ، وإذا عقل
فلا محالة يسعى في أدائها في وقتها ، فقد ورد ^(٢) في الأخبار الكثيرة
الحثّ الأكيد إلى أوّل الوقت ، وفي بعضها أنّ أوّله رضوان وآخره
غفران .

وورد أنّ المضيق للعصر في الجنّة موتور لا مال له ، يكون ضيفاً
لأهله وباصطلاحنا (كلاًش الجنّة) وقيل : وما المضيق ؟ قال : يدعها
حتى تصفر الشمس أو يغيب .

وورد عن رسول الله (ص) أنّه قال : لا ينال شفاعتي غداً من آخر

(١) وهو الذي يقع في كل يوم .

(٢) وقد ذكر ذلك كله صاحب الوسائل قده في كتاب الصلوة من الوسائل في
مقدمة كتاب الصلوة فراجع .

الصلاة المفروضة بعد وقتها .

وفي الصحيحين ليس لأحد ان يجعل آخر الوقتين وقتاً ، إلا من عذر وعلة .

وورد فيه الصلاة المفروضات في أول وقتها إذا اقيم حدودها ، أطيّب ريحاً من قضيب الآس ، حيث يؤخذ من شجرتة في طيبة ، وريحه ، فعليكم بالوقت الأول ، وفيه فضل الوقت الأول على الأخير خير للرجل من ولده وماله ، واختلف الأقوال في كون آخر الوقت وقتاً للمضطر ، أو المختار ، فالأحوط ان لم يكن أقوى عدم جواز تأخيرها إلى آخر الاوقات من غير عذر وعلة . وإن كان العذر في ذلك يشمل بعض الاعذار الهينة ، فالعذر الأدنى فيه كاف كما يستفاد من بعض الأخبار والظاهر ان آخر وقت الظهر الذي حضنا في عدم التأخير عنه ، هو صيرورة الفيء مثل الشاخص ، وآخر وقت العصر صيرورته مثلية ، وأما القدم والقدمان ، فهما من وقت فضيلة الظهر والعصر أيضاً ، كما ان الزوال ، وصيرورة الفيء مثل الشاخص أيضاً من وقت فضيلتهما .

ثم ان تقرب آخر فضيلة الظهر الذي هو صيرورة الفيء ، مثل الشاخص وهي تعبّر عنها بالقامة وسبعة اقدام في بلاد يكون عرضها اثنين وثلاثين درجة ، كاصبهان ، وما قاربها في العرض ، يمضي ثلاث ساعات فثمان وعشرين دقيقة في أول الحمل .

وأول وقت المغرب الغروب الشرعي ، وآخره ذهاب الشفق المغربي ، وأول وقت العشاء الفراغ من المغرب إلى ثلث الليل ، والأحوط أو الأولى تأخير العشاء إلى ذهاب الحمرة المغربية ، وأول الصبح طلوع الفرج الثاني إلى اسفار الصبح .

وأما وقت النوافل فالأقوى ان نوافل الظهرين يجوز من أول النهار إلى آخره ، وأما وقت فضيلتها فللظهر أوله إلى أن يصير الفيء ذراعاً ،

وللعصر إلى أن يصير ذراعين مقدّما لها على الفريضة وللمغرب بعده إلى آخر وقت الفضيلة ، وللعشاء بعدها إلى الانتصاف ، وأوّل وقت صلاة اللّيل من الانتصاف إلى الفجر الثاني الغير المضطر ، ويجوز تقديمها على الانتصاف للضرورة ، ولكن قضائها أفضل ، وهكذا يجوز بعد الفجر لمن لا يعتاده لبعض الصّحاح ، وفاقاً للبعض إذا صلّى أربعاً قبل الفجر ، فله اتمامها بعده ، وفاقاً للمشهور ، ووقت نافلة الفجر الفراغ من صلاة اللّيل للمختار إلى طلوع الحمرة ، والأوّل تقديمها على الفريضة ، بل يكره تأخيرها عنها ووقت صلاة الكسوفين من ابتدائه إلى انجلائه ، وللزّلزلة قبل تمام العمر ، وقيل غير ذلك والاحوط عدم التأخير اختياراً عن الفور العرفي ، وهكذا لغيرها من الآيات وأمّا صلاة العيدين فالأحوط أنّ أولّها ارتفاع الشّمس ، وآخرها الزّوال .

فصل : في المكان أقول ومن الامكنة أيضاً شريف وغير شريف ،
وسعيد ونحس ، وأمره في ذلك مثل الزمان ولهذه الأمة المرحومة أن يشكروا الله تعالى ، ويشنوا على رسول الله (ص) في تسهيل امر المكان ، حيث جعل لهم الأرض كلّها مسجداً بمعنى جواز الصلاة كلّها فيها ، ومع ذلك فقد ورد الحث الأكيد في تعاهد المساجد ، وعدم التخلّف في الصلاة المفروضات عنها ، لا سيّما لجيرانها ، حتّى ورد أنّه لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد ، فعلى العبد المراقب ان يعقل معنى المسجد وحق اديه وتعظيمه وقبح التخلّف عن حضوره وان لله في جعل المساجد والاذن لحضورها شكراً عظيماً على العباد ، سوى ما جعل لهم من المثوبات بحضورها ، والعبادة فيها ، فإنّ المسجد بيت الله ، والمقصود من كون الكعبة والمسجد بيتاً لله ، مع أنّ نسبة الارض كلّها إلى الله سواء ، ليس مكان أقرب إليه من الآخر ، إنّ الله يعامل معها معاملة البيت أي جعله من المكان في مكانة البيت ، بمعنى أنّه جعلها محلاً لملاقاته ، ومجلس انسه ، وزيارته أي يعامل فيها مع عبّاده وزوّاره

معاملة الحضور ، والصحة ، وإذا اتخذ ربنا كل مكان أردناه باختيارنا أي
نسبه إليه وتتخذة محلاً لملاقاته ، وحضوره وزيارته مسجداً ، او عالمنا
فيه ما أردناه يكون معنى ذلك أنه جعل اختيار مجلس الملاقات ،
والحضور إلينا ، وهذا من اجل المكارم ، ثم انّ الذي يفهم من معاملات
الله مع عبده في جميع الازمان والحالات ، انه تعالى يعاملهم ، أولاً
بحلم وكرم واحسان ، وفضل وانعام ، ورضوان بما هو خارج عن حوصلة
العقول ، وينعمهم قبل وجودهم ، وبعد وجودهم بنعم لا تحصى ،
ويحلم عند معصيتهم ، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ، ولا يغير عليهم
نعمه ، ويتمشى معهم مشية الربّ الدود العطوف الكريم الجواد الرحيم
الرؤوف ، ويدعوهم كلّما اعرضوا عنه ، ويقبل إليهم كلّما ادبروا في
جميع حالاتهم إلى أن يتجاوزوا في العناد والجحود ، بحيث يجب في
حكم الحكمة الالهية أخذهم ، فعند ذلك يظهر سلطان الجلال والقهر ،
ولا يقوم له شيء .

لطف حق با تو مداراها کند چونکه از حد بگذرد رسوا کند

فإذا يطالبهم بحكم العدل ، ويفضّحهم بقيح فعالهم ، وينتقم
منهم بأشدّ الانتقام مثلاً ، يدعو عباده في سمع عقولهم بلسان حال
السموات والارضين وما فيهنّ وما بينهنّ من جميع الموجودات . وبلسان
حال أنفسهم من عقلهم وروحهم ونفوسهم وقلوبهم وخيالهم ، وحواسهم
وسائر قواهم ، واعضاءهم وجوارحهم كلّها ، وبلسان الأنبياء والاولياء
والعلماء ، والحوادث الكونية ووجوه الحكمة المودعة في نظم العالم ،
وغيرها بالاقرار بتوحيده ، والايمان بوجوده ، وقدرته وعنايته ، ويحلم
عنهم إذا استكبروا عن قبول هذه كلّها ، حتّى يؤكدها بانحاء الاعجاز
بوجوه معجزات الأنبياء خلال هذه المدة ، برأفة ورحمة أشد وأكرم من
رأفة الأمّ الرؤوف والأب العطوف حتّى ينقضي عناده وجحوده للحقّ بحكم
العقل والحسّ والعيان ، فعند ذلك أخذهم بما لا يقوم له السّموات

والأرضون ، ويرسل عليهم عذاباً من ريح صرصر عاتية ، أو صيحة أو نار أو ماء يهلكهم عن آخرهم ، ويسوقهم بهذه الجنود إلى عذاب الآخرة ، نار جهنم إلى نار عذابها شديد . وحرّها صديد ، ومقامها حديد ، وقعرها بعيد نعوذ بالله منها ، ومما يوقعنا فيها ، بوجود أوليائه السابقين واحبائه المقربين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبالجملّة كما أنّ الله هو الرحمن الرحيم ، ودود عطوف كريم كذلك هو شديد العقاب ، ذي البطش الشديد فلا تغرر برّبك الكريم ، وحسن صنيعه بك حتّى تتجاوز عن الحدّ ولا يجعل الشيطان الغرور كرم هذا الربّ الكريم ، سبب غرورك حتّى يهويك في مكان سحيق ، فإنّ من علائم الاستدراج ان يزيد الكرم والحلم في الجرّة على المعصية ، وهوان عظمة الله في نظر العبد ، وتفكّر في حسن صنع الله معك في دعوتك إلى بيوته ، وتكريمك بذلك بحسن الطلب ، والاصرار والتوفيق ، والوعد بالمشوبات والكرامات ، وقبح صنيعك في الغفلة عن هذه المواهب الجزيلة والإعراض عن هذه الدعوة الكريمة الجميلة فاحذر من أن يكون حلمه عنك في اعراضك عنه استدراجاً ، وطالب نفسك ان يحمد هذه النعمة العظيمة ، ويشكرها ، ويستقبلها بحسن القبول ، فإنّ من علائم عدم الاستدراج ^(١) التوفيق بحمد النعمة ، كما ورد بذلك الرواية ، ثمّ عليك عند قصد المساجد واحرام حضور بيت الله ان تعرف أدب الحضور بقدر وسعك ، فإنّ المعروف بقدر المعرفة ، والادب سبب للقرب ، ومن احسن ادب حضور الرب الحقّ قربه والقرب سبب القبول ، بل هو نفس القبول وغاية القبول ونهاية كلّ مأمول ، ولكن مقياسك في معرفة حقّ

(١) كما في الكافي عن سماعة بن مهران قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .

قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ، ويجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب الخبر وهكذا أورد في الكافي اربع روايات ودلالاتها واضحة .

أدب حضور هذا الملك العظيم ميزان ادب حضور سلاطين الدنيا ، فحقّ أدب حضور بساطه ما بين نسبة العبد والربّ ، فكما أنّ نسبة عظمة هؤلاء السلاطين مع عظمة الله لا يقدر بقدر ، فكذلك نسبة حقّ أدب حضوره مع حقّ ادب حضورهم .

وإذا تمهّد ذلك تعرف أنّك لا تقدر على حقّ أدب حضوره ، ولا أحد غيرك ، فليكن هذا على ذكر منك .

ثمّ انظر معاملتك وأدبك في حضوره ، وأنك غلى تقصيرك ، وقصورك واستحيي عن قبح فعالك ، فليكن عليك رهبة الخاشعين ، وذللّ اعتراف الخاطئين ، حتّى يلجأك ذلك على الالتجاء بباب كرمه في طلب توفيق من ادب الحضور ، ويقول لسان حالك : « آمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » فيفتح بذلك أبواب القبول ، ويعرفك كاشف السوء بإجابة المأمول ، وأعمل بالصدق بما حكى في مصباح الشريعة في ذلك عن الامام الصادق (ع) ، حيث قال وإذا بلغت باب المسجد ، فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً ، لا يطاء بساطه إلّا المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصديّقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمة هيئة الملك فإنّك على خطر عظيم ان غفلت ، واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة ، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً ، وإن طالبك باستحقاقه الصدق ، والاخلاص عدلاً بك ، حجبك وردّ طاعتك وان كثرت ، وهو فعّال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك ، وفقرك بين يديه ، فإنّك قد توجّهت للعبادة ، والمؤانسة به ، وأعرض اسرارك عليه ، ولتعلم أنّه لا يخفى عليه اسرار الخلائق أجمعين وعلايتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلّا الأطهر والأخلص ، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فإن ذقت حلاوة مناجاته ، ولذيذ مخاطباته وشربت كأس رحمته وكراماته ، من حسن اقباله عليك ، واجابته ،

فقد صلحت لخدمته ، فادخل فلك الأذن والامان ، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل ، وقصر عنه العمل ، وقضى الأجل ، وإذا علم من قلبك صدق الالتجاء اليه ، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، والعطف ، ووفقك لما يحب ويرضى ، فإنه كريم يحب الكرامة بعباده المضطرين إليه المحدين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿ أَمِّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ .

هذا وحقَّ الله أنه كلام صدر من عين صافية من عيون الحكم الربانية ، جامع الاصول عالم المراقبة ، وإذا عرف عبد مقام نكات تعبيراته ، ولطائف اشاراته ، يتعلَّم منه فروع أكثر ابواب المراقبات في سائر العبادات ، والمعاملات وإذا وفق عبد للعمل بما فيه انفتح له من كل باب من أبواب معارفه ألف باب والله الموفق للصواب .

أقول : إذا سمعت هذه المراقبة لباب المسجد ، وعلمت أدب حضور العبادات ، ووظائف العبودية في الطاعات ، لا يعظم عليك بعد ذلك ما ورد في الاخبار والروايات من فضل جزاء الأعمال فهذه الفضائل إنما هي لهؤلاء العاملين ، لا مثلي ومثلك من الغافلين ، ثم أنك إن كسلت عن اتيان هذه الخدمة ، والتأدب بهذا الأدب ، فلك ان لا تتركه كلَّ الترك وتعمل منه بقدر الميسور ، ولا تنسى حقَّ ما عليك في عملك ، ويكون عليك خجل التقصير ، ولتقف لا محالة عند باب المسجد ، وتقرأ آية أَمِّنْ يجيب المضطرَّ ، وتلتجئ اجمالا في اصلاح حال مسجلك ، وإن واظبت على ذلك أيضاً فإنك تجد فيه خيراً كثيراً .

فصل : في آدابه الظاهرية اهمها تعميرها بالعبادة .

ومنها قراءة ^(١) ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي

(١) رواه في كتاب مفتاح الفلاح شيخنا البهائي قده من عدة الداعي مع خواص لكل آية من الآيات المذكورة فراجع وأشار اليها المؤلف قده بقوله : وقد ورد لذلك فضل عظيم الخ .

ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحييني ، والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، ربّ هب لي حكماً والحقني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبي ﴿ عند المشي إليها .

وقد ورد لذلك فضل عظيم ، وأجر جسيم .

ومنها^(١) تعاهد النعل عند بابه ، والتسمية والدعاء عند الدخول والخروج يقول عند الدخول والخروج ، بعد التسمية : اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك .

وعند الخروج^(٢) بعد صلاة المكتوبة .

يقف على الباب ، ويقول : «اللهم دعوتي فاجبت دعوتك ، وصليت مكتوبتك ، وانتشرت في أرضك ، كما أمرتني ، فاسئلك من فضلك العمل بطاعتك ، واجتناب سخطك ، والكفاف من الرزق برحمتك» ، وتقديم الرجل اليمنى عند الدخول واليسرى عند الخروج ، وكذا كلّ مشهد شريف عكس المكان الخسيس ، وصلاة التحية بركعتين ، ويستحبّ كنسها وتنويرها بالاسراج ، ويكره تشریفها وتسقيفها كالعريش ، وزخرفها ، وتصويرها ، وقيل بتحريمها ، والاحوط الاجتناب ، والمحارب وقيدت الداخلة ، وفسّرت تارة بالداخلة في المسجد ، واخرى في الحائط ، ولا نصّ على القيد من اصله ، وتطويل المنارة ، وجعلها في الوسط ، قيل بتحريم ذلك ، وتعليقها ، واخراج

(١) كما في الوسائل عن سماعة بعد الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واذا خرجت فقل مثل ذلك .

(٢) كما في الوسائل عن أبي حفص العطار ، ثم ان المكروهات والمسئبات التي ذكرها المؤلف كلها مذكورة في الوسائل وقد عقد لكل منها باباً .

وكذلك مذكورة في الكتب الفقهية ، فلا حاجة لنقلها وتطويل الكلام فيها .

الخصامها ، والاحوط فيه الاجتناب ، فان فعل فيردّها إليه او إلى مسجد آخر وانشاد الشعر الباطل ، والبيع والشراء ، وتمكين المجانين والصبيان ، والاحوط في جميع ما ذكر الاجتناب ، واقامة الحدود ورفع الصوت المتجاوز عن المعتاد ، وانشاد الضّالة ، وحديث الدّنيا ، وهو كلّ ما لا ينفع عند الموت ، وما بعده ، وعمل الصّنائع ، وكشف العورة - روى عن النّبيّ أن كشف السّرة والفخذ والركبة في المسجد من العورة ، والاتّكاء والنوم في المسجدين ، بل جميع المساجد ، ولكن يدفعه الحسن ، والدّخول مع رائحة الثّوم والبصل ، والكراث ، وكلّما يؤذى ولو قليلاً ، والتبصّق وهو فيه خطيئة ، وكفّارته دفنه ، وكذا التنخّم وينزوي^(١) به المسجد ، والحقّ بها قتل القمل ، وجعلها طريقاً ، ورطانة الاعاجم اي التّكلّم بما لا يفهمه الجمهور والوضوء من البول ، والغائط ، وقيل بتحريمه للرّواية ، وتحريم ادخال النّجاسة فيه لظاهر بعضها ، وخصّص بالمتعدية منها ، وهو الاصحّ .

خاتمة : ورد في الأخبار الكثيرة عن النّبيّ (ص) وآله الحث الاكيد في اتيان المساجد ، بل في بعضها استحباب اختيار الصّلاة منفرداً في المسجد على الجماعة في غيره ، هذا للرجال ، واما النّساء :

روي أنّ مسجد المرثة بيتها ، ويستحبّ للمؤمن أن يتخذ في بيته مسجداً لعبادته ، ويعامل معه معاملة المسجد .

(١) وينزوي به المسجد إلخ كما في الرواية عن محمد بن الحسين الرضّى ره في المجازات النبوية ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار الخ رواه في الوسائل .

الباب الثاني

في الصلاة وفيه فصول

الأول : في معنى الصلاة .

اعلم إنَّ للصلاة أربعة آلاف حدّ ، وإنّه تنهى عن الفحشاء والمنكر وإن ما لم تنه عن الفحشاء منها عدمها خير من وجودها .

أمّا المعنى فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح ، من صليت العود على النار ، ومن المصلى ، ومن الوصلة ، أو بمعنى الزيارة ، كما ورد عن عليّ عليه السلام في تفسير قد قامت الصلاة ، أي حان وقت الزيارة ، أو الرحمة ، وكلّ هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الالهي .

وأما حدودها :

فعن العيون والعلل بإسناده عن زكريا بن آدم ، عن الرّضا (ع) قال : سمعته يقول : للصلاة أربعة آلاف باب .

وعن المناقب لإبن شهر آشوب ، عن حمّاد بن عيسى ، عن الصّادق (ع) قال : للصّلاة أربعة آلاف حدود ، وفي روايةٍ أربعة آلاف باب .

أقول : جمع الشهيد من واجباتها ألفاً وصنّف فيه الألفيّة ، ومن مندوباتها ثلاثة آلاف ، وصنّف فيه النفلية .

أقول : يمكن أن يكون المراد من الأبواب أبواب السماء التي تعرج منها الصلاة ، وروح المتّصل ، أو أبواب الفضل ، والفيض ، ومن الحدود مسائلها المتعلقة بأجزائها ، وشرائطها في الصّحة ، والكمال ، ويكون المراد منها أسباب ربطها المعنوي إلى جناب قدسه تعالى ، أو ربطه عند الصلاة .

وأما نهيهما عن الفحشاء والمنكر ، يكفي في الدلالة عليها قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وأما ما لم تنه منها عن الفحشاء ،

فعن النبيّ (ص) إنّهُ ^(١) قال : من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلاّ بعداً .

وعنه (ص) لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وإطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وروي أنّ من الأنصار من كان يصليّ الصلاة مع رسول الله (ص) ، ويرتكب الفواحش يوصف ذلك له (ص) ، فقال (ص) : إنّ صلاته تنهاه يوماً ما ، فلم يلبث ان تاب .

وعن أبي عبد الله (ع) ^(٢) قال : من أحبّ أن يعلم أنّ صلاته قبلت أم لم تُقبل ، فليُنظر هل منعه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعه قبلت منه .

أقول : هذا هو الحقّ الذي لا محيص عنه ، لأنّ القرآن ورد بثبوت

(١) كما في تفسير البرهان في تفسير الآية الشريفة عن علي بن ابراهيم (ره) .

(٢) كما في تفسير البرهان ايضاً .

هذه الخاصية للصلاة ، فالتّي لم تكن فيه هذه الخاصية ، ووجد فيه الصورة ، فلا محالة يكون العمل من النفاق الخالص ، لأنّه لو وجد فيه شيء من الروح فبقدره يؤثر في النهي عن الفحشاء ، فما لم يوجد فيه شيء من التأثير ، علم عدم وجود شيء من الروح فيه ، فعمل لم يوجد من حقيقة الصلاة فيه ، حتى جزء يسير ، فهو من النفاق الخالص والنفاق إنّما هو مبعد بلا شك ، لا يتوهّم أنّ النفاق إنّما يتحقّق بمجرد زيادة خشوع الجوارح على القلب ، فيجب حينئذٍ أن يكون جميع الصلاة حتّى من المتّقين أيضاً غير مقبول ، بل غير راجح ، لأنّ صلاة لم يوجد فيها غفلة ، ولو في شيء يسير من أجزائها لم يتأتّ ، حتّى من الأوحدي من النّاس ، وهذا الجزء الذي وقع فيه الغفلة مخالف للصورة لا محالة ، فيكون من النفاق ، فيكون مرجوحاً مبعداً عن الله ، لأنّا نقول إنّ المبعد القطعي ، ما يكون جميع اجزائه خالية من جميع مراتب الروح وهو قليل في المعتقدين للصلاة ، حتّى العوام ، فإنّ صلاتهم إذا عملوا بها من جهة الاعتقاد ، لا للرياء فلا محالة يكون أوّل جزئها حين الدخول فيها واجداً للرّوح ، مع أنّ جميع أجزائها أيضاً ليست فاقدة بجميع مراتب الحضور ، ولو في ظاهر القلب أو باطنه ، فإنّ الحضور له مراتب ، فإنّ القلب قد يحضر بكلّه ، حقيقته وسرّه ، ظاهره وباطنه عند عمل ، وقد يكون بظاهره عند شيء وباطنه مشغول بشيء آخر ، وقد يكون بباطنه عند شيء وظاهره مشغول بآخر وهكذا فالفاقد بجميع مراتب الحضور ، وهو عمل الساهي والنائم ، ونحوهما وأمّا فاقدة الرّوح من جميع الجهات ، وجميع مراتب الرّوح ، فهي التي لا تؤثر في النهي عن الفحشاء أبداً ، لا في جزئي ولا في كليّ ، وأمّا واجدة في بعضها ، فلا محالة تؤثر بقدر ما فيها من الروح ، ولكن ليس كلّما يوجد فيها شيء من الروح مقبولة أيضاً ، ومرفوعة إلى السماء ، بل الذي يفهم من بعض الروايات ، أنّ ما يكون بقدر عشرها مع الاقبال والحضور ، يرفع منها بقدر (١) ما اقبل

(١) كما في الوسائل في باب استحباب المداومة على النوافل ، عن محمد بن مسلم =

فيها ، وما نقص عن ذلك فلا يرفع ، فتحصل من جميع ما ذكر أنّ
الفاقة للروح بجميع وجوهها ، من جميع الجهات ، فهي التي يورث
البعد من الله ، وهو كعمل المرائي والمستهزء ، ونحوهما ، وما كان فيها
من الاقبال بقدر العشر ، وما فوقه يقبل منه بقدر الاقبال .

فإن قيل : هذا يخالف حكم المركبات ، فإنها تنتفى بانتفاء بعض
اجزائها ، ولازمها ان يبطل ، ولو بفقدان الروح في جزء منها ، لأنّ
المطلوب مثلاً عشرة أجزاء ، ذات الأرواح ، فإذا تخلف روح شيء من
الأجزاء انتفى الحقيقة بحكم العقل .

قلت : هذا مقتضى القاعدة ، ولكن في بعض الأخبار^(١) أنّ
الناقص منها يتدارك نقصها بالنوافل ، فلا بأس إذاً بحكم الفضل ان يقيّد
حكم المركّب بها ، ولا يذهب عليك أنّه يمكن ان يكون المراد من
النوافل ، الصلاة الغير الواجبة ، لا نوافل خصوص الفريضة الناقصة ، بل
ويمكن أن يكون المراد مطلق النوافل العبادية ، ولكن يشبه أن يكون هذا
أيضاً مقيّد بالتجانس بمعنى أن يكون المتدارك من جنس المتدارك مثلاً
يتدارك روح سجدة الصلاة بسجدة ذات روح ، واقبال ، وإن لم تكن في
صلاة ، أو غيرها من العبادات التي فيها روح السجدة ، وهكذا .

فصل : في الآيات الدالة على أنّ المراد من الصلاة ليست مجرد
الاعمال الظاهرة ، وهي عدّة آيات .

منها قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَيَلِّ الْمَصْلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴾ .

= عن أبي جعفر عليه السلام وباب استحباب صلوة الف ركعة في كل يوم والليلة عن
حمزة بن حمران .

(١) كما في ذيل الرواية المذكورة : وإنما أمرنا بالنافلة لئتم لهم بها ما نقصوا من
الفريضة .

(٢) سورة ١٠٧ . آية ٤ .

قيل : ذمهم على الغفلة عنها ، مع كونهم مصلّين .
 ومنها قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ ^(١) فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
 ومنها قوله تعالى ^(٢) : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِ ﴾ .
 ومنها قوله تعالى ^(٣) : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى
 تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ .
 قيل فيه تنبيه على سكر الدنيا ، إذ بيّن فيه العلة ، يعني أنّ العلة
 في المنع عن الصلاة ، مع السكر ، أنّ السكران لا يفهم ما يقول : وهذا
 يعمّ سكر الدنيا ، والخمر معاً .
 وأمّا الأخبار فهي كثيرة متواترة في ذلك .
 منها ما مضى في أوّل الكتاب .
 ومنها ما مضى في الفصل المتقدّم من قولهم ، أنّ ما لا تنهى عن
 الفحشاء لا يزداد من الله إلّا بعداً .
 ومنها قوله (ص) : ^(٤) لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها
 قلبه مع بدنه .
 ومنها قوله إنّما الصلاة ^(٥) تمكّن وتواضع وتضرع ، وتياس ، وتندم
 وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول اللهمّ فمن لم يفعل فهي خراج .
 ومنها قوله ^(٦) إذا صلّيت صلاة فريضة ، فصلّ لوقتها صلاة مودع ،

(١) س ٢٣ . ي ٢ .

(٢) س ٢٠ . ي ١٤ .

(٣) س ٤ . ي ٤٦ .

(٤) لم نجده .

(٥) لم نجده .

(٦) كما في باب استحباب صلوة الف ركعة في كل يوم وليلة في حالات السجاد
 عليه السلام وباب وجوب اتمام الصلوة عن ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام .

تخاف ان لا تعود فيها ، وبالجملّة الأخبار في هذا المعنى فوق التواتر .

فصل : في بعض ما روي من صلاة المعصومين (ع) في الحقائق .

روى ^(١) أنّ إبراهيم الخليل (ع) يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل .

وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك .

وقال بعض ازواجه : كان النبيّ (ص) يحدثنا رنّحدثه فإذا حضر الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه .

وكان أمير المؤمنين (ع) ^(٢) إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله .

وكان (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ، ويتلّون ، وقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ، فقال جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها .

وكانت فاطمة تنهج ^(٣) في الصلاة من خيفة الله .

وكان ^(٤) الحسن (ع) إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقليل له في

(١) كما في عدة الداعي لابن فهد الحلي رحمه الله تعالى ورواه في البحار ايضاً في كتاب الصلوة مع الروايات تليها .

(٢) مشهور ومعروف رواه المخالف والمؤلف ورواه في البحار ايضاً مع الروايات التي وردت في سائر الائمة عليهم السلام في حال صلواتهم ووضوئهم وغيرها .

(٣) النهج بالسكون : الطريق الواضح ، وبالتحريك البهر وتتابع النفس .

(٤) رواه المؤلف والمخالف في حالاته عليه السلام ورواه ايضاً في البحار وكذا ما روى عن السجاد عليه في وضوئه وصلوته من خشية الله تبارك وتعالى وتغيّر حاله وكذا ما روى في سائر الائمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم فلا حاجة لنا الى ايراد جميع ذلك مع تظاferها بل تواترها ووضوحها .

ذلك ، فقال : حقّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه .

وروي مثل ذلك عن السّجّاد (ص) .

وعنه ، إذا توضّأ اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟

قيل ورأيتَه يصلّي فسقط رداءه عن منكبه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته ، فسألته عن ذلك فقال ، ويحك اتدري بين يدي من كنت ، إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلّا ما قبل فيها . فقلت : جعلت فداك هلكنّا ، قال : كلّاً إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل .

وعن الصادق (ع) قال : كان عليّ بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى ينفض عرقاً .

وعنه (ع) قال : كان أبي يقول : كان عليّ بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق سجرة ، لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح .

وعنه (ع) أنّه سئل عن حال تخصّصه في الصلاة حتّى صار مغشياً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال : ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي ، حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

قال لا يجتمع الرعبة والرغبة في قلبك ، إلّا وجبت له الجنّة ، فإذا صلّيت فاقبل بوجهك على الله ، فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلاته ، ودعائه إلّا اقبل الله عليه ، بقلوب المؤمنين ، وأيّده مع موذّتهم إياهم بالجنّة .

وعن الباقر (١) قال : إنّ العبد ليرفع له صلاته نصفها ، وثلثها ،

(١) كما مر في رواية محمد بن مسلم قبيل هذا وغيرها .

وخمسها ، وربعها ، فما يرفع له ، إلّا ما اقبل عليها بقلبه ، وأنما امروا
بالنوافل ليتّم لهم ما نقصوا من الفريضة .

فصل : في الأحوال التي يكمل بها الصلاة ، ويحكم العقل
بلزومها ، وورد بها الشرائع ، وهي ستّة : حضور القلب ، والتفهم ،
والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء .

والمراد من الأوّل أن يكون القلب عند الصلاة ، لا شيء آخر ،
بحيث يغفل عن الصلاة ، وإن كان حضوره عند ظاهر الأحوال ، والأقوال
غير متعمّق فيها ، وهذا المقدار كاف في تحقق حضور القلب ، وله أنواع
شتّى ، وأقسام مختلفة ، وهو أنّه قد يكون القلب حاضراً في وجه من
وجوهها ، ككونه في حضور الله ، ويشغله ذلك عن الحضور عند فعل
بالخصوص ، أو قول ، وككونه مقيداً ومشغولاً بتصحيح أداء الحروف من
مخارجها ، أو باللحن العربي ، وككونه حاضراً في تصحيح صورة
الافعال ، وقد يكون حاضراً ومشغولاً بالفكر في معنى فعل ، أو قول إلى
آخرها ، كاشتغاله في معنى التكبير ، أو القيام ، أو الركوع ، أو غيرها مع
بقاء الفكر إلى آخر الصلاة ، وأكمل هذه الانواع أن يكون القلب حاضراً
عند كلّ فعل ، وقول بخصوصه ، راعياً حضور ربّه ، وشاعراً وملتفتاً
بادائها عنده ، ولا يشغله الفكر في جزء عند الاتيان بجزء آخر ، عن هذا
المأني الفعلية ، فيشتغل عند كلّ عمل ، أو ذكر بفكره بالخصوص بل
عند كلّ جزء أنّه مأمور من الله بهذا مستعيناً منه بتوفيق ، كما امره .

وهذا الفنّ الكامل ، جامع للمعنى الثاني أيضاً ، وهو التفهم لأنّه
عبارة عن حضور القلب عند معاني الأقوال والأفعال ، وللمبتدئ فيه ان
يلاحظ معنى كلّ فعل وقول ، اجماله قبله ، ثمّ يتدبّر به ملتفتاً وقاصداً
بحقيقته ، ثمّ الانتقال بلحاظ معنى الجزء الآخر قبل الدخول به ، واتيانه
كما ذكر ، وهكذا ولا يذهب عليك أنّ قصد معاني الافعال ، عند
أول العمل تفصيلي وعند التلبس بالذكر في الاثناء اجمالي ، والفكر

تفصيلي حينئذٍ في الاستغراق بتفهم حقائق الاذكار ، ولبیان كيفية تفهم حقائق الافعال والاذكار ، مقام آخر ، وهو العمدة في تكليف المصلي ، وبه يحصل أغلب الآثار الجليلة المودعة في هذا المعجون الالهي ، لأن القلب يتقلب بالفكر في هذه الاسرار الجليلة ، وأحوال سنّية من الصفات ، ومقامات رفيعة من المعارف ، فيحصل له الترقّي من حضيض عوالم الطبيعة إلى الملكوت الأعلى ، فيستعدّ قلبه لتلقّي الحقائق القرآنية والأسرار الكونية من اهل عالم الملكوت ، أو من فوقهم ، ! وهذه الأحوال هي التي تنهى المصلي عن الفحشاء والمنكر ، وإن كان يحصل بعض مراتبها بدون ذلك أيضاً .

ثم إنّ هذه الدرجة من التفهم ، لا بدّ وان تكون مع الأمر الثالث ، وهو التعظيم لأنّ التعظيم حال منشأ العلم بعظمة الله العظيم ، وحضوره وقدرته على ما يفعل به ، من الردّ والقبول والاكرام والتوهين ، وإذا استشعر العبد في صلواته عظمة من يناجيه في حضوره ، وأنّه أما ان يتفضّل عليه بالقبول ، فيكرمه اكراماً جميلاً جزيلاً ، او يطلبه بعدله واستحقاقه الصّدق والاخلاص ، فيحجبه ويعذّبه عذاباً أليماً ، فلا بدّ ان يخاف من خطر المقام ، ! وهذا الخوف الذي منشأ التعظيم عبارة عن الأمر الرابع ، وهو الرهبة ، وإذا تفضّن مع ذلك بجميل فعاله مع عبده ، وسائر الصفات الجمالية ، فيقوّي قلبه بالرجاء ، ويستحيي من سوء فعاله وتقصيره ، واستقباله الاحسان بالكفران وجميل الصنائع بقبائح الأعمال ، وهذا هو تمام الأمر ، وبالرجاء والحياء يتمّ الخصال الست ، وأولها وأهمّها الهمة ، فإنّ همة الرجل إذا كان عند عمله يكون قلبه أيضاً حاضراً عنده ، لأنّ القلب تابع للهمة ، ومهما اهتمّ الانسان امرأ حضر قلبه عنده ، شاء أم أبى ، فبدو أسباب هذه الخصال كلّها الهمة وسببها الايمان والتصديق بان الآخرة خير وأبقى ، وان الصّلاة (وسيلة اليها) فإذا وجد الايمان فهو مقتضى لحصول الهمة .

إن لم يمنع عنه الدنيا ، ومجرّد الايمان لا ينفع في بقاء الهمة ما لم يقو بالنزوع عن محبتها ، وأسبابها الشاغلة للقلب عن الآخرة والصلاة ، وكلّ منافر معها من الذكر ، والفكر ، فإنّ المحبة والمحبوب يجذب الخواطر إليه ، لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره ، وذكر المحبوب اهتم على القلب بالضرورة ، ولهذه الخصلة الواحدة ترى أنّ صلاة سالمة عن الخواطر لا يتأتّى لنا ، ولو بمجاهدة شديدة ، وأمّا القلوب السليمة عن حبّ الدنيا ، فجميع حالاتها صلاة ^(١) ، وذكر ، بل قرّة عينها في الصلاة ، بل لا يصفوله شيء من لذايذ الدنيا أبداً ، بل لا علم له بالدنيا ، ولا شغل له بها ، حتّى يحتاج إلى مجاهدة دفع خواطرها ، بل لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه كما هو صريح عبارة ^(٢) مصباح الشريعة ، فاذا العمدة في استحضار همّه ، رفع المانع أيّ تبديل حبّ الدنيا بحبّ الآخرة أو محبة الله ، نعم المانع قسمان : قسم يندفع أثره بالمسكّنات ، وتقوية المقتضى ، ومثله فيما نحن فيه من كان حبّه للدنيا قليلاً لم يملك نفسه ، وحيث يصعب للقلب الغفلة عنه ، وذكر شيء آخر مكانه ، ومثل هذا المؤمن إذا سدّ طرق الحواس الظاهر بأن يصلّي في الخلوة ، والمكان المظلم حتّى لا يسمع ما يشغله عن التدبّر في صلاته ، ولا يرى شيئاً كذلك يكفيه ذلك لرفع الشواغل الداخلة من الاسباب الخارجة ، ومنع النفس عن التفكّر فيما يحضره من طريق الملكات ، ان يستعدّ له أولاً قبل الصلاة بتجديد ما علم من الدين ، من عظمة الصلاة ، وخطر موقفها والوقوف بين يدي

(١) خوشا آنان كه دائم در صلاتند بحمد وقل هو الله كارشان بي .
قوله : وقرة عينه الصلوة اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله وقرة عيني الصلوة .

(٢) وهو قول الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، باب الخامس والتسعون من مصباح الشريعة .

الله ، وخطر قبولها وردّها ، وهول المّطلع ، ويفرغ نفسه وقلبه عمّا يهّمه ، مثلاً إذا كان به عطش يشرب الماء ، ثمّ يصلّي حتى يفرغ نفسه عن ذكر الماء في الاثناء ، وهكذا حتّى لا يترك لنفسه قبل التحريم شغلا يلتفت إليه قلبه ، وان يتدبّر في معنى كلّ فعل وقول عند الابتداء به اجمالاً ، ثمّ الشروع فيه مع التدبّر ، والتفهم تفصيلاً ، وقسم لا ينفعه المسكنات ، بل يلزمه المسهل الذي يقطع الداء والاخلاط الرديّة من عروق أعماق قلبه ، بالزروع عن الشهوات ، وعلائق الدّنيا ، وهي كثيرة يجمعها قوله تعالى ، ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضّة ، والخيّل المسومة ، والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا ، والله عنده حسن المآب ﴾ ومن كثر فيه حبّ الدّنيا ، وعلائقها بحيث ملك نفسه ، وشغل قلبه عن صلاته وهمها ، فأنّه من جند الشيطان ، والدّنيا المذمومة ، وحبّها كما في الروايات رأس كلّ خطيئة ، ولا ينفعه التلطّف بالمسكنات الّتي كانت تنفعه في الشهوات الضعيفة الّتي لا تشغل إلّا حواشي القلب ، لا حقيقته وسره ، لأنّه كلّما أراد ان يرد القلب إلى الحضور عند صلاته والتفكّر في أفعالها ، وأقوالها ، يردّ الشهوات إلى الفكر فيها ، وفي طرف تحصيلها ، ودفع موانعها والاشتغال بها ، فلا تزال تجذب قلبك إلى صلاتك وتجذبه الشهوات إلى الفكر فيها ، حتّى يتمّ صلاتك ، وينقضي جميعها في شغل التجاذب ، فيغلبك الشيطان ، ومثال ذلك مثال رجل تحت شجرة ، يريد ان يجمع همّه للفكر فيما أراده ، فيصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير الّتي على الشجرة ، يشوّش عليه ، فلم يزل يطردها بخشبة ، ويعود يجلس إلى فكره ، فيعود العصافير ، ويعود هو بالخشبة ، فينفردها بها ، فقليل له هذا الشغل يشغلك عن قصدك ، ولا ينقطع ، فان أردت الخلاص ، فاقطع الشجرة وكذلك الشهوات إذا قويت ، وكثرت فروعها وأغصانها ، انجذب إليها الأفكار ، والخواطر من وجوه مختلفة ، وهذه كانجذاب العصافير إلى الاشجار القويّة الكثيرة والأغصان ، وهذه

الشهوات كثيرة ، وهي مغناطيس الخواطر ، والافكار الردية وأصل شجرتها حبّ الدنيا ، ولذا قال الحكيم الإلهي (١) أنّه رأس كلّ خطيئة ، فمن انطوى باطنه بحبّ الدنيا ، واشتهى شيئاً من عروضها ، وزيتها وهمّ بتحصيلها ، واشتغل بحفظها ، وتكميلها لا للضرورة ، بل للمحبّة واللذة وهذا هو المذموم من الدنيا المانع من ذكر الله ، فلا يطمعن هذا ان يجد طعم حبّ الله على ما ينبغي ، ولذة المناجات التي يجدها الزاهدون في الدّنيا في صلاتهم ، أو غيرها من عباداتهم ، ! ونسكهم ، فإنّ من فرح بالدنيا ، فلا يفرح بالله وبمناجاته ، وهمّة الرجل مع قرّة عينه ، فان كانت في الدنيا ، فهمّة فيها وإن كانت في الصلاة فهمّة فيها ، هذا هو العلاج الكامل ، ولكنّ الميسور (٢) لا يترك بالمعسور ، فعلى الضعفة ، والعجزة أمثالنا ، أن لا يترك المجاهدة رأساً وينبغي له ردّ القلب بقدر الامكان إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة ، وبالجملّة أعمال المسكّنات ، فإنها وإن لم تنفع في حسم المادّة أو كمال الصلاة ، إلّا أنّها ليست خالية عن النفع بالمرّة ، وربما يدركه من نفحات الربّ ، فيكثر فائدته ، فإنّ المجاهد متعرّض (٣) للنفحات ، فينتفع بها نفعاً عظيماً ، بخلاف المأبوس والغافل ، فإنّه لا ينتفع بها نفعاً كاملاً ، بل ربما يصير مضيقاً لها ، فيكثر بذلك حسرته يوم الآخرة ، فيتألّم بها عذاباً أليماً نعوذ بالله من الخذلان ، هذا ، والأمر في رفع الخواطر اصعب واشكل ممّا ذكرنا والداء عضال ، لأنّ الخواطر متلازمة مع علائق الدنيا ، وبعضها أيضاً ضروريّة للإنسان ، لا يجوز له تركها ، ومعدّل ذلك قد يزيد على العلائق الضرورية لحفظ النفس ، والنوع من الاعراض والامراض اللازمة لعالم الطبيعة فيشتدّ الأمر ، فالانسان يتلى بأسباب الخواطر ، وعللها ضرورة ،

(١) كما في مصباح الشريعة في باب ٣١ وغيره .

(٢) كما في الرواية ويقتضيه العقل ايضاً .

(٣) ان لله في ايامكم نفحات الا فتعرضوا لها كما في الحديث .

فلا يخلو أحد منها لا محالة ، فيلزم في رفعها مجاهدة عظيمة ، واللجوء إلى الله تعالى عن حقيقة الاضطراب ، حتى يدفعها بأسباب غيبية ، وإطلاع سلطان المعرفة في قلبه ، حتى يشتغل قلبه بربه شغلا ينسيه ما سوى الله ، حتى نفسه هذا قد انقذ مما ذكرناه أنّ الحضور ، والتفهم ، منشأها الهمة ، وكمالها ، والتعظيم منشأ معرفة عظمة الله وجلاله ، ومعرفة حقارة الدنيا والنفس ، وخستها ، وكونه عبداً مسخراً مربوباً ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

وأما الهية فمنشأها العلم بعظمة الله ، وجنابات نفسه ، والفكر فيما أصاب الأمم السالفة من آثار قهره ، وشدة سلطانه من العذاب والهلاك الدائم ، بل فيما أصاب الأنبياء والأولياء من المصائب الدنيوية وتحملهم في ذاته لهذا الرزايا الجليلة .

والرجاء منشأ أيضاً معرفة لطف الله ، ورفقه وعنايته في معاملة عبده وطول اناته وكرم عفوه ، وجميل صفحه ، وغنى ذاته عن ان يصيبه ضرر من العاصين بمعصيتهم ، وعظيم جوده وقدرته ، وأنه سبقت رحمته غضبه ، ولا يفوته أحد اذا طلبه ، وبالجمله معرفة صفاته الجمالية ، وحسن صنعه مع المؤمنين والموحدين .

والخجل والحياء منشأ معرفة عظمة الرب ، والنعمة والحق والتقصير وآفات العمل وعيوب النفس ، وحضور الرب ، فإن ذلك يؤثر لا محالة في الحياء والخجل ، كيف إذا حضر إنسان عند ملك عظيم ، محسن إليه ومنعم عليه مدة عمره ، وعرف أنه عالم الساعة بتقصيره ، وسوء سريره ، ورأى أنه مع ذلك مقبل عليه بكرم وجهه ، يدعوه بحلمه إلى التوبة ، ويعده جميل القبول والعافية ، ورأى نفسه العواد للكسل متخلفة عن القيام بحق دعوته ، فلا محالة يستحيي من قبح فعالة ، وشنيع أعماله .

ثم أنّ هذه الخصال الست التي ذكرناها ، إنما هي لازمة في

الصلاة من حيث أنها صلاة ، وإن كان لبعض اجزائها خصوصية يناسب بعض هذه الخصال ازيد من البعض الآخر ، فحال التشهد والسلام لا محالة انسب للحياء والرجاء من غيرها ، وحال القيام والركوع والسجود انسب للتعظيم والرغبة ولأجزائها من الأقوال والأفعال كلّ واحد منها حال أيضاً مخصوص به ، فإنّ الحمد والتنزيه صفتان للحامد والمسبح ، لازمان عند الحمد والتسبيح لا محالة وكذلك الاخلاص لازم لمن يقول إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، فإنّك لو قلت الحمد لله معناه أنّ جميع النعم من الله ، وله الحمد والثناء من أجل جميع نعمها ، وعليك ان يكون قلبك وفقاً لما تظهره بلسانك ، ولا يتأتّى ذلك لك عند قولك الحمد لله ، إلاّ بأن ترى النعمة كلّها من الله ، لا من الوسائط ، ومن يكون هذا حاله فلا يتملّق على المخلوقين لجلب النعم ، وهكذا وسيجيء تفصيل ذلك عند التعرّض لكلّ جزء من أجزائها إن شاء الله .

فصل : في الاستقبال لا بدّ للمؤمن من معرفة أنّ جميع الأمكنة بالنسبة إلى وجوده ، وإحاطته تعالى على السواء ، وجميع الجهات في ذلك واحدة ، ولكن له في كلّ عالم أيضاً وجهاً بالنسبة إلى أهلها ، واقتضى عظيم لطفه ان لا يترك أبداننا أيضاً غير متشرّف بشرف التوجّه نحوه ، كما لم يترك قلوبنا فعرفنا بيته في هذه الأرض ايضاً ليكون توجّهنا إليه ظاهراً ، وباطناً بأبداننا وقلوبنا ، وله الحمد على عظيم لطفه ، كما هو أهله ، وبما هو أهله ، ولا يتوهم أنّ الاستقبال بالقلب لا دليل عليه ، لأنّك ان راجعت الكتاب والسنة والعقل ، تراها مجمعة على لزومها ، بل كونها أهمّ من الاستقبال بوجه البدن إلى جهة البيت ، افترى أنّ صرف الأمر عن سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك ، هيهات بل هو الاهمّ ، بل هذه الظواهر إنّما أمر بها لتحريك إلى الأمور القلبية ، والباطنية ، ولعلّ العمدة في حكمة الأمر بالاستقبال ، هو ضبط الجوارح ، وتسكينها بالاثبات في جهة واحدة ، حتّى لا تبغي على

القلب ، لأنها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى الجهات ، استتبت القلب فانقلبت به عن وجه الله .

ثم إن جميع ما دلّ من النقل على ذكر الله ، وتقوى الله ، والتوجه إلى الله ، والاقبال إليه كلها ، من أدلة لزوم التوجه القلبي .

هذا ولتعلم أنه كما لا يتحقق الاستقبال ظاهراً إلا بصرف التوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ، وكذلك القلب لا يتم اقباله إلا بالانصراف والتفرغ عما سوى الله ، ونسيانه إلى الله .

وفي النبوي إذا قام العبد إلى صلاته ، وكان هواه وقلبه إلى الله ، انصرف كيوم ولدته أمه .

وفي مصباح الشريعة :

قال الصادق (ع) : إذا استقبلت القبلة ، فأيس من الدنيا ، وما فيها والخلق ، وما هم فيه وفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله وعائين بسرك عظيمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه قال الله تعالى ﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ وقف على قدم الخوف والرجاء .

أقول : لا بدّ للمؤمن من الخوف والرجاء ، وهما أصل كل خير بعد الإيمان ، لأن المراد لكل أحد السعادة ، وهي سعادة عند المؤمن كلقاء الله ، والانس به ولا سبيل إليها الا بتحصيل محبته ولا تحصل إلا بالذكر ، ولا يتيسر الذكر والفكر إلا بالنزوع عن مشاغل الدنيا ، والالف بشهواتها ولا يمكن الا بالانقلاع عن حبها ، وحبّ مشتبهاتها ، ولا تنقم أصولها الا بالصبر عنهما ، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء ، وحقيقة الخوف هو تألم القلب ، واحتراقه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي ، سواء كان المكروه بحصول شقاوة ، او فقدان سعادة ، ولا تنافي بينه وبين الرجاء ، بل بينهما تلازم ، والذي بينهما تناف هو القنوط والرجاء والأمن والخوف .

ثم إنَّ الخوف أَمَّا عن نفس المؤلم ، أو عن سببه .

الأوّل : كالنار وسائر أنواع ما يعذب به الانسان ، سواء كان في الدنيا أو الآخرة .

والثاني : كالكفر والمعاصي ، ومنشئهما كلّه ويختلف خوف الخائفين في كلا القسمين .

أَمَّا الأوّل فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدّنيا ، وقد يكون الموت وسكراته ، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته ، وضيقه وضنكه ، وقد يكون من السؤال ، وقد يكون من هول المطلع ، وقد يكون من أهوال القيامة ، ومواقفها ، وقد يكون من الحساب ، وقد يكون من الصراط ، وقد يكون من حياء العرض على الله ، وقد يكون من فضيحة هتك الستور على رؤوس الاشهاد ، وقد يكون من نار جهنّم ، وحيّاتها وعقاربها ، وزقومها وضريعها ، وغسلينها ، وحميمها ومقامعها ، وقرينها واغلالها ، وسلاسلها ، وقد يكون من حرمان الجنّة ، ودار النعيم ، والملك العظيم المقيم ، وقد يكون من نقص الدرجة ، وهي أيضاً كثيرة: خوف الوقوف ، خوف الاعراض خوف الحجاب ، خوف الغضب ، خوف المقت .

وأما الثاني فقد يكون خوف احدهم من الكبائر التي قارفها ، وقد يكون من ملكاته السيئة ، من شدّة شهوته وغضبه ، وقد يكون من حقوق الناس ، وطبقات العباد ، وقد يكون من البطر بكثرة النعم ، او خوف الاستدراج بها ، وقد يكون من الوقوع في معصيته ، أو الموت قبل التوبة ، أو نقض التوبة ، أو من القساوة أو من الاعوجاج ، والميل عن الاستقامة ، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال معصيته ، أو غفلة أو من عدم قبول عباداته أو ردّ مناجاته ، كان يقال عند تلبّيته : لا ليّك ، ولا سعديك ، أو من ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله ، أو

من سوء الخاتمة ، أو السابقة ، والصالحين والطلّاحين والعبّاد والزّهّاد ،
والمتّقين والصدّيقين ، والعارفين مختلفة في هذه المخاوف .

ولا يذهب عليك أنّ الكاملين من العباد يخافون من جميع هذه
المخاوف ومخصوصون ببعضها أيضاً ، والله تعالى يتولّى رياضة قلوبهم
في كلّ وقت ، بخوف ورجاء ، وأخصّ ما يخافون منه خوف الوقوف ،
والاعراض ، وخوف السابقة المؤدّية بسوء الخاتمة .

ثمّ اعلم أنّ اخوف الناس من الله اعلمهم بالله .

لذا قال رسول الله : أنا أخوفكم من الله ، فإنهم يخافون من الله
بجميع ما ذكر ، ولا شيء من هذه المخاوف ، بل بسرّ قوله تعالى :
﴿ ويحذّرکم الله نفسه ﴾ ولكن قد يشغلهم الله من مقتضى خوفهم ، فلا
يظهر من أحدهم ، أو في بعض حالاتهم ، آثار الخوف ، وقد يكون
بالعكس رجائهم وخوفهم في بعض حالاتهم ، فيظهر منهم ما يكاد يتقطّع
منه القلوب ويبهّر منه العقول ، وقد يكون في بعضهم ظهور سلطان
الخوف أكثر من بروز حقائق الرجاء .

فصل : في لزوم الخوف ^(١) ، وفضيلته قال الله تعالى : ﴿ رضي

(١) فاعلم ان الاخبار المذكورة في فصل الخوف من الكتاب ، مذكورة في كتب
الاخبار كالكافي الشريف ، والارشاد للشيخ المفيد (ره) ، والخصال للصدوق (ره) وكتب
التفاسير كالصافي للمحقق القاساني (ره) وغيره ، راجعنا بعضها تصحيحاً للأغلاط
الواقعة في طبع الكتاب ، فانها كثيرة جداً ، ولكن طوينا عن ذكرها ، والاشارة اليها ،
خوفاً عن الاطالة ، وحذراً عن الاطناب وتعجلاً للطبع والنشر ، هذا ولكنك ايها
القارئ هل آمنت بهذه الاخبار ، واحتملت ان تكون مصداقاً للهالكين وما ورد في
تفسير الآية الشريفة : « ولها سبعة ابواب » .

أم همك بطنك وفرجك ، وجاهك ومقامك الفاني عن قريب ، ومفارق عنك غير
بعيد ، ولكن ضعف الايمان او عدمه ، بما ورد عن معادن العصمة ، وخزان الوحي ،
الذين سمعت خوفهم ، وحزنهم ، وتغير حالهم عن ذكر النار ، والبعد عن قرب رب =

الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه ﴿ .

وقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

وقال : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ .

وقال : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ .

وقال : ﴿ واخشوني ﴾ .

عن النبي (ص) رأس الحكمة مخافة الله .

وروي من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سحت نفسه عن الدنيا .

وروي أنّ من العبادة شدة الخوف من الله .

وروي أنّ حبّ الشرف ، والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب .

وروي أنّ المؤمن بين محافتين : ذنب قد مضى ، لا يدري ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقى لا يدري ما يكسب له فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف .

وروي لا يكون المؤمن مؤمناً ، حتّى يكون خائفاً ، راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً بما يخاف ، ويرجو .

وروي من خاف أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء .

وقال الصادق (ع) لاسحاق بن عمّار : يا إسحاق خف الله كأنك

= الارباب ، حملك على تحصيل رغيد العيش ، وحفظ المقام ، والاعراض عن تحصيل هذه السعادة ، والغفلة عن مفاجأة الموت ، وفوت الوقت وحلول الاجل وأنت مكب على الدنيا .

نراه ، وإن كنت لا تراه فإنه يراك ، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين إليك .

وقال السجّاد (ع) في عائه : سبحانك عجباً لمن عرفك ، كيف لا يخافك .

وروي أنّ قطرة من الدمعة في خشية الله ، يطفى بحاراً من النار .

وروي ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة ، وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثم يصيب شيئاً من وجهه ، إلا حرمه الله على النار .

وروي إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله ، تحت عنه خطاياها كما تحت من الشجر ورقها .

وعن الباقر (ع) قال صلى أمير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق ، فلما انصرف وعظّمهم ، فبكى وأبكاهم من خوف الله .

ثم قال أما والله لقد عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله ، وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً ، غبراً ، خمصاً ، بين أعينهم كركب البعير ، يبيتون لرّبهم سجّداً وقياماً ، ويرأّون بين أقدامهم وجباههم ، يناجون ربّهم في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون - اه .

وفي بعض الروايات كان زفير النار في آذانهم ، إذا ذكر الله عندهم ، مادوا كما يمد الشجرة كأنما القوم باتوا غافلين .

قال فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً ، حتّى قبض (ع) .

وفي حديث موسى (ع) : وأمّا الخائفون ، فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه .

وروي لا يلج النار أحدٌ بكى من خشية الله ، حتّى يعود اللبن في الضرع .

وروي ما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله ، أو قطرة دم اهريق في سبيل الله .

وروي عن النبيّ (ص) سبعة يظلّهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه .

وذكر منهم رجلا ذكر الله خائفاً ففاضت عيناه من الدمع .

وروي أنّ فتى من الأنصار دخلته خشية الله ، حتّى حبسه ذلك في البيت ، فجاء النبي فدخل عليه فكان يبكي ، واعتقه فخرّ ميتاً .

وروي عن بعضهم : أنّه ما رفع رأسه الى السماء اربعين سنة ، وأنّه رفع رأسه يوماً ففرع ، فسقط فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس بدنه في جوف الليل مخافة أن يكون قد مسخ ، وكان إذا أصاب الناس ريح أو برق أو بلاء غيرها ، قال هذا من اجلي يصيبهم ، لو متّ لاستراح الناس من هذه البلايا .

وكان بعضهم ينظر إلى طرف انفه في خلال اوقاته ، ليطمئن ان لم يسودّ وجهه من ذنوبه .

وروي عن المجالس :

قال بينما رسول الله (ص) مستظّل بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فترع ثيابه ، ثمّ جعل يتمرّغ في الرمضاء ، يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة ، وجهته مرّة ، ويقول يا نفس ذوقي ، فما اعظم عند الله ممّا صنعت بك ، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ، ثمّ إنّ الرجل لبس ثيابه ، ثمّ أقبل فاومأ إليه النبيّ (ص) بيده ، ودعا فقال له : يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ، ما رأيت أحداً من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ، فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله ،

فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك ، فقال النبيّ (ص) : لقد خفت ربّك حقّ مخافته ، وإنّ ربّك ليباهي بك أهل السماء ، ثمّ قال لأصحابه يا معشر من حضر ، ادنوا من صاحبكم ، حتّى يدعولكم ، فدنوا منه ، فقال : اللّهمّ اجعل أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنة مآبنا .

وحكى أنّ اويس القرني (ره) كان يحضر القاص ، فيبكي من كلامه ، وإذا ذكر النار صرخ اويس ، ثمّ يقوم منطلقا ، فيتبعه الناس يقولون : مجنون ، مجنون .

وحكى أمير المؤمنين (ع) خوف شيعته في حديث الهمام ، وقال : فلولا الآجال الّتي كتب الله لهم ، لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبداً شوقاً إلى لقاء الله والثواب ، وخوفاً من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم ، وصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم على ارائكها متكئون وهم والنار كمن قد رآها ، وهم فيها معذبون ، صبروا أياماً قليلة فاعقبتها راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا ، فلم يريدونها ، وما طلبتهم ، فأعجزوها ، أمّا اللّيل فصافون اقدامهم ، يتلون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائم بدوائه ، تارة ، وتارة ، ويفترشون جباههم وأكفهم ، وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يمجدون جباراً عظيماً ، ويجارون إليه في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ، وأمّا نهارهم فعلماء صلحاء ، بررة أتقياء ، برئهم خوف بارئهم ، فهم كالقذاح ، تحسبهم مرضى ، وقد خولطوا ، وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربهم ، وشدة سلطانه ، ما طاشت له قلوبهم ، وذهبت منه عقولهم اه ، وإذا فرغ من كلامه ، صاح همام صيحة ، ووقع مغشياً عليه ، فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدّنيا .

وروي عن رسول الله (ص) قال : إذا جمع الله الأولين ، والآخرين

لميقات يوم معلوم ، فاذا هم بصوت يسمع ، اقصاهم كما يسمع
أدناهم ، فيقول : يا أيُّها النَّاسُ انِّي قد انصت لكم منذ خلقتكم ،
فانصتوا إليَّ اليوم ، أنما هي أعمالكم ترد إليكم ، أيُّها النَّاسُ إنِّي قد
جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فوضعتم نسبي ، ورفعتم نسبكم ، قلت : إنَّ
أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلّا أن يقولوا فلان بن فلان ، وفلان
أغنى من فلان ، فاليوم اضع نسبكم ، وارفع نسبي أين المتّقون ، فيرفع
للقوم لواء فيتبع القوم لوائهم ، إلى منازلهم ، فيدخلون الجنّة بغير
حساب ، والتّقوى عبارة عن اجتناب الشّبهات من مخافة الله .

وكان من مناجات الإمام السّجاد (ع) : يا إلهي لو بكيت إليك حتّى
ينقطع صوتي ، وقمت لك حتّى تنتشر قدمي ، وركعت لك حتّى ينخلع
صليبي ، وسجدت لك حتّى تتفقأ حدقتاي ، وأكلت تراب الأرض طول
عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتّى
يكلّ لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك ، ما
استوجبت بذلك نحو سيّئة واحدة من سيّئاتي .

روى الأصمعيّ قال : خرجت إلى الحجّ إلى بيت الله ، وزيارة
النبيّ صلّى الله عليه وآله فينما أنا أطوف حول الكعبة ، وكان ليلة
مقمرة ، وإذا بصوت أنين ، وحنين ، وبكاء ، فتبعت الصوت ، وإذا
بشابّ حسن الوجه ، ظريف الشّمايل ، وعليه ذوائب ، وهو متعلّق باستار
الكعبة ، وهو يقول : يا سيّدي ومولاي ، قد نامت العيون ، وغارت
النّجوم ، وأنت حيّ قيّوم ، إلهي غلّقت الملوك أبوابها وقام عليها حجّابها
وحرّاسها ، وبابك مفتوح للسّائلين ، فها أنا ببابك انظر برحمتك لي يا
أرحم الراحمين .

ثمّ أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطرين في الظلم يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت يا حيّ يا قيّوم لم تنم
أدعوك ربّ حزيناً خائفاً قلقاً فارحم بكائي بحق البيت والحرّم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العصّين بالنّعْم

ثمّ قال : رفع رأسه إلى السماء ، وهو ينادي إلهي أطعتك
بمشيتك ، فلك الحجّة عليّ باظهار حجّتك إلّا ما رحمتني ، وعفوت
عني ، ولا تخيّني يا سيّدي .

ثمّ قال : إلهي وسيّدي الحسنات تسرّك ، والسيّئات ما تضرّك ،
فاغفر لي فيما لا يضرّك .

ثمّ أنشأ يقول :

ألا أيّها المأمول من كلّ حاجة شكوت إليك الضّرّ فارحم شكايي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلّغي على الزاد ابكي أم على بعد سفرتي
أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الوري عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنّار يا غاية المنى فأين رجائي منك وأين مخافتي

قال الأصمعي : كان يكرّر هذه الابيات حتّى سقط مغشياً عليه ،
فدنوت منه لأعرفه ، فإذا هوزين العابدين بن الحسين بن عليّ (ع) .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعتّه في حجري ، وبكيت
فقطرت قطرة من دموعي على خدّه ، ففتح عينيه ، وقال : من هذا الذي
شغلني عن ذكر ربّي ؟ قلت : عبدك ، وعبد أجدادك الأصمعي ، فما
هذا الجزع والفرع والبكاء ، والأنين ، وأنت من أهل بيت النبوة ،
وموضع الرسالة ، وقوله تعالى ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ، ويطهّركم تطهيراً ﴾ ، قال : فاستوى قاعداً ، وقال : هيهات
هيهات يا أصمعي ، إنّ الله خلق الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً
وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً ، أما سمعت قوله تعالى :

﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ﴾ .

وروى أبو الدرداء أنه رأى أمير المؤمنين ليلة تخلى من الناس ، وهو يناجي ويكي ويقول : إلهي كم من مويقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرّمت على كشفها بكرمك ، إلهي لأن طال في عصيانك عمري واعظم في الصفح ذنبي ، فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك ، إلهي افكر في عفوك ، فتهون عليّ خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من اخذك ، فيعظم عليّ بليّتي آه ان أنا قرئت في الصحف سيئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها فتقول خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، من نار تضجّ الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من لهبات لظى .

ثم قال : إذا قد خمد صوته ، قلت له : نام فذهبت لأوقظه ، وحركته فإذا هو كالخشبة اليابسة ، قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات أمير المؤمنين وذهبت إلى أهله ، وأخبرت فاطمة (ع) بذلك ، فقالت : هذه العشية التي تعرضه كلّ ليلة ، من خشية الله ، ثم اتوه بماء فنضحوه على وجهه ، فأفاق ونظر إليّ ، وأنا ابكي ، فقال: ممّا بكاؤك يا أبا الدرداء، فقلت ممّا أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف، ولو رأيته ودعي بي الى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشني ملائكة غلاظ ، وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الحياء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه خافية ، فقال أبو الدرداء ، فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ص) .

وروي أنّه إذا نزلت من أوّل سورة الحجّ زلزلة الساعة ليلاً ، في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون ، فنادى رسول الله (ص) فجثوا المطى ، حتّى كانوا حول رسول الله (ص) ، فقرأها عليهم ، فلم ير أكثر

باكياً منه تلك الليلة ، فلمّا أصبحوا ، لم يحطوا السرج عن الدواب ، ولم يضربوا الخيام والناس بين باك ، وجالس حزين متفكّر الخ ، فتفكّر في أحوال قوم يسировن إلى الجهاد ، في خدمة النبيّ (ص) ، في هذه الدرجة من الخوف ، وقس عليه أحوالنا اليوم في هذه النعمة .

وروي أنّه إذا نزلت آية ، ولها سبعة أبواب ، أنّه سئل النبيّ (ص) جبرائيل (ع) أهي كأبوابنا ؟ فقال : لا ، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض ، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة ، كلّ منهما أشدّ حرّاً من الذي بينه سبعين ضعفاً ، يساق أعداء الله إليها ، فإذا انتهى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالاغلال والسلاسل ، فتلك السلسلة في فيه ، ويخرج من دبره ، وتغلّ يده اليسرى إلى عنقه ، وتدخل يده اليمنى في فؤاده ، ويخرج من بين كتفيه ، ويشدّ السلاسل ، ويقرن كلّ آدميّ مع شيطان في سلسلة ، ويسحب على وجهه ، وتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، فقال النبيّ (ص) : اخبرني من مكان هذه الأبواب ؟ قال :

فأمّا الباب الأوّل ، ففيه المنافقين ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، واسمها الهاوية .

والباب الثاني : ففيه المشركون واسمه الجحيم .

والباب الثالث ، ففيه الصابئون ، وإسمه سقر .

والباب الرابع : ففيه إبليس ، ومن تبعه ، والمجوس ، واسمه لظى .

والباب الخامس : فيه اليهود ، واسمه الحطمة .

والباب السادس ، فيه النصارى ، واسمه سقر ، ثمّ أمسك جبرائيل (ع) فقال النبيّ (ص) : ألا تخبرني من مكان الباب السابع قال : يا

محمد لا تسألني عنه ، فقال : بلى يا جبرائيل أخبرني عن الباب السابع ، فقال : هي أهل الكبائر من أمتك ، الذين ماتوا ولم يتوبوا ، فخر النبي (ص) مغشياً عليه ، فوضع جبرائيل (ع) رأسه في حجره ، حتى أفاق فلما أفاق قال : يا جبرائيل عظمت مصيبتى واشتد حزني ، أو يدخل من أمتي النار ؟ قال : نعم أهل الكبائر من أمتك ، ثم بكى رسول الله (ص) ، وبكى جبرائيل (ع) ، ودخل رسول الله (ص) منزله ، واحتجب عن الناس ، وكان لا يخرج إلا إلى الصلاة ، يصلي ويدخل ولا يكلم أحداً ، يأخذ في الصلاة ، ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى ، فلما كان من اليوم الثالث ، أقبل أبو بكر حتى وقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله (ص) من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فتنحى باكياً ، فأقبل فصنع مثل ذلك ، فلم يجبه أحد فتنحى ، وهو يبكي ، وأقبل سلمان ، فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ، هل إلى مولاي رسول الله (ص) من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فأقبل يبكي مرة ، ويقول أخرى ، حتى أتى بيت فاطمة (ع) ، فوقف بالباب ، وقال ، السلام عليكم يا أهل بيت المصطفى ، وكان عليّ (ع) غائباً ، فقال سلمان : يا بنت رسول الله ، رسول الله (ص) احتجب عن الناس ، فليس يخرج إلا إلى الصلاة ولا يكلم أحداً ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه ، فاشتملت فاطمة (ع) بعبائة قطوانية ، وأقبلت حتى وقفت على باب رسول الله (ص) ، ثم سلمت ، وقالت : يا رسول الله أنا فاطمة ، ورسول الله (ص) ساجد يبكي ، فرفع رأسه ، فقال (ص) : ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عني ، افتحوا لها الباب ، ففتح الباب فلما نظرت إلى النبي (ص) بكت بكاء شديداً ، لما رأت من حاله مصفراً ، متغيراً لونه مذاباً لحم وجهه من البكاء ، والحزن ، فقال : يا رسول الله ما الذي نزلت عليك ؟ فقال النبي (ص) : جائي جبرائيل (ع) ، ووصف لي أبواب جهنم ، وأخبرني بأن في أعلا بابها أهل الكبائر من أمتي ، فذلك الذي أبكاني ، وأحزني ، قالت : يا رسول الله ، أولم

تسأله كيف يدخلونها ، قال : يسوقهم الملائكة إلى النار ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق عيونهم ، ولا تختم على أفواههم ، ولا يقرنون مع شيطان ولا يوضع عليهم السلاسل والاغلال ، قالت (ع) : يا رسول الله كيف تقودهم الملائكة ؟ قال النبي (ص) : أمّا الرجال فباللّحي ، وأمّا النساء فبالذوائب والنواصي ، فكم من ذي شية من أمة قد قبض على شيته ، يقاد إلى النار ، وهو ينادي واشييتاه ، واضعفاه ، وكم من شاب من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار ، وهو ينادي واشباباه واحسن صورتاه ، وكم من امرأة من أمتي تقبض على ناصيتها يقاد إلى النار وهي تنادي وافضيحتاه ، واهتك ستره ، حتّى ينتهى بهم إلى مالك ، فإذا نظر إليهم المالك ، قال للملائكة من هؤلاء ؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء ، لم تسود وجوههم ، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم ، فتقول الملائكة هكذا أمرنا ان نأتيك بهم ، فيقول لهم يا معشر الأشقياء من انتم وفي رواية لما قادتهم الملائكة ، فتنادون وامحمداه ، فلمّا رأوا مالك نسوا اسم محمّد من هيئته ، فيقول لهم : من أنتم ، فيقولون : نحن ممّن نزل عليهم القرآن ونحن ممّن نصوم شهر رمضان ، فيقول المالك : وما نزل القرآن إلّا على محمّد فإذا سمعوا اسم محمّد صاحوا وقالوا نحن من أمة محمّد ، فيقول المالك : ما كان لكم في القرآن زاجراً عن معاصي الله ؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنّم ، ونظروا إلى النار ، وإلى الزبانية ، فقالوا : يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا فيكون الدموع حتّى لم يبق لهم الدموع ، فيكون دماً ، فيقول مالك : ما أحسن هذا لو كان في الدنيا ، لو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مسّكم النار اليوم ، فيقول للزبانية . القوهم في النار ، فنادوا بأجمعهم لا إله إلّا الله فرجع عنهم النار ، فيقول مالك للنار خذهم فتقول النار كيف اخذهم ؟ وهم يقولون : لا إله إلّا الله ، فيقول مالك : نعم بذلك أمر ربّ العرش ، فتأخذهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من

تأخذه الى حلفه ، قال : فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك : لا تحرقني وجوههم ، فطال ما سجدوا للرحمن في الدنيا ، ولا تحرقني قلوبهم ، فطال ما عطشوا في شهر رمضان فيقون فيها ما شاء الله ، فينادون يا أرحم الراحمين ، يا حنان يا منان ، فإذا أنفذ الله حكمه ، قال : يا جبرائيل ما فعل العاصون من أمة محمد ، فيقول : إلهي أنت أعلم بهم ، فيقول : انطلق فانظر ما حالهم ، فينطلق جبرائيل إلى مالك ، وهو على سرير من نار في وسط جهنم ، فإذا نظر مالك إلى جبرائيل قام تعظيماً له ، فيقول ، يا جبرائيل ما أدخلك هذا الموضع ؟ فيقول : ما فعلت العصاة العاصية من أمة محمد (ص) ، فيقول : ما اسوء حالهم ، واضيق مكانهم ، قد احترق النار أجسامهم ۞ وأكلت لحومهم ، وبقيت وجوههم ، وقلوبهم يتلأأ فيها الايمان ، فيقول جبرائيل : ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم ، قال : فيأمر المالك الخزنة أن يرفعوا الطبق ، فإذا نظروا إلى جبرائيل (ع) ، وحسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب ، فيقولون : من هذا العبد الذي لم نر قط أحسن وجهاً منه ؟ فيقول مالك ، هذا جبرائيل الكريم على الله تعالى ، الذي كان يأتي محمداً بالوحي فإذا سمعوا باسم محمد صاحوا بأجمعهم ، وقالوا يا جبرائيل اقرء محمداً (ص) منا السلام وأخبره أن معاصينا فرقت بيننا وبينك ، وأخبره بسوء حالنا ، فينطلق جبرائيل حتى يقوم بين يدي الله ، فيقول الله : كيف رأيت أمة محمد ؟ فيقول : ما أشد حالهم ، واضيق مكانهم ، فيقول : هل سألك شيئاً ، فيقول : يا رب سألوني ان اقرء على نبيهم السلام ، وأخبرهم بسوء حالهم ، فيقول الله انطلق ، فأخبره فيدخل جبرائيل (ع) على النبي (ص) ، وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة ألف باب ، ولها مصراعان من ذهب ، فيقول : يا محمد جئتك من عند العصاة العاصاة من أمتك ، يعذبون في النار وهم يقرأونك السلام ، ويقولون ما اسوء حالنا ، واضيق مكاننا ، فيأتي النبي عند العرش ، فيخرّ ساجداً ، ويشني على الله ثناءً لم يشته أحد

مثله ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك ، واسأل فقط ، واشفع تشفع ، فيقول : الأشقياء من أمتي قد انفذت فيهم حكمك فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، فأت النار ، فأخرج منها من قال لا إله إلا الله ، فينطلق النبي (ص) ، فإذا نظر مالك إلى النبي (ص) فتح الباب ، ورفع الطبق ، فإذا نظر أهل النار إلى محمد (ص) صاحوا بأجمعهم ، فيقولون : قد احترقت النار جلودنا ، واحترقت أكبادنا ، فيخرجهم جميعاً ، وقد صاروا فحماء أكلتهم النار ، فينطلق بهم إلى نهر بيباب الجنة يسمى الحيوان ، فيغسلون فيه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً ، مكحليين ، وجوههم مثل القمر فيدخلون الجنة .

هذه مخاوف المؤمنين ، والأنبياء ، والأولياء فانظر الى حالك من أي ديوان يخرج اسمك ، هل من ديوان المؤمنين ، أو المقربين ؟ فإن الخوف والرجاء بقدر الايمان ، يعظمان الجنة والنار ، والقرب والبعد ، وإياك أن يكون حالك مثل حال الملحدين في الخوف والرجاء ، ويكون وجود جهنم وعدمه عندك سواء ، ولا تغتر بظواهر العقائد الحقّة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ان لم يؤثر في خوفك ورجائك ، فإن الموجود الغير المؤثر كالمعدوم ، فامتحن نفسك ان ادّعت الخوف ، فإن للخوف آثاراً ، أما في البدن فبالخول والصفار والبكاء ، وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي ، وتقييدها بالطاعات ، وتلافي ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، وأما في القلب فبالذلّول والخشوع ، والاستكانة ، ومفارقة الكبر ، والحقد والحسد ، وبالجملّة شغل القلب بهمّ المخوف منه وخطره ، والاهتمام بالنجاة من غوائله حتّى لا يبقى لسائر الهموم محلّ فيه ، أو يكون كأحد الهموم لا محالة ، فإنّ الخوف أيّ خوف كان إذا غلب على القلب ، واستوعبه يحرق كلّ شهوة ورغبة ، وميل ، ولا يبقى فيه متسع للغير للاشتغال بالغير ، وينسى كلّ شيء ، ولا يكون له همّ ، ولا شغل إلّا مراقبة المخوف منه ، والمجاهدة في تحصيل النجاة منه ،

ويضنّ بالانفاس واللحظات ، فضلاً عن الأيام ، والساعات ، وأدنى درجاته يظهر في الجوارح ، بالكفّ عن المحذورات ، فيكون ورعاً ، وأوسطها ان يجتنب المشتبهات فيدخل في المتقين ، وأعلى منه ترك ما لا بأس به ، وإذا انضمّ اليه التجرد للخدمة ، فلا يبنى ما لا يسكن فيه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّه يفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه ، قيل : هذا جدير بأن يسمّى صديقاً .

فصل : في علاج الخوف .

أقول : الخوف علاج أصله الايمان بالله واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، سواء كان عن تقليد وسماع ، أو عن تحقيق وبرهان ، أو كشف وعيان ، والخوف الناشئ عن الايمان التقليدي يشبه خوف الصبي عن الحيّة إذا سمع من أمّه أنّه يلدغ ، ويقتل ، ويقوى إذا رأى أنّ أبويه يفرّان منه ويتزلزلان من رؤيته ، والناشئ عن الايمان الحقيقي يشبه خوف العقلاء ، عمّا يحكم العقل بضرره ، واهلاكه ، ويقوى بكون مبادئه قريبة من الحس ، وبكثرة الذكر والفكر فيه ، والناشئ عن الكشف هو الذي يجمع جميع فضائل الخوف ، ويحرق في القلب كلّ شهوة ورغبة ، وينسى كلّ شيء ، ولا يبقى للمؤمن إلّا همّ المخوف منه ، والخلاص منه ، وله أيضاً مراتب فإنّ الذي كوشف له نار جهنّم ، لا يبلغ خوفه مبلغ من كوشف له عذاب البعد والحجاب عن لقاء الله ، أما تسمع أمير المؤمنين (ع) بعدما يعدّ شدة عذاب جهنّم ، وطول مدّتها ، يقول : وهبني يا إلهي وسيدي ، ومولاي وربّي ، صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك ؟ وهبني صبرت على حرّ نارك ، فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك ؟ .

وإن شئت ان تعرف الفرق ما بين عذاب نار جهنّم ، وعذاب نار الفراق فقس بين العالم الحسيّ والعالم العقليّ ، ودرك الحسّ والعقل ، فان نسبة الحسّ إلى العقل كنسبة القطرة إلى البحر ، بل الفرق أزيد ،

وخوف البعد والحجاب للمقربين ، هو مهلك قطعاً الا ان الله انما يتولّى سياسة قلوب أوليائه ، فاذا هاج في قلوبهم مبادئ هذا الخوف ، وأحرق قلوبهم وقربوا من الهلاك ، يحييهم بما يلقي إليهم من نفحات رحمته ، ويمطر على موات قلوبهم من امطار رجاء رأفته ، إلى أن يقضى فيهم حكمه وحكمته ، ويقرب اجالهم التي كتب الله عليهم ، وعند ذلك يطوى عنهم بساط الخوف والرجاء ، فيشدّ على قلوبهم شوق اللقاء ، حتّى يكونوا إلى الموت آنس من الطفل إلى ثدي أمه ، ولعلّ هذه معاملته تعالى ببعض أوليائه ، ولكلّ منهم معاملة خاصّة ، كلّها ناشية عن كرمه وجوده ورأفته ورحمته ، وعظيم فضله وإحسانه بما يناسب حاله في الترقّي إلى ما كتبه لهم من الدرجات العالية ، بمقتضى اسمائه وصفاته ، وإذا تمهّد ذلك تعرف أنّ اصل الخوف سببه الايمان ، وكلّ مؤمن لا بدّ ان يكون فيه مقتضى الخوف في الجملة ، ولكن قد يكون الايمان ضعيفاً ، فيضعف الخوف ، وقد يكون قوياً فيكون مقتضى الخوف أيضاً قوياً ، ولكن يمنع من فعليته مانع ، فالعلاج أمّا بتقوية الايمان ، أو رفع المانع .

أمّا الأوّل : فليس هنا محلّ ذكره .

وأمّا الثاني : فهو في المقام أمران .

أحدهما : غفلة القلب عمّا امن به من الجنة والنار .

وثانيها : غلبة حبّ الدنيا على القلب بحيث صار القلب مريضاً بمرض العشق .

أمّا الأوّل : فعلاجه الرعظ والتذكير ، وتذكّر اسباب الخوف من العذاب الدنيويّ والأخرويّ ، وينفع كثيراً قراءة آيات العذاب ، وتكرارها والتفكير فيها ، وتصويرها واقعة على النفس ، في كلّ يوم وليلة مرّتين أو مرّات ، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا محالة فيؤثّر أثراً كاملاً ،

وفي ملازمة الخائفين ، ومشاهدة حالاتهم ايضاً لفوز عظيم ، وسماع أحوالهم ايضاً بدل منه .

وأما الثاني : فعلاجه هو تقوية باعث الدين ، وتضعيف باعث الهوى ، وحب الدنيا ، فإن القلب دائماً معركة هذين الجندين ، حتى يغلب أحدهما فيملك القلب ، ويكون هو السائس والحاكم فيه ، فيجري أحكام الدين الجوارح التي هي ايضاً جند القلب .

وتفصيل تقوية باعث الدين على باعث الهوى ، ليكون له اليد العليا المتصرفّة في مملكة البدن يعلم بمثال .

مثلاً إذا أردنا أن يكون العقل والشرع حاكمين في الشهوة ، فلنا أن نضعف الشهوة ، ونقوي العفة .

أما الأول : فيكون بثلاثة امور :

أحدها : قطع اسبابها الخارجة ، وهي الأغذية القويّة والمشهيّة نوعاً ، ومقداراً ، فلا بدّ من قطعها ، فلا يأكل المريد المشهيّة النوعيّة ، ويقلّ من المقداري ، ولذا أمر الشرع في تكسير الشهوة بالصوم .

الثاني : قطع أسبابها المهيّجة الفعلية ، فإنها إنّما تهيج بالنظر إلى مظانّها ، إذ النظر يهيج القلب ، والقلب يحرك الشهوة . وهذا ايضاً يحصل بالاعتزال ، والاحتراز عن مظانّ رؤية الصور الجميلة ، والمشهيّة ، ولذا ورد في الشرع النهي عن النظر إلى النسوان ، والولدان الجميلة ، وقال (ص) : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فإنّ سهمه هذا إنّما هو من قوس الصور ، ومن طريق البصر ، فلا يدفعه إلّا غمض الاجفان ، والهرب من مظانّ الأبصار .

الثالث : تسليّة النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه ، وهو النكاح .

وأما الثاني : وهو تقوية العفة فبوجهين :

أحدهما : تذكر فوائدها وثمراتها الدنيوية ، ومثوباتها الآخروية ، مما ورد في الآيات والأخبار .

وثانيهما : تعويدها بالغبلة ، فيكون بالعمل بمقتضاها تدريجاً فيقوى بذلك ، حتى أنّ الغلبة في المرة الثانية اسهل منها في الاولى ، حتى ينتهي إلى أن لا يبقى للخصم قوة للمصارعة .

ثمّ أنّ الخوف من الامور الآخروية أيضاً ينقسم : إلى مكروه ، وحرام ، ومستحب ، وواجب .

ومن الأوّل : ان يشتدّ من درجة الاعتدال ، فيكف الاشتغال به عن دوام الذكر ، والفكر ، والفراغ لكثرة العمل .

ومن الثاني : ان يصل إلى درجة القنوط ، وهو كبيرة موبقة .

ومن الثالث : كل ما يصير سبباً للتقوى ، وزيادة العمل عن حدّ الوجوب الشرعي .

ومن الرابع : كلّ ما يمنع عن المحرّمات الشرعية ، ويبعث على العمل بالواجبات الشرعية .

وايضاً ينقسم بلحاظ آخر : إلى ناقص ، ومعتدل وزايد .

فالناقص : ما يكون سبباً لتألم ما يوجع القلب ، ويبكي العين ولا يمنع من المحرّمات والشهوات ، ولا يبعث على مجاهدة العبادات ، فاذا سمع آية أو رواية واردة في وصف جهنّم ، وشدة عقابها يبكي ، وإذا غفل ينقض أثره فلا يكفّه عن شيء ، ولا يبعثه إلى امر نظير رقة النساء ، وهذا ناقص ، وجوده كالعدم ، لضعف نفعه ، وهو درجة خوف العامة ، والمعتدل هو ما ينبعث على العمل ، والتقوى والجهاد الأكبر ، وهو على درجاتها مطلوبة نافعة جداً ولها مثوبات عظيمة .

والزائد : هو الذي يقضي إلى اليأس والقنوط ، ويكفّ عن

العمل ، أو يقضي الى الموت والهلاك ، واخلال العقل ، وهذا هو المرغوب عنه بأقسامه ، والسبب فيه أنّ الخوف ، ليس بنفسه من الفضائل ليزداد حسنه بازدياده ، بل هو في نفسه نقص ، وصار مرغوباً لرفع نقص آخر اهمّ من نفسه ، فاذا يكون دائراً مدار ذلك ، فاذا زاد عن الحدّ بحيث لم ينفع في رفع النقص الآخر ، أو زاد في نقصه ، فيكون قبيحاً ، ومرغوباً عنه .

وبالجملة ما يثمر في العمل المرغوب الشرعيّ هو المطلوب ، وما لا يثمر في ذلك ، أو يثمر في خلافه ، فهو غير مرغوب فيه قطعاً .

فصل : في الخوف عن سوء الخاتمة ، وإنّما افردنا له فصلاً لاستحقاقه لذلك ، فهو سوء حال الانسان عند موته ، سواء ختم بالكفر ، والجحود ، او بالفسق والفجور ، أو بنقص لا يرضى به فإنّ الكمل من عباد الله ، إنّما يكون من ذلك ، وإن كان من جهة كونه كاشفاً من السابقة ، فالامن إنّما هو بالخلاص منه ، وبالجملة سوء الخاتمة ، أمّا بالكفر والجحود ، وهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت ، التي تكشف بسبب اضطراب الرُّوح عندها للمحتضر عن بعض احوال الآخرة ، بمناسبة من أحوال قلبه من العقائد ، والملكات ، أو أثر الأعمال السابقة بالخاصة ، ما يوجب الشكّ أو الجحود ، فيختم له بذلك ، فيسير سبباً للخلود في النار ، وأمّا بالفسق والفجور ، وهو أن يحصل للمصرّ في الكبائر محبة راسخة لبعضها ، بحيث يغلب على قلبه ذكرها ، فيتصوّر له عند الموت صورتها ، فيميل لاقترافها ، فيقبض عليه ، ووجه روحه إلى عالم الطبيعة ، فيكون ناكساً رأسه إلى الدنيا ، فيحجب بذلك عن الله ، وإذا حجب عن ربّه نزل العذاب ، وظهرت آثار الذنوب ، فإنّ الإنسان يموت على ما عاش عليه ، ويحيى على ما مات عليه ، أي يكون عند موته حاله على ما غلب على قلبه من نور الأعمال ، وظلمتها اللذين يجبران الثواب ، والعقاب ، بل هما عين الثواب والعقاب ، ولكن على

غير صورتها الجزائية ، فاذا انقلب وجه الروح إلى عالم البرزخ ، ينقلب صور آثار الاعمال إلى صورها البرزخية الجزائية ، فينقلب الظلم مثلاً ظلمة ، والدّراهم والدنانير الزكوية التي بخل بها ، ناراً فتكوى بها جبهته ، وظهره ، وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ لكلّ شيء في كلّ عالم صورة ، غير صورته في العالم الآخر ، وذكرت أنّ من هذا الباب ما يرى في المنام بعض الأحوال الآتية بصورها البرزخية ، فيعبّره من يعرف حقائق الصّور البرزخية ، فينطبق الأمر على ما عبّر ، مثلاً رأى رجل في زمان الحجاج أنّ على جدار مسجد رسول الله (ص) حمامة بيضاء جميلة ، فإذا جاء صقر فصادها ، وحكى رؤياه على ابن سيرين . قال : كان رؤياك هذا صدقاً ، يتزوّج الحجاج ابنة عبد الله ابن جعفر ، وما مضت أيام حتّى تزوّجها الحجاج ، وسئل عن المعبّر عن وجه تعبيره ، قال : أنّ المسجد صورة بيت شريف ، والحمامة صورة بنات الشرفاء ، والصقر صورة الرجل القاهر الجبار ، ولم يكن اليوم في المدينة بيت اشرف من هذا البيت ، ولم يكن بها أجمل من بنت عبد الله ، ولم يكن في الرجال أقهر وأجبر من حجاج ، ولذا عبّرت به هذا التعبير ، فإذا الحقائق لها صور بحسب العوالم ، فاذا معنى سوء الخاتمة ، ان يكون الانسان في مدّة عمره ، كسب لروحه آثاراً ظلمانية نارية سمية ، ويظهر عند قرب الموت على المحتضر ما هو الأغلب على قلبه ، وروحه من الآثار والأحوال ، فيميل اليه ويبقى روحه عند قبضه على حال من الأحوال على ذلك الحال ، ويبقى بصورته البرزخية ، فيكون معذباً به ، حتّى ينقضي ويتمّ الأثر ، ويظهر نور الايمان الضعيف عند انقضاء الظلمة للأعمال الراسخة ، فيأخذه روح الله ، وبرد عفوه ، هذا إذا كانت آثار الأعمال القبيحة ضعيفة ، وقد يكون قوّة بحيث لا يتمّ في البرزخ ، ويبقى ليوم البعث ، وينقلب على صورها المناسبة لعالم القيامة ، وينقضي في خلال هذه المهلة في بعض مواقفها ، أو يقوى من ذلك أيضاً ، فيدخل في جهنّم فيقضي فيها .

لا يقال : هذا الذي ذكرت إنما هو آثار الأعمال ، ومقتضيات الصفات فأين الثواب والعقاب ، ورحمة الله وقهره ، وعفوه وأخذه .

قلت : إنّ الآثار إنّما هو الثواب والعقاب ، الذين يخلقهما خالق الأشياء كلّها برحمته ، وقهره وعفوه وأخذه نظير ما ترى في الدنيا ، أنّك تقول رزقني الله ولداً ، أي جعل مائك الذي خلقه في صلبك في رحم زوجتك ولداً ، أي وهب لمائك في رحم زوجتك الأثر الذي أودعه فيه بحكمه ، وحكمته وعادة الله بمقتضى حكمته جارية لخلق الأشياء بالأسباب في الدنيا والآخرة ، وذلك لا ينافي نسبة الآثار إلى الله ورحمته ، وغضبه ولطفه وقهره ، ولا ينافي ان يسمّى ثواباً وعقاباً ، فإنّ الثواب هو أن يكون عملك مقتضياً لأن يهبك الله ما حكم بعملك هذا من الآثار الخيرية ، من الجنان والقصور والحدود ، وهكذا العقاب أن يخلق الله من عملك ناراً تعذب بها ، هذا كلّهُ إنّما هو قضيّة بعض القواعد العدليّة ، وحكم ما يرى من عادة الله الجارية في عالمنا ، وبعض العوالم القريبة من عالم الحسن ، والذي وصل إلينا حكمه من الشرائع من سائر العوالم ، ولعلّه لا بأس به بحكم الشرع والعقل بل والكشف أيضاً ، وبالجمله ليس سوء الخاتمة إلّا أثر الأعمال السابقة ، وليست هي إلّا حكم ما اقتضته الصفات الذاتيّة ، فظهرت في الجوارح بصورة الأعمال القبيحة ، ليتّم بذلك حجّة الله البالغة في حكمه ، وليست الصفات إلّا بحكم ما وهبه الله بحكمته ، وعدله وجوده للذوات ، حيث سألت عن ربّها بلسان حال استعدادها ذلك ، فمعنى قول المحقّقين أنّا نخاف من اليوم السّابق هو هذا المعنى ، يعنون بذلك إنّنا نخاف من اليوم الذي اوجدنا ربّنا ، وسئل لسان حال ذواتنا من الله هذه الصفات التي تصير منشأ للأعمال القبيحة ، والميل إلى عالم الطبيعة ، والاخلاد الى الأرض ، حتّى حجبنا بذلك عن لقاء ربّنا وقربه وكرامته ، وقيدنا بقيود هذه الصفات الرذيلة ، في سجن عالم الطبيعة المظلمة ، هذا والذي

يتفاوت به الأمر ، أنّ الاصطلاح أنّما قيّد استعمال لفظة سوء الخاتمة بما إذا كان ظهور الشقاوة عند الموت ، بخلاف ما ستر ظاهراً للعامة من حسن الحال ، وهذا الاصطلاح لا بأس به ، والفرق بين المعنى اللّغوي ، والاصطلاحي بالعموم والخصوص ، فإنّ المعنى اللّغوي يصدق على كلّ من ختم له بسوء حال وشقاوة ، والاصطلاح لا يصدق من هؤلاء إلا على من كان ظاهر حاله قبل الموت عند العامة حسناً ، فظهرت عند الموت أمر باطنه ، من الخبث والشقاء ، وختم له به .

وبالجملة قد يقال : أنّ السّبب لسوء الخاتمة بالكفر والجحود
أمران :

أحدهما : أن يعتقد الإنسان في ذات الله ، وصفاته وأفعاله خلاف الحق ويرى عند قرب الموت حين كشف له عن بعض الحقائق ، خلاف ما اعتقده ، فيصير ذلك سبباً لشكّه في سائر معارف ايمانه ، فيختم له بالشك ، والزهد والصلاح لا ينجى من هذا الخطر ، كذا قيل ، ولكن ظنّي أنّ الزهد والصلاح الواقعيين ينجيان منه بالخاصية ، أمّا من سببه أو من نفسه ، بل السّبب القريب للوقوع في خلاف الواقع من العقائد ، ليس إلا اتّباع الهوى والفساد ، قيل : والبله بمعزل عن هذا الخطر ، ولم اتحقق كونه بمعزل ، لأنهم غالباً يعتقدون بعض الامور الغير الواقعيّة ، فإذا رأوا بطلانه يصير ذلك سبباً لشكّهم في غيره من عقائدهم الحقّة ، نعم يمكن أن يدعي أنّ ذلك يقلّ فيهم ، من جهة أنّهم لا اعتقاد لهم راسخة في باب الصفات والأسماء ، وببالي أنّ المنجي من هذا الخطر بعد فضل الله ان يكون المؤمن فطناً ، قليل الوثوق بنظره وفهمه ، ولا يكون قطعاً ، متكللاً على الله في نجاته من الكفر والهلاك ، وكثير الدعاء في ذلك ، بقوله : (اللهم ثبتني على دينك ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني) ، أو يقول : (اللهم عرّفني نفسك ، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرّفني نبيك ، فإنك إن لم تعرّفني نبيك ، لم أعرف

حَبَّتْكَ ، اللَّهُمَّ عَرَفَنِي حَبَّتْكَ فَانْكَ إِن لَمْ تَعْرِفَنِي حَبَّتْكَ ، ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي). كما ورد الرواية (١) ، ويكون ثابتاً في الايمان الاجمالي ، بأنَّ جميع ما جاء به محمّد (ص) وأوصيائه (ع) حقّ ، نعم ليس البحث عن الكلام (٢) لأغلب الناس حسن العاقبة ، لا سيّما مع الاشتغال بالجدال كما ورد النهي عنه ، فالأولى في تحصيل المعارف طريق المجاهدة في تزكية النفس ، ودوام الذكر والفكر والدعاء .

وثانيهما: هو ضعف الإيمان في الأصل ، ثمّ استيلاء حبّ الدنيا على القلب ، وإذا ضعف الايمان ضعف حبّ الله ، وقوى حبّ الدنيا ويغلب القوي على الضعيف ، حتّى لا يبقى موضع لحبّ الله ، إلا من جهة حديث النفس ، ولا يظهر له أثر في مخالفة الهوى والشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتّباع الشهوات ، واقتراف المعاصي ، حتّى يظلم القلب ، ويقسو ، ويسودّ من تراكم ظلمة الذنوب ، ولا يزال يظني نور الايمان ، حتّى يصير ريناً قطعاً ، وإذا جاءت سكرات الموت وأيقن فراق الدنيا المحبوبة ، واستشعر أنّ ذلك من الله يخشى ان يؤثر في باطنه حبّ الدنيا . وألم فراقها ، بحيث ينكر تقدير الله لذلك ، بل يتبدّل الحبّ الضعيف بالبغض ، فإن ختم له في تلك اللّحظة ، مات مبغضاً لله ، وهذه الخاتمة اسوء من الأولى ، هذا وقد ورد في بعض المعاصي أيضاً كتارك الحجّ مثلاً ، أن يموت (٣) يهودياً ، أو نصرانياً ، وهذا

(١) كما في اكمال الدين للصدوق عليه الرحمة على ما نقل .

(٢) يعني البحث في علم الكلام لأغلب الناس ليس حسناً ، لأن أغلب مباحثها مطالب قشرية لا واقع لها ، فيظن الجاهل ان تلك المطالب حق ، فاذا عاين عالم البرزخ ، او غيرها من العوالم عند الموت ، فيرى خلاف ذلك فينكرها فيختم له بسوء العاقبة نعوذ بالله منه .

(٣) كما في الوسائل نقلاً عن كتاب المعبر للمحقق الحلي (ره) عن النبي صلى الله عليه وآله .

قال صلى الله عليه وآله : من مات ولم يحج : فلا عليه ان يموت يهودياً او نصرانياً .

بالخاصية .

وأما سبب سوء الخاتمة بالفسق والعصيان ، فهو ان يكون ايمانه قوياً ايضاً ، ولكن يكون مع ذلك مقارفاً للذنوب ، ومنهمكاً في الشهوات ، فيصير سبباً لان يتمثل ما يشتهي عند اضطراب الروح ، وضعف العقل ، ويميل إليه ، ويقبض عليه ، وهو راغب إلى معصية الله ، فيصير محجوباً عن الله ويصير ذلك سبباً للعذاب ، ولكن دون عذاب الأولين ، ويكون موقناً بقدر غلبة ظلمة المعاصي على سر القلب ، وهذا الذي يرجي له العفو والمغفرة ، والشفاعة ، وكثير الذكر بالله وباليوم الآخر ، وكثير المواظبة على الطاعات بعيد من هذه الخطرة ، لأن القلب عند ضعفه ، وميله إلى الباطن يتصور فيه ما غلب عليه ذكره سابقاً ، وارتسخ فيه محبته ، ويتمثل له ذلك فيشتغل به جوارحه .

كما حكى ان بقالاً كان يموت ، ويلقنه أهله عند موته بالشهادتين وهو يقول : ستة ، خمسة ، أربعة ، كلما يذكر الملقن له الشهادتين ، وهو مشغول بذكر هذه الألفاظ التي أكثر التلّفظ بها في حياته ، حتى رسخ في قلبه ، قيل : وأما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذي قال رسول الله (ص) : ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة ، حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق (١) ناقة ، فيختم له بما سبق به الكتاب ولهذا أعظم خوف العارفين من ذلك ، لأن الانسان لو أراد أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين ، وأحوال العبادات والطاعات ، مر عليه ذلك ، وإن كان للمواظبة على الصلاح والعبادات مدخلا فيه انتهى ، ولا يذهب عليك ان العمل خمسين سنة بعمل أهل الجنة ، ليس المراد منه العمل الخالص ، بل مطلق العمل فان العمل الخالص في هذه المدة ، ينجي قطعاً عن سوء الخاتمة ، بل

(١) الفواق بالفتح والضم : ما بين الحلبتين من الوقت .

وقيل : ما بين فتح يد الحالب وقبضها ، ومنه قولهم : امهلني قدر فواق حالب .

ليس سوء الخاتمة إلا من آثار عدم الاخلاص في العبودية ، نظير عبادة إبليس ، وخوف العارفين إنما هو من جهة الصدق ، والاخلاص ، باحتمال أن يكونوا مقصّرين في الاخلاص مشبهين في اعتقادهم الاخلاص .

فصل : في الرجاء وحقيقته .

أقول : حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار المحبوب ، وله اطلاقان :

الأول : العام يطلق على مجرد الارتياح المذكور ، سواء كان غروراً ، وحماقة أو تمنياً ، ورجاء خاصاً ، والاطلاق الثاني في مقابل الغرور ، والحماقة والتمني ، وهو الارتياح للمحبوب ، إذا كان احتمال وجوده قريباً ، وهو لا يكون إلا إذا كان الباقي من أسباب وجوده قليلاً ، وشيئاً قريب الحصول للأكثر ، أو شيئاً بعيد الحصول ، وأما إذا كان احتمال الوجود بعيداً غاية البعد ، بحيث لا ينتظره العقلاء ، فاسم الغرور والحمق أصدق عليه من اسم الرجاء ، وأما إذا كان احتمال وجوده عند الرجل من جهة عدم علمه بوجود الأسباب ، أو عدمها أو قربها أو بعدها ، فهو التمني ، وميزان معرفة درجة الاحتمال ، أن يكون هذا الاحتمال مؤثراً في طلب المرجو ، ويصدق العقلاء فإن كلّ ما يريده الانسان ، ويطلبه لها أسباب كثيرة مختلفة ، وقد يكون بعضها في اختياره ، وقد لا يكون ، والمطلوبات الشرعية من قبيل الأول ، وحينئذ نقول : الموجود الذي لم يوجد بعد ، أما ان يكون اغلب اسبابه التي خارجة عن قدرة المكلف موجودة ، وكان الباقي قريب الحصول ، أم لا ، وأيضاً أما أن يعلم المكلف بذلك ، أم لا وفي الصور كلّها أما ان يأخذ في تحصيل مقدماته التي بيده أم لا فحصل ثمانية معانٍ :

الأول : ما يكون اغلب الأسباب موجوداً والباقي قريب الحصول

والمكلف يعلم به ، يأخذ في تحصيل مقدماته التي بيده ، فهذا هو
الراجي الصادق في رجائه .

والثاني : وهو الذي كذلك ، ولكن لا يعلم به المكلف ، ومع
ذلك يأخذ في المقدمات ، وهو المتمنى .

والثالث : هو الذي كذلك ، وهو يعلم ، ولكن لا يأخذ في
مقدماته التي بيده ، وهو المضيع المهمل ، وله رجاء كاذب ، فإن من
رجى شيئاً طلبه .

والرابع : ان لا يكون الأغلب موجوداً ، وكان الباقي بعيد
الحصول ، وهو يعلم بذلك ، ومع ذلك يأخذ في تحصيل المقدمات ،
فهو الأحق .

والخامس : أن يكون كذلك ، ولكن لا يعلم به ، يأخذ في
التحصيل ، وهذا أيضاً كالثاني .

والسادس : أن يكون كذلك ، وهو يعلم ، ولا يأخذ ، وهو يدعي
الرجاء وهذا مغرور ، والذي لا يعلم بكيفية الأسباب ، ولا يأخذ سواء
كان الباقي قريب الحصول ، أو بعيد ، فإن ادعى الرجاء فرجائه كاذب ،
وهو في ادعائه مغرور ، والسرف في الحكم بكذب الرجاء في صور عدم
اشتغال المكلف بتحصيل المقدمات التي بيده ، هو أن الرجاء الصادق
عبارة عن علم يصير سبباً لصفة تؤثر في فعل ، فإذا لم يؤثر العلم في
الصفة ، لا يطلق عليه الرجاء اصلاً ، وإذا أثر في الصفة ، ولكن الصفة
لم تؤثر أثرها المتوقع منها ، يكون وجودها كعدمها ، فيطلق عليها أنها
كاذبة .

بيان ذلك : أن الرجاء لا يكون إلا بانتظار الشيء المحبوب للراجي ،
فإذا وجد المحبة ، وجد الطلب لأن الإنسان طالب للخير والسعادة ، وإذا
وجد الطلب لا بد أن يوجد الارادة والعزم ، فيتحرك العضلات ، ويتحرك

الأعضاء نحو المطلوب ، وتحصيله ، ولذا ورد^(١) من رجا شيئاً طلبه ،
ومن خاف من شيء هرب منه .

هذا وقد مثل علماء الاخلاق مثالا ، للرجاء ، واخوانه بالبذر ، فإن
الانسان إذالقى حنطة جيدة مثلاً ، في أرض صالحة ذاتاً وصفة ، وكانت
في بلاد كثيرة الأمطار ، ثم اّمده بالنقية ، وإصلاح الأرض ، وكلما يحتاج
إليه الزرع ، ثم جلس ينتظر ان يتفضل خالق الأشياء من زرعه حنطة ،
أضعاف ما زرعه من البذر كان هذا راجياً ، وصادقاً في الرجاء ، ولكن
إذا ألقى شعيراً ، وانتظر حنطة ، أو ألقى في أرض سبخة غير صالحة ،
وأرض لا يصل إليه الماء بالسوق ، أو بالمطر ، وجلس ينتظر زرعاً كاملاً
صحيحاً ، هذا أحق مغرور ، مثله فيما نحن فيه من ألقى حبّ الرّياء
في القلب ، وانتظر ان يحصد نور العمل الخالص ، او قرء القرآن أو
شيئاً من الذّكر والدعاء ، والمناجات ، ولكن قلبه مستغرق في ذكر
الدنيا ، ومشغول بها ، وبهمومها ، أو قرئها بقلقة اللسان ، لا عن
حضور القلب وهو ينتظر القبول ، أو أن يفتح له ابواب أسرار القرآن أو
يجد لذّة الذكر والمناجات ، وان ألقى بذره في أرض صالحة يصل إليها
الماء من الأنهار ، ولكن تركها لا يتعاهد البذر ، ولا الأرض بتنقية وسوق
ماء ، ونحوه جلس ينتظر الزرع الصحيح ، فهو كاذب في رجائه ومغرور
في انتظاره لأنّ الانتظار للمحال العادي غرور ، وإذا ألقى البذر في أرض
صالحة من جميع الجهات ، وأتى بجميع ما يصلحها للزرع ، ولكن لا
ماء لها إلّا الأمطار ، وكان البلد من البلاد التي لا يعتاد فيها كثرة
الأمطار ، فانتظر ان يجيء المطر في هذه السنة بخلاف السنين الماضية ،
يسمى ذلك تمنياً ، ومثاله من الشرعيّات لمن يقوم أمثالنا من أبناء الدنيا

(١) كما في نهج البلاغة لمولى الموحدين على بن أبي طالب عليه السلام .

وكما في الكافي عن ابن ابي نجران عن أبي عبد الله عليه السلام ورواية علي بن
محمد في باب الخوف والرجاء .

للتَّهَجُّدِ فِي لَيَالِيهِ ، وَبِتَضَرُّعٍ وَتَبَاكُيْ ، وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ قَلْبَهُ مُتَأَثِّراً
بِوَجْدَانٍ لَذَّةِ الْمَنَاجَاتِ ، وَيَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَبَّرُ وَيَتَفَهَّمُ مَعَانِيَهُ ، وَلَكِنْ بِقَلْبٍ
مُتَلَوِّثٍ بِحُبِّ الدُّنْيَا ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَفْهَمَ أَسْرَارَهُ هَذَا أَيْضاً تَمَنِّيٌّ ، وَلَكِنْ
لَيْسَ مَمْتَنِعاً أَنْ يَأْخُذَهُ نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ رَبِّهِ ، فَيَصِلَ إِلَى أَمْنِيَّتِهِ بِسَبِيلِهَا .

قال الغزالي : وقد علم أرباب القلوب ، إِنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ ،
وَالْقَلْبُ كَالْأَرْضِ ، وَالْإِيمَانُ كَالْبَذْرِ فِيهِ ، وَالطَّاعَاتُ جَارِيَةٌ مَجْرَى تَقْلِيلِ
الْأَرْضِ وَمَجْرَى حَفْرِ الْأَنْهَارِ ، وَسِيَاقَةُ الْمَاءِ إِلَيْهَا ، وَالْقَلْبُ الْمُسْتَهْتَرُ
بِالدُّنْيَا ، الْمُسْتَغْرَقُ بِهَا كَالْأَرْضِ السَّابِغَةِ الَّتِي لَا يَنْمُو فِيهَا الْبَذْرُ ، وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحَصَادِ ، وَلَا يَحْصُدُ أَحَدٌ إِلَّا مَا زَرَعَ ، وَلَا يَنْمُو زَرْعٌ إِلَّا مَنْ
بَذَرَ الْإِيمَانَ ، وَقَلَّمَا يَنْفَعُ إِيمَانٌ مَعَ خُبْثِ الْقَلْبِ ، وَسُوءِ اخْلَاقِهِ كَمَا لَا
يَنْمُو زَرْعٌ فِي أَرْضٍ سَابِغَةٍ .

أقول : هذا التشبيه صريح قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ حَرْثَ الدُّنْيَا
نُؤْتَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ يَرِدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ فِي حَرْثِهِ ﴾ وقوله (ص) : « الدُّنْيَا
مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ » ، وَأَمَّا الدَّلِيلُ النُّقْلِيُّ عَلَى نَفْيِ حَقِيقَةِ الرَّجَاءِ لِمَنْ لَمْ
يُجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَهَاجَرُوا ، وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ حيث حصر الرجاء فيهم ، وفي
سُورَةِ الشَّمْسِ ، دَلَالَةٌ عَلَى عَدَمِ انْتِفَاعِ الرَّجُلِ إِلَّا بِالْقَلْبِ الْمَزَكَّى ، وَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ (ص) : فِيمَا رَوَى عَنْهُ الْفَرِيقَانِ : « الْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ
هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ » ، قِيلَ ^(١) لِلصَّادِقِ (ع) إِنَّ قَوْمًا مِنْ
مَوَالِيكَ يَلْمُونَ بِالْمَعَاصِي ، وَيَقُولُونَ نَرْجُو ، فَقَالَ : « كَذَبُوا لَيْسُوا لَنَا
بِمَوَالٍ أُولَئِكَ قَوْمٌ تَرَجَّحَتْ بِهِمُ الْأُمَانِي ، مِنْ رَجَا شَيْئاً عَمِلَ لَهُ ، وَمِنْ
خَافَ شَيْئاً هَرَبَ مِنْهُ » ، وَقَالَ ^(٢) « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ خَائِفًا
رَاجِيًا وَلَا يَكُونُ خَائِفًا رَاجِيًا حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا لَمَّا يَخَافُ وَيَرْجُو » .

(١) كما في الكافي في رواية علي بن محمد عن الصادق عليه السلام .

(٢) في الكافي أيضاً عن الحسن بن أبي سارة في باب الخوف والرجاء .

وليت شعري ما بالنالنا نشك في حق من ألقى الشعير على أرضه وانتظر الحنطة ، ولكن منتظر ان يحصد من بذر النفاق محصول الإيمان والاخلاص ، والله تعالى يقول : ﴿ ليس للإنسان إلا ما سعى ، وإنّ سعيه سوف يرى ﴾ .

فإن قلت : إنّ الأخبار صريحة ^(١) في أنّ من ظنّ بالله خيراً الله يستحي أن يحرّمه من ذلك ، وإنّ الله تعالى عند ^(٢) حسن ظنّ عبده المؤمن ، فإنّ من عمل بالمعاصي وحسن ظنّه بالله أنّه يغفره بل يعامله بكرم عفوه ، فيبدّل سيئاته بأضعافها من الحسنات ، فمقتضى هذه الأخبار أنّ الله تعالى يعامله بما ظنّه من هذه المغفرة ، والعفو والكرم .

قلت : هو كذلك ، ولا منافات بينه وبين قوله تعالى : ﴿ ان ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ، لأنّ حسن الظنّ بالله بهذه الدرجة امر عظيم ، لا يمكن حصوله إلا بسعي بليغ ، وهو مقام من لا يرى في الوجود ضاراً ، ولا نافعاً الا الله ويكون وثوقه بعناية الله اكثر من اعتقاده بتأثير الأسباب ، وهذا المقام لا يبلغ بالهويناء ، نعم دعواه كثير ، ولكن حقيقته لا يوجد إلا في الاوحد من الاولياء ومن كان هذا حاله فعليه ان لا يخاف في الدنيا أحداً ، بل شيئاً من الأشياء ، ويثق بعناية الله في الامور الدنيويّة من خيراته ، وسعاداته أكثر منه بالاسباب الدنيويّة ، ومثل هذا المؤمن يكون وجود الاسباب وعدمه عنده سواء ، ويكون الممدح والذم عنده سواء ، فأين هذا المقام ، فمن لا يثق بضمان الله لرزقه ، فيأكل الحرام ، ويقول الله كريم ، وأنا أقول : الله كريم ، ولكن قولك هذا كلمة حقّ يراد بها الباطل ، وأنت لست تعتقد بكرم الله بل ولا تعتقد بصدق الله وإنّه لا يخونك ، وأنت مغرور غرّك ربّك الكريم عدوك

(١) كما في الكافي باب حسن الظن بالله عن بريد بن معاوية وسيأتي الاشارة اليها ايضاً .

(٢) كما في الكافي ايضاً في رواية اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام .

الغرور اللثيم ولو كنت معتقداً بصدق الله وكرمه كنت واثقاً بضمانه ،
ووعده وقسمه ، حيث اقسم في كتابه بأنّ رزقك يصل إليك ، ولم تظلم
أحداً في أكل ماله بالحرام وإن شئت صدق دعواك ، فانظر حالك ،
وقلبك ، وعملك في الوثوق بكرمه في محاولتك الدنيوية ، فاذا رأيت
من قلبك وعملك تصديق هذه الدرجة من حسن الظنّ برّبك ، فاقرّ عيناً ،
وهنيئاً لك من مقام سني يوصلك إلى منتهى آمالك في الدنيا والآخرة ،
وإياك ان ترضى بدرجة دون الغاية القصوى ، من درجات المقربين .

فصل : في أسباب الرّجاء والأصل فيها صفاته الجماليّة ، قيل :
وهي أكثر من (١) صفات الجلال .

لا يقال : إن كان الأمر على ما وصفت ، فكيف يزيد عدّة الهالكين
على الناجين .

لأنّا نقول : لا نسلم ذلك ، فإنّ نسبة الملائكة الرّوحانيين بالنسبة
إلى الثقلين ، الذين فيهم طبقات الهالكين كنسبة البحر إلى القطرة ،
فمثل هذه العوالم المظلمة السفليّة ، مع العوالم العالية النوريّة ، كمثل
خال في وجه تمثال لصاحب جمال .

وبالجملة الاصل في الرجاء ، أنّ الشرّ والغضب وجودهما أنّما هو
بطفيل وجود الخير والرحمة ، وهو أحد معاني سبقة الرحمة على
الغضب .

ثمّ إنّ الاعتبار أنّما يحكم بقوة الرجاء ، وذلك لأنّ الإنسان إذا نظر
في معاملة الله مع خلقه في هذه الدنيا ، وكثرة نعمه التي لا تحصى ،
وكثرة عنايته تعالى لدعم اهمال شيء من مكملاته ، ونوافل عيشه وزينته

(١) صفات الجمال يطلق على الصفات الثبوتية ، وصفات الجلال على السلبية
سواء كانت مصرحة أم راجعة إليها لباً ، مثل سبوح و قدوس فانها ليست في الظاهر
سلبية ولكنها راجعة إليها لباً ، اذ معناها سلب النقايس عنه تعالى .

في بدنه ، ومتعلقاته ، وأيضاً الأغلب على أهل هذه الدنيا الضيقة المظلمة ، مع أنّها ادون العوالم ، وأبعدها من الرحمة الالهية ، السلامة ، بحيث لا يتمنى أهلها الموت ، فكيف بدار الحيوان الواسعة النورية .

وقد ورد أنّ الله أنزل على هذه الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته فما يوجد في هذا العالم كلّها من هذا الجزء ، وإذا كان عالم الآخرة يضمّ الله تعالى هذا الجزء أيضاً على أصله ، ويعامل بهذه الرحمة الكاملة مع عبيده ، وكيف كان فقد ورد في الأخبار والآيات أمور عظيمة لتقوية الرجاء .

أمّا الآيات فمنها قوله تعالى : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، فإنّ الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنّهُ هو الغفور الرحيم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضى ﴾ فإنّه «ص» لا يرضى بأن يعذب الله أحداً من أمّته .

وقوله : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلّا الله ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .
وآية الصلاة .

وقوله تعالى : ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصليها إلّا الأشقى الذي كذب وتولى ﴾ .

وقوله : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ .

وقوله : ﴿ وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ .

وقوله : ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ .

وقوله : ﴿وذلك ظنكم الذي برّبكم اربكم﴾ .

أما الأخبار فمن الباقر (ع) قال : وجدنا في كتاب علي (ع) أنّ رسول الله (ص) قال وهو في منبره : والذي لا إله إلا هو ، ما اعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلا هو ، لا يعدّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار ، إلا بسوء ظنه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه ، والذي لا إله إلا هو ، لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ، لأنّ الله كريم بيده الخيرات ، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به ظنه ، ثمّ يخلف ظنه ، ورجائه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه .

وعن النبيّ (ص) يقول الله عزّ وجلّ : «أنا عند ظنّ عبدي ، فليظن ما شاء» (١) .

وقال : لا يموتنّ (٢) أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله .

وقال (٣) رسول الله (ص) : قال الله : لا يتكلّ العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ، فإنهم لو اجتهدوا ، وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناني ، ورفيع الدرجات العلى في جواربي ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا . فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم ، وممتّي تبلغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم ،

(١) وهذا المضمون كثير في الروايات .

(٢) لما في روضة الواعظين .

(٣) في الكافي باب حسن الظن عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه

السلام .

وبذلك تسمّيت .

وبالجملة الذي يفهم من الأخبار أنّ العبد إذا اذنب ، فهو لا يخلو من أن يندم منه أم لا ، وإذا ندم يكون كفّارة لذنبه ، وإن لم يندم فإن اتبعه بحسنة يكون كفّارة له ، وإن لم يتبعه بحسنة ، فإن لم تكن من الكبائر يكون الصلاة الخمس كفّارة لما يقع بينها ، وإن لم تكن صلاته صلاة مكفّرة ، فإن ابتلاء الله بعقابه في الدنيا باهداء بلاء ومصيبة إليه في دنياه ، تطهره ذلك وإلا فاستغفار الملائكة من بعده ، وإلا فشفاعة المؤمنين ، وإلا فشفاعة النبيّ (ص) والأئمة (ع) من بعده ، وإلا فرحمة الله الواسعة ، وإن بقي بعد ذلك شيء ، وحرّم من ذلك كلّ فيطهره الله بشدّة الموت ، وإن لم يطهر فبعذاب القبر ، وإن لم يطهر فبأهوال يوم القيامة ، وإلا فبعذاب جهنّم ، هذا كلّ تفصيل ميزان الله ، وزاد في السوم على نفسه بأن جعل الثواب على الحسنة عشرة ، والعقاب للسيئة بواحدة ، هذا أيضاً غير ما وعد من التضعيف لأعمال بعض الأزمنة الخاصّة ، مثل ليلة القدر ، وغيرها ، والأمكنة الخاصّة ، مثل مسجد الحرام ، ومسجد الرّسول ، والمشاهد المشرّفة ، ونحوها ، وإن شئت أن تعرف قدر ما تلوت عليك في هذه الكلمات ، فراجع الى ما ورد في تفصيل كلّ واحد منها في الأخبار .

وإذا تأملت فيها على التفصيل ، تجدك تشكّ في نجاة إبليس ، ولكن الخوف الحقيقي للاكياس من ضعف الايمان ، وسوء الأعمال المؤدّية لسوء الخاتمة ، والموت بالكفر والجحود ، لأنّ ما ذكرناه كلّ لمن يموت مؤمناً ، وإلا فللمؤمن عند الله قدر من القدر ينجيّه ، لا محالة بشيء من هذه الأسباب العظيمة ، والحمد لله كما حمد الله لنفسه ، ربّنا أنت أثّنت على نفسك ، ونحن لا نحصى ثناء عليك .

ويدلّك على عظمة قدر المؤمن ما في حديث الأعرابي ، من قول

(١) هو رواية اسماعيل بن بزيع الذي تقدمت الاشارة اليه قبيل ذلك عن الكافي .

النبي (ص) إنّ الله شَرَفَ الكعبة وعظّمها ، ولو أنّ عبداً هدمها حجراً حجراً ، ثمّ أحرّقها ما بلغ جرم من استخفّ بوليّ من أولياء الله ، قال الأعرابيّ : ومن أولياء الله ؟ قال : المؤمنون كلّهم أولياء الله .

وفيه أيضاً قال : يا رسول الله من يلي الحساب ؟ قال : الله ، قال : هو بنفسه ؟ قال : نعم فتبسّم الأعرابي ، فقال (ص) : لم ضحكت يا أعرابي ؟ قال : إنّ الكريم إذا قدر عفى ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبيّ (ص) : صدق الأعرابيّ الا لا كريم أكرم من الله ، هو أكرم الأكرمين ، ثمّ قال : فقه الأعرابيّ .

وبالجملة قد ورد الآيات ، والأخبار مختلفة يقوّي الرّجاء ، ولكن علماء الأخلاق من جهة أنّ الغالب على النّاس ، ان إذا سمعوا شيئاً منها يجعلونه سبباً لترك العمل ، وترك المبالاة في الدّين ، ولا يؤثر فيهم الرّجاء الواقعي الَّذي هو مشوّق ومرغّب في الطلب ، كما سمعته يظنّون بذكرها ولكن الاولى الاقتداء في ذلك بأنبياء الله (ع) في ضبطها في الشريعة ، وعدم إخفائها كليّة ، ولكن قد يعاملون مع الناس في الموارد الجزئيّة هذه المعاملة مثلاً إذا رأوا من عليه الكسل ، وعدم المبالاة بأمر دينه كعمامة النّاس ، يكثرّون عنده ذكر أسباب الخوف ، ليسوقوه بسوط الله الى الجادة القويمة ، وإن رأوا أحياناً من غلب عليه الخوف ، وقلّ رجاؤه بحيث مال إلى القنوط يكثرّون عليه من ذكر آيات الرحمة ، وأسباب الرجاء ، ويقودونه بذلك عن الميل إلى القنوط الَّذي فيه هلاكه إلى الطريقة الوسطى ، والمحجة البيضاء ، فإنّ الصراط المستقيم الَّذي أنعم الله به على عباده ، هو أن يكون الخوف والرجاء فيهم متساويين إلى قرب موته ، فالاولى ان يترك حديث الخوف ، ويشغل بأخبار الرجاء ليزيده ذلك شوق اللّقاء ، ولا يكدره الخوف وهو ليس بنفسه من الصفات الجميلة ، ولكنّه مرغوب لفائدة منع النفس عن الشهوات والمعاصي ، وإذا تمّ وقت العمل فلا يبقى فيه حسن من جهة تكديره شوق اللّقاء ، ولذّة الانس يكون مضرّاً فرغب عنه ، ولذلك قيل : انّ العمل على

الرجاء اعلى منه على الخوف ، لأنّ الرجاء يزيد في الحبّ ، ويقويّ لذّة
الانس ، نعم لأهل المحبّة أيضاً خوف أشدّ من خوف سائر الأصناف ،
وهو خوف الوقوف ، والاعراض ، والحجاب ، ولكنّه خوف كامن لا يكدّر
اشعار أسبابه لذّة المؤانسة ، وقَلّ ما يحتاجون إليه أهله ، وقد يبليهم
بذلك ما يظهر منهم من القلق ، والاضطراب على غيرهم من السالكين ،
ويباهي بهم ملائكة المقرّبين .

خاتمة : قد ورد في الأخبار : أنّ الفقيه من لم يقنط الناس من
رحمة الله ولا يؤمّنهم من مكر الله فليخلط الوعّاظ في وعظهم من ذكر
أسباب كليهما ، ولكن من جهة أنّ الغالب على العامّة الأمن من مكر
الله وسخطه ، فليكثر من اسباب الخوف ، ولا يلتفت لشكوى المستمعين
اكثرت من التخويف ، وليلاحظ هو بنفسه احوالهم ، لا يدرون ما الخوف
والقنوط والرجاء ، والامن ، وشكواهم إنّما هو ممّا يجدونه من الم أوّل
درجة الخوف ، فيحسبونه قنوطاً وإلا فكيف لا يرى فيهم أثر الخوف ،
وكيف تجاوزوا الخوف ، وبلغوا القنوط ولم يباشروا به ، أو جاز لهم
الطفرة ، فإنّ من لم يخف قط خوفاً يمنع عن المعصية ، كيف يدعي
شدّة الخوف ، وتجاوزته عن حد الاعتدال إلى القنوط بل ليس قنوطهم
ومنهم إلّا من جهة انتفاء الموضوع في قلوبهم ، فإنّ القنوط تجاوز
الخوف عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد مخوفاً ، ويتذكّر شدّته
وبأسه ، ثمّ يغلب ألم احتراقه في القلب ، بحيث يئأس عن النجاة منه
وأين لأهل الدنيا والمشعوفين بحبّها ، والمنهمكين في شهواتها ،
والمشغولين على التطالب بحطامها من اعتقاد صادق ، وإن وجد فأين لهم
من ذكر الآخرة وشدّة عذابها ، فضلا عن غيبة ألم الخوف بحيث يتجاوز
إلى حدّ القنوط ، بل ان وجد فيهم يأس من رحمة الله ، فهو من جهة
عدم صدق اعتقادهم بالله ، وشدّة سخطه ، كما أنّ الأمن عبارة عن
تجاوز الرّجاء عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد في الله تعالى

عناية ورحمة واسعة ، ويغلب رجائه بحيث ينسى احتمال التخلف عنه ،
 فينقلب الرجاء الى الأمن ، واين لعشاق الدنيا هذا الاعتقاد الصادق ثم اين في
 قلوبهم محل لذكر الله ورحمته ، فضلاً عن غيبة ذلك حتى ينسى جانب الخلاف ،
 فينقلب الى الأمن ، بل أمنهم ايضاً مثل يأسهم منشأه عدم صدق عقائدهم
 بالله ، ورحمته ، وفضله وهبته ، فالسبب في شكواهم ليس إلا من جهة أنّ
 مذاكرة أسباب الخوف يولم القلب ، ولو في الجملة ، والالم مكروه
 بالذات ، والانسان مجبول بالفرار منه ، والنفس والشيطان يريدان دفع الم
 الخوف ، لكيلا ينغص عليه عيشه وشغله بالدنيا ، فيدلسان عليه الامر ،
 فيرى أنّ خوفه تجاوز عن الحدّ ، ونعم ما كان يقول في جواب هذه
 الشكوى بعض المعاصرين «ره» كان يقول : لا تخف فإنك لا تخاف
 قطعاً ، ثم إنّ ما ذكرنا من مرجوحية جانب الترجية لمن ابتلى بوعظ
 العامة ، أنّما هو في حق من يرجي بالاسباب الصادقة الواردة في
 الشرع ، وأمّا من يرجي الناس بالاسباب الكاذبة ، ويفتري على الله فهم
 شياطين الناس ، وقطّاع طريق السالكين الى الله ، وهم اولياء الشياطين ،
 قد دلسوا الامر ، وغشوا للمسلمين في التلبس بلباس أهل العلم ،
 والوعظ ، والاشتغال بصورة الوعظ ، فيحرفون الكلم عن مواضعه ،
 ويفسّرون الآيات والاخبار من عند انفسهم ، مثلاً يقول الرّياء في الرّثاء
 معفو ، ويستدلّ لذلك باخبار التباكي ، ثم يذكر ، ويرثي برّثاء كاذب ،
 ويصرّ على المستمعين ، ويشوّقهم الى الصّيحة والتباكي ثم يقسم
 بالأقسام العظيمة ، والايمان المؤكدة ، أنّ أهل المجلس قد غفرت لهم
 ذنوبهم ، وهكذا يذكر شيئاً من العبادات من صلاة وصوم ، يقول : صل
 مثلاً في هذه اللّيلة هذه الصلاة ، ثم اذهب حيث شئت ، وقد غفر لك ،
 والعاصي المسكين يغترّ بقوله ، ويستريح قلبه من الخوف الكامن في قلبه
 بمقتضى ايمانه ، فيشتاق نفسه إلى حضور مجلس هذا الرجل من جهة
 ارتياح قلبه عن الم خوف الله ، وهو يرى أنّه مجلس ذكر وعلم ، وله في
 حضور هذا المجلس مثوبات مجالس العلم مثلاً ، فيجلس فيه ساعة

ويتخيّل أنه اصاب أجر مائة شهيد ، والعياذ بالله من الضلال ، والاضلال ، وليكن هذا آخر ما نورهه في الخوف والرجاء ، ثمّ إنّي أتقدّم بالخوف ، واختم بالرجاء تفضلاً بأن يختم الله لي بزيادة الرجاء على الخوف .

فصل : في القيام ، وهو مسؤول بين يدي الله للخدمة والعبادة واطهار العبوديّة بالقلب والجوارح كلّها ، وكمال قيام البدن أن يكون على طمأنينة وسكون وهيبة وحياء ، مطاطاً رأسه ناظراً الى موضع سجوده مقيماً نحره وصلبه مرسلًا يديه على فخذه ، غير عابث بهما ، ولا مشغغل برفع رجله ، ومستقبلاً برؤوس اصابع رجله إلى القبلة ، وصافاً بهما إليها ، وفاصلاً بينهما باصبع إلى شبر ، وثابتاً عليهما ، وكمال مثول القلب أن يكون ذاكرًا لقوله تعالى الذي يريك حين تقوم ، وأن يكون سكون عليه تحت الاوامر الالهية وخجل واستحياء من استشعار القصور ، والتقصير ، في همّته لاداء حق العبوديّة بقدر الامكان ، ومشيراً بارسال اليدين ، وصفّ القدمين للكون في مقام الخدمة ، واقفاً على قدم الخوف والرجاء ، وقاصداً باطراق الرأس التبري من الكبر والتّراس ، وليكن ذاكر الهول المّطلع ، وليقدر في نفسه لا محالة أنّه حاضر بين يدي واحد من ملوك الدنيا ، خائناً مقصّراً ، فكيف يكون حاله ، ويكون بشرّاشر وجوده ناظراً إلى ما يصدر عنه من عتاب ، وخطاب ، وردّ وقبول ، وكيف تهده اطرافه ، وتسكن جوارحه ، وإذا لم تسمح نفسه العوّاد باللّعب والعبث ، واللهو عن عظام الامور ، وحقائق العزائم بالجد في الخشوع ، والاستكانة بقدر حضور هذا الملك ، عند حضور ملك الملوك تعالى جلّت عظّمته ، فعليه ان يعاتب نفسه ، ويقول : انا استحيي يا خبيث أن يكون هو جلّ جلاله عندك اهون من عبد مملوك لا يقدر لنفسه نفعاً ، ولا ضرّاً ولا موتاً ، ولا حياة ولا نشوراً ، والى ما تسلك بي مسالك المهالك ، وتجعلني عند مالكي وسيّدي اهون هالك ، فان لم يكن لك

الحياء ، ولم تفعل من الخطاء والجفاء فعليك ان تخاف من خطر مقامك ، وسوء حالك لقبيح فعالك ، وقد ورد^(١) في الرواية قال رسول الله : أما يخاف من يحول وجهه في الصلاة ، ان يحول الله وجهه وجه حمار .

قال بعض المحققين المراد أنه اما يخاف من يلتفت عن الله ، وعظمته في حال الصلاة ، ان يديم الله غفلته ، فيكون وجه قلبه كوجه قلب الحمار .

فبالجملة هول المطلع أمر عظيم .

روي أن الحسن^(٢) (ع) كان يبكي عند ذكر هول المطلع .

روي عنه (ع) أيضاً أنه بكى عند وفاته ، وسأل عن بكائه قال : ابكي من هول المطلع .

فصل : في النية ، وهي قصد العبادة لكونها محبوبة لنفسها لله أو خوفاً أو طمعاً دينياً أو دنيوياً ، والواجب أن يكون خالصة لواحد من هذه الوجوه مع التعيين أو التعيّن ، والاحوط الأول إلّا فيما ورد فيه النصّ ، كصوم شهر رمضان ، ولا يضرّ تخلف بعض الصفات اذا عين من بعض الجهات الأخرى ، مثلاً إذا أمر المولى بصلاة ركعتين في الوقت الفلاني ، أو المكاني الفلاني ، وأوجبهما فاتى بها المكلف بقصد الاستحباب اشتباها لا يضر ، وكما اذا اشتبه عليه القضاء بالاداء ، ففعل أحدهما مكان الآخر لا يضرّه ، وإذا وجد قصد المحبوبة فلا يضره أن يكون الداعي اليها فائدة دنيوية ، ولو من باب الخاصية ، والعبرة بهذا القصد ، ولو لم يخطر بالبال .

(١) نقله الشهيد (ره) في شرح اللمعة وغيره في غيره ويبالى انه فسر بذلك .

(٢) أورده في الارشاد وغيره .

ثم إنَّ القصد في العبادة النية والاخلاص ، والدليل عليهما الآيات والَاخبار .

كقوله تعالى : ﴿ وما امرؤ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ .

وقوله : ﴿ الا لله الدين الخالص ﴾ .

وقوله : ﴿ من كان يرجو لقاء ربّه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ﴾ وقول ^(١) النبي (ص) : إنّما الاعمال بالنيّات .

وقوله (ع) : لكلّ امرء ما نوى .

وقوله (ع) ^(٢) ومن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وإنّما قال ذلك في المهاجرة الى الجهاد ، وصار اصلاً في جميع العبادات .

قيل أن هذا الخبر عند أصحاب الحديث من المتواتر ، وهو أوّل ما يعلمونه اولادهم ، ويقولون : أنّه نصف العلم .

وما روي ^(٣) عن النبيّ (ص) : يقول الله تعالى : من عمل عملاً اشرك فيه غيري ، فهو له كلّ ، وانا منه بريء وأنا اغني الاغنياء عن الشرك .

(١) رواه في الوسائل في باب وجوب النية في العبادة وهي جزء من الرواية التي رواه في البحار عن منية المريد .

(٢) رواه في البحار عن كتاب منية المريد للشهيد (ره) ، وهي رواية طويلة نفيسة نقلها مختصراً .

(٣) رواه في البحار عن مسلم في الصحيح ، ولكن العبارة هكذا : روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الله عز وجل : انا اغني الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً اشرك فيه غيري ، فأنا منه بريء ، فهو الذي اشرك .

وقول (١) الصادق (ع) : قال الله تعالى : أنا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل ، لم اقبله إلا ما كان خالصاً لي .

ومجمل القول في النية أنّ الصورة الواحدة لعمل واحد ، لا يشرك فيها حفّة ، مختلفة ، لا ميز لها الا بالمقصود .

مثلا صورة الانحناء ، إنّما يشترك فيها التعظيم ، والاستبراء ، والتمثيل والتعليم ، والرّياء ، وقد يكون لمجرّد أخذ شيء من السفّل ، أو وضعه فيه ، ومرادنا من القصد الباعث للعمل ، فان كان الباعث للانحناء عظمة المولى ، يسمّى ذلك عبادة ، وله حكمها ، بخلاف غيرها من الاقسام المختلفة ، فلا يصدق عليها العبادة ، بل بعضها ضدّ العبادة .

وهكذا القول في العبادة فانها ايضا قد يكون للصنم ، وقد يكون لملك من الملوك ، وقد يكون لله .

وهكذا العبادة لله قد يكون لرغبة أو رهبة ، أو تعظيم أو محبة ، أو لكونه اهلاله ، والرغبة ، والرّهبة ايضا ، قد يتعلّق بأمر ديني ، أو دنيوي ، وايضاً قد يشترك في الباعث للعمل عبادة الله وشيء من الامور المذكورة غير الاضداد ، او غير ذلك من المباحات والمستحبات ، فان كان الشريك من المستحبات ، كما إذا سلّم وقصد به افشاء السنة ، وصلة الرّحم وتعظيم المؤمن ، فهو وجميع ما ذكر من وجوه عبادة الله فهو صحيح لا محالة ، وأمّا أن كان الشريك من المباحات كقصد التبريد في الوضوء مثلا ، فان كان على وجه التبعية والتقوى ، لا على وجه العلية ، فالظاهر أنّه غير مضرّ ، وإن كان على الوجه العلية التامة ، أو كان جزء العلة فهو مشكل ، ويجب فيه الاحتياط ، وأمّا إذا كان الشريك رياء او سمعة ، او عبادة أحد دون الله ، فهو باطل مطلقاً ، سواء كان في ابتداء النية قبل العمل ، او في الاثناء ،

(١) رواه في الوسائل ايضاً في باب وجوب النية في العبادة .

والمتأخر منه حرام على الظاهر ، ومحبط للاجر لما مضى من اخبار الشريك وآياتها ، وغيرها من اخبار الشيعة ، ولا تصغ الى قول الغزالي في هذا الباب ، من كون عبادة من اشرك الغير في نيته ذات أجر ، ووزر كل بحسب قصده ، فان زاد قصد القرية على قصد الغير يترجّح جانب الثواب بقدر الزيادة ، فانّ اخبار أهل بيت الوحي يرده ، وأهل البيت أدري بما في البيت وهكذا قول من ذهب منا إلى بطلان عبادة من تعبد من خوف النار ، او لدخول الجنة فأنّه أيضا خال عن التحقيق ، والعجب من قائله كيف ذهب إلى هذا القول ، وهو منصوص على جوازه ، بل العبادة الخالصة من الخوف ، والرغبة الاخرويتين ، غير ممكنة لاغلب الناس ، بل جلّهم إلّا من شدّ من أهل المعرفة الكاملين ، بل ربّما يتعبد المقرّبون أيضاً من خوف النار ، كما يشهد بعض المناجات الواردة عن الأنبياء ، والاوصياء صلوات الله على نبيّنا ، واوصيائه وعليهم أجمعين والسّرّ في ذلك إنّ ما يشاهد من أحوالهم ، ويدلّ عليه أخبارهم الّتي لا ريب فيها ، أنّ احوالهم مختلفة بحسب التجليات الاسمائية ، بمقتضى الحكمة الالهية والعناية الربّانية ، والّذي لا يعرضه الاحوال هو الذات المنزّهة عن جميع الصفات والحالات ، والدليل على اختلاف احوالهم يعرف لمن تأمل في آثارهم من ظهور الخوف الشديد ، والرّجاء العظيم ، والقدرة والعجز ، والاخبار عمّا يأتي ، والتحير فيما حضر ، والعلم بما كان ويكون ، وعدم العلم وقوله (ص) كَلَمِينِي يَا حَمِيرَا ، وظهور بعض الحالات عند نزول الوحي .

وبالجملة كان أمير المؤمنين (ع) يقول تارة : انا قسيم الجنة والنّار ، وتارة يغشى عليه من ذكر النّار ، ويقول : آه من نار تنضج الاكباد والكلّى آه من نار نزاعة للشوى ، ويخر مغشياً عليه .

وأيضاً كان في بعض الدرجات يقترض من اليهود درهما وتارة يصيّر التراب فضّة وذهباً ، وكيف كان لا مجال لتوهم أحد من النّاس لعدم

جواز التعبد من خوف النار ، ورجاء الجنة ، فضلا عن أهل العلم ، فضلا عن مثل رئيسهم وشيخهم آية الله شيخنا العلامة الحلي القائل بهذا القول ، ولكن أمثال هذه السقطات من هؤلاء الاجلة عبرة للمعتبرين ، ورحمة من رب العالمين لعباده المؤمنين لئلا يسكن أحد بعلمه وعقله أو غيرهما من فضائله ، ويرى نفسه وجميع نعم الله عنده في قبضة خالقها ومالكها ، وهو لا يقدر لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولو كان ذلك غير جائز لما صحّ لاغلب المؤمنين ، ولا جاز لهم شيء من العبادة ، بل ولا يكون ذلك إلا بعد الوصول إلى معارج المقرّبين العارفين بالله ، وباسمائه وصفاته الذين يرون الجنة والنار صورتين لرحمته وغضبه ، نعم التعبد لخوف النار وطمع الجنة ، أو لشيء من الاشياء عبادة العبيد والاجراء ، وأما الاحرار والاولياء فلهم مع معبودهم حالات لا يلتفتون فيها إلى شيء ممّا سواه ، حتى أنفسهم بل ولا الى القرب والبعد ، فضلا عن الجنة والنار هذا شيء ما ورائه شيء ، ولكن دونه سائر مقامات المخلصين ، ومقاصد المجاهدين في الله والمراقبة لاعمالهم ، وآفات أنفسهم على درجاتهم المتفاضلة ، فأول درجتها أن يكون العبادة خالصة من وجوه الفساد الشرعي المبطل للعمل ، أو المحبط للأجر ، وهو اخلاص العمل عن شوائب الرياء ، والسمعة ، والشرك الخفي ، ومهما بقي للرجل شيء من حبّ المدح ، وبغض الذم فلا اطمئنان له بالخلاص عن جميع وجوه هذا الشرك ، وهو خفي واخفى ، وقد ورد فيه أنّه اخفى من اثر ديبب النمل ، في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء .

ومن كواشفها ان يزيد نشاط الرجل اذا رآه أحد للعبادة ، لا اقول يزيد في عبادته اذا رآه أحد ، بل اقول يزيد نشاطه الواقعي عند رؤية الناس .

ومنها ان يستريح قلبه ويستلذّ روحه اذا ظهرت عباداته المخفية كذا قيل .

وقيل : أن من كواشفها أيضاً أن يرى لنفسه الفضل على غيره ممّن لم يعمل عمله ، وأن يتوقّع من النّاس الاكرام ، والمسامحة في المعاملات .

وحكى عن بعض السادات الاجلاء أنّه قضى صلاة ثلاثين سنة ، لأنّه كان يصلي في هذه المدة صلاته مع الجماعة في الصف الأوّل ، وتأخّر يوماً ففاته الصف الأوّل ، ووجد في نفسه خجلة ، وحياء من النّاظرين ، واستكشف من ذلك الخجل أنّه كان فيما صلّاه في الصف الأوّل عند النّاس سروراً وراحة للنفس ، فقضى جميع ما صلّى في تلك المدة .

ومن الاخلاص ان يخلص العمل عن سائر القصود المباحة ، ولو كان تبعاً لقصد العبادة مثل ما يوصف من مجاوري النجف الاشرف ، أنّه كان في أيّام العاشورا في البلدة المباركة مجالس قائمة لعزاء الامام الشهيد ارواح العالمين فداه ، وكنت أرى نفسي مائلة الى واحدة من هذه المجالس دون غيرها ، ولم افهم وجه الترجيح ، وعلمت لرغبتى لهذا المجلس ان للنفس فيه مدخلا ، وتفكّرت ولم ار شيئاً زائداً فيه من حظوظ النفس ليس في غيره ، ثمّ بالغت في التفكّر ، فظهر لي بعد اللّتي واللّتي ، أنّ اختياري لهذا المجلس لم يكن خالصاً من جميع جهات حظوظ النفس ، وكيف كان للاخلاص مراتب ، لا يمكن تحصيلها الا لمن هداه الله من فضله ، واعطاه الحكمة وجعلها نورا وشفاء لصدوره وبصره حيل نفسه الغرور ومداخل عدوّه الكفور الشرور ، وأيده بجنوده وسدّه حتّى خلس عمله عن الآفات كلّها ، وآخر درجاتها أن يكون العمل خالصاً من شوب جميع الرغبات ، حتّى الاخرويّة منها ويكون العبادة خالصة لوجه الله ، وباعثها حبّه تعالى ، وكونه اهلاله ، ولذا (١)

(١) لم نعثر عليه .

ورد في حقيقته ان تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت وتعمل لله لا تحبّ أن تحمد عليه .

وروى ^(١) عن أمير المؤمنين (ع) قال : طوبى لمن اخلص لله العبادة والدّعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما يسمع اذناه .

والقول البالغ في ذلك ما في المصباح ، قال الصادق (ع) : الاخلاص يجمع فواضل الاعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرّضا ، فمن تقبّل الله منه ، ورضى الله عنه فهو المخلص ، وإن قلّ عمله ، ومن لا يتقبّل الله منه ، فليس بمخلص وإن كثّر عمله ، اعتباراً بآدم وابليس ، وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كلّ المحاب ، مع اصابة علم كلّ حركة وسكون ، والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال ، والعامل والمعمول بالعمل لأنّه إذا ادرك ذلك فقد ادرك الكلّ ، وإذا فاته ذلك فقد فاته الكل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد .

كما قال الأوّل ^(٢) : هلك العاملون إلّا العابدون ، وهلك العابدون إلّا العالمون ، وهلك العالمون إلّا الصادقون ، وهلك الصّادقون إلّا المخلصون وهلك المخلصون إلّا المتقون ، وهلك المتقون إلّا الموقنون ، وإنّ الموقنين لعلّى خطر عظيم .

قال الله تعالى لنبيّه ﴿واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين﴾ ، وادنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته . ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً ، فيوجب به على ربه مكافأة بعمله ، لعلّ له لو طال به بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ،

(١) رواه في الوسائل في باب وجوب الاخلاص في العبادة والنية وآخر الحديث « ولم يحزن صدره بما اعطى غيره » .

(٢) وهذه عبارة مصباح الشريعة في باب الاخلاص .

وإدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة انتهى والظاهر أنّ المراد من قوله : مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، أنّه لا سبيل الى التخلص من شوائب الشرك الخفي إلا بفضل خاص من الله ، وهو القبول لمن رضى له بمثل هذا المقام السني وأن يبصره حيل النفس ومداخل الشيطان ، بدقائق العلم ، ويوفقه ويسدّه للتحرز منها ، فيكون عمله خالصاً لوجهه الكريم ، وهذا هو العمدة ، وإن كان العمل قليلاً ، ولا عبرة بكثرة العمل إذا لم يكن خالصاً .

كما اشير إليه في الرواية الواردة في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيُكَلِّمَ أَهْلَهُمُ احْسَنَ عَمَلًا ﴾ ، ليس يعني أكثركم عملاً بل اصوبكم عملاً ، والمراد من قوله وعلامة القبول ان يعرف هذا الذي قبله ربه ، وجعله من المخلصين ، لئلا يغترّ احد بأنّه ممّن قبله الله ، ورضى عنه ، فجعل العلامة وجود الاستقامة ، وهو الذي اراده الامام (ع) في خبر آخر في حقيقة الاخلاص بقوله : وهو ان تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت ، وتعمل لله لا تحبّ أن تحمد عليه ، ولذا قيدها بكونها ببذل كلّ المحاب مع اصابة علم كلّ حركة وسكون ، لأنّ السالك إذا بقي في قلبه مراد ، ومقصود غير وجه الله لا يستقيم له الاخلاص ، فلا يكون له بدّ من ان يراعي هذا المراد ، والمحبوب في حركاته ، فهو معنى بذل المحاب كلّها ، وهذا ايضاً لا يكفيه إذا لم يعلم وجه رضى ربّه في حركته وسكونه لأنّه يمكن ان لا يكون له قصد سوى وجه الله ، ولكن يجهل وجه رضاه في اعماله ، فيكون عمله عمل جاهل متنسك ، فوجب العلم فاحتاج مريد الاخلاص بمجاهدة شديدة في تقويم علم الحركات ، والسكنات بأن يخلصها من البدع ، والابتلاء بخلاف رضى الربّ وتقويم الاعمال وتقويم نفسه وما يحصل من عمله أو حفظ عمله عن الابطال بعده كلّ ذلك يحتاج إلى المجاهدة الشديدة ، والصبر العظيم لتحمل الاعمال الشاقة في

تحصيل العلم النافع ، وتذكية النفس فإنّ اذبال الغرور في الاعمال اوسع ممّا بين العرش والفرش ، ولا اظنّ احدا يتخلص منه إلّا من عصمه الله بلطفه ، ولذا ترى الناس يعملون عمل المقرّبين ، ولا ينتفعون منه بشيء ، وليس ذلك إلّا من جهة آفات الاعمال ، وإلّا فلو كان العمل عملاً ، فلا بدّ ان يثمر نوراً ، ومعرفة في القلب ، فلا يزال يزداد نوره ، حتّى يكون محسوساً لكلّ احد ، اما سمعت ما في الحديث القدسي لا يزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل ، حتّى اجعله مثلي «الخ» ، ولا يزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل حتّى احبّه وكنت سمعه الذي يسمع به «الخ» كيف ، يمكن ويتصوّر ان يكون الصّلاة معراجاً ، وزيارة الله ولا يزداد بها نور القلب وصفائه ، وزهده عن الدّنيا ، واقباله على الله ، اما سمعت قوله (ع) : « من لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، لا يزداد في صلاته من الله الا بعداً » .

وبالجملة من اشتغل غالب أوقاته بالعبادة نظير اغلب الناس ، لا سيّما أهل العلم فإنّ غالب شغلهم العبادة لأنّه لا عبادة اشرف من تحصيل العلوم الرّبانيّة ولا يرى في قلبه نوراً وصفاء وزيادة معرفة ، فيعلم بالقطع أنّ عمله معيوب ، وهو من جملة الاخسرين اعمالاً ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، وليحذر ان يبدو له من الله ما لا يحتسب ، ويبدوله سيّئات اعماله ، ويرى مثلاً صلاته في كفّة سيّئاته ، وتحصيله للعلم تحصيلاً للجاه والشرف ، وهكذا .

وبالجملة يعمل في مدة عمره خمسين او ستين سنة عمل اهل الله في زمرة اهل القدس والتقوى ويدعى في الناس بالمقدّس ويشار إليه بالتقوى ، ويكون اسمه في الدّنيا مؤمناً ومتقيّاً ومجاهداً في الله وفي الآخرة مرائياً وغادراً وفاجراً بل منافقاً كافراً والعياذ بالله من الغرور ، والشيطان المغرور ، ولا ارى ولا اعتقد داء للقلب اضرّ للسّالك ، ولا

اقرب الى الهلاك من الغرور ، ولا عملا يكون احشر للرجل يوم
الحسرة ، ولا اخسر من عمل المغرور ، وها نحن هذا المغرور ، انجانا
الله بفضل من غوائله ، وما اقبح حالنا اذا رأينا في صحائف اعمالنا ،
بل وجدنا في صحيفة انفسنا ما حسنها عبادة الله أنه كان من جملة عبادة
الشیطان ، ومبعدا عن الله ، ووجدنا نورنا ظلمة ، وشفيعنا ما حلا ، أنا
الله وانا إليه راجعون ، مصيبة عظم رزئها وجل عقابها ، فوا اسفاه من
خجلتي ، وافتضاحي ، ووالهفاء من سوء عملي واجتراحي كيف يكون
حال من يلوم الناس ، ويعظمهم من مخالفة الله ومعصيته ، اذا واجههم
يوم القيامة ، وهم مغفورون ، وفي وجوههم نضرة النعيم وهذا قد اسود
وجهه من ظلمة المعاصي ، ولعمري أنه مصيبة بخلاف مصائب الدنیا ،
لان مصائبها إنما كان لها سلوة بالمشروبات الاخریة ولصاحبها اسوة
بالابرار ، ومصائب الآخرة مصائب لا سلوة منها ابدا ، ولا اسوة فيها الا
للشیطان وحزبه ، وهم اعداء الله المخذولون الملعونون ، نعوذ بالله
الهادي وباسمائيه الحسنی کلها عامّة أن ینجینا من غوائل وجوه الغرور ،
او یبدل سیئاتنا بالحسنات ، فانه ولیّ الرغبات ، والمنجي من الهلكات .

وبالجملة قد اشار (ع) بقوله : وهو تصفية معاني التنزيه في
التوحيد ، إن الاخلاص لا يكون إلا بالزوع عن جميع وجوه الشرك ،
ولا يصح ذلك إلا لمن وحد الله في الوهیته توحیداً ، يسري في اعماله ،
فیكون موحداً بشرائره وجوده واعتقاده وعمله ، ولا يرى في ملك الله
مؤثراً غير المالك الحقيقي ، فلا يرى ضاراً ولا نافعاً غير الله ، ومثل هذا
الرجل كيف يبقى له مراد ومقصود غير الله ، لأن الانسان لا يتحرك الى
شيء بحركة اختیاریة إلا لما يراه خيراً ، وسعادة لنفسه اما في العاجل ،
وهو الغالب للعامّة ، او الآجل وهو الغالب للعقلاء ، واذا لم ير في
الوجود مؤثراً غير الله ، فلا يبقى له رغبة ، ولا رهبة إلا الى الله ، ومن
الله ، ويدخل في عباد الله ، ولا يكون للشیطان علیه سلطان ، لأن

سلطانه في باب الاخلاص والشرك ، انما هو من وجوه الرغبة والرهبة ،
واذا انسد بابهما يفتح باب التوحيد ، فقد خنس اللعين .

ثم إنّ هذا كلّّه بالنسبة إلى أصل الاخلاص ، وأمّا تفصيل مراتبه ،
فيعلم من تفصيل مراتب معارف الايمان ، فكل مؤمن بحسب معرفته له
اخلاص لا يمكنه غيره ، إلّا بالترقي عن معرفته إلى ما فوقها من
المعارف ، فإنّ العمل للتجنّة والنار لا ينافي اخلاص بعض المؤمنين ،
ولكن ينافي في بعض الاحيان اخلاص بعضهم ، فإنّهم في بعض
الاوقات لا يسعهم الالتفات إلى القرب والبعد ، فضلا عن الجنّة والنار ،
هذا ويستحبّ للعامة ان يكون ^(١) صلاته صلاة مودع ، فكأنّه آخر صلاته
فأنّه يزيد في اقباله وخشوعه .

فصل : في الاذان والاقامة ، وفيه فصول :

الأول في فضيلتهما .

عن ثواب الاعمال ^(٢) باسناده عن رجل عن ابن عباس قال قال
رسول الله (ص) : من تولّى اذان مسجد من مساجد الله ، فأذن فيه وهو
يريد وجه الله ، اعطاه الله عزّ وجلّ ثواب اربعين الف الف نبيّ ،
واربعين الف الف صدّيق واربعين الف الف شهيد ، وادخل في شفاعته
أربعين ألف الف امّة ، في كلّ امّة أربعون الف الف رجل وكان له في
كلّ جنة من الجنان اربعون الف الف مدينة ، في كلّ مدينة اربعون الف
الف قصر في كلّ قصر اربعون الف الف دار ، في كلّ دار اربعون الف
الف بيت في كلّ بيت اربعون الف الف سرير ، على كلّ سرير زوجة من
حور العين ، سعة كلّ بيت منها مثل الدنيا اربعون الف الف مرّة ، بين
يدي كلّ زوجة اربعون الف الف وصيف ، واربعون الف الف وصيفة ،

(١) كما مر عن السجاد عليه السلام .

(٢) نقله في البحار وغيره .

في كل بيت أربعون ألف الف مائدة ، على كل مائدة أربعون ألف الف قصعة ، في كل قصعة أربعون ألف الف لون من الطعام ، لونزل به الثقلان لادخلهم في ادنى بيت من بيوتها لهم فيها ما شاؤا من الطعام والشراب ، والطيب واللباس والثمار ، والوان التحف والطرائف من الحلبي والحلل ، كل بيت منها يكتفي بما فيه من هذه الأشياء عمّا في البيت الآخر ، فاذا اذن المؤذن فقال : اشهد ان لا إله إلا الله ، اكتنفه أربعون ألف الف ملك ، كلهم يصلون عليه ، ويستغفرون له ، وكان في ظلّ الله عزّ وجلّ حتّى يفرغ ، وكتب له ثوابه أربعون ألف الف ملك ثم صعدوا به الى الله عزّ وجلّ (١) .

وفي حديث (٢) بلال الطويل : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله (ص) يقول من اذن عشر سنين اسكنه الله مع ابراهيم في قبته او في درجته والاختبار في أنّ من صلّى مع اذان واقامة يصلّي معه صفّان من الملائكة فوق حدّ الاستفاضة وفي بعضها ، قلت له : وكم مقدار الصفّ قال أقلّه ما بين المشرق والمغرب ، واكثره ما بين السّماء والارض ، وروى (٣) عن علي (ع) أنّه قال : قال رسول الله : للمؤذنّ ما بين الاذان والاقامة مثل اجر الشهيد المتشحّط بدمه في سبيل الله ، قال قلت : يا رسول الله أنّهم يجتلدون على الاذان قال كلا أنّه ليأتي على الناس زمان يطرحون الاذان على ضعفائهم ، وذلك لحوم

(١) رواه في البحار عن مجالس الصدوق (ره) وهي رواية طويلة لم ينقل صدرها ولا ذيلها ، وهي مشتملة على فضائل كثيرة ، ونقل منها المؤلف (ره) فضيلة واحدة فقط .

(٢) كما في البحار عن ثواب الاعمال .

(٣) في الوسائل باب استحباب تولي الاذان رواه عن الشيخ ، ورواه في البحار عن ثواب الاعمال ، وفي بعض الالفاظ اختلاف يسير ، ففي رواية الشيخ ، يجتلدون ورواية الصدوق : يخنارون ، وفي بعض النسخ : يجتازون بالجيم والزاء ، والكل واضح .

حرّمها الله على النّار وعن (١) مجالس الصّدوق بإسناده عن الصادق (ع) عن ابيه ، قال : قال النّبي (ص) : الا ومن اذن محتسباً يريد بذلك وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب اربعين الف شهيد ، واربعين ألف صدّيق ، ويدخل في شفاعته اربعون الف مسيء من امتي الى الجنّة ، الا وانّ المؤذن اذا قال اشهد ان لا اله الا الله صلى عليه تسعون الف ملك ، واستغفروا له ، وكان يوم القيامة في ظلّ العرش حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق ، ويكتب ثواب قوله اشهد انّ محمّداً رسول الله اربعون الف ملك .

اقول : اياك ان تقول في امثال هذه المشوبات الواردة في جزاء الاعمال أنّها صدرت مبالغة ، لأنّه قول طائفة من الملاحدة ، فان استعدّ عقلك الضّعيف ، فلك في رفع استبعاده امران : الأول ان تعرف أنّ القدر المتيقّن من هذه المشوبات أنّما هو لمن اتى حقائق هذه الاعمال خالصة لوجه الله ، ثمّ تتفكّر في أنّه لا يمكن ذلك الا لواحد بعد واحد من الالوهيّين ، وأمّا امثالنا من العامّة ، فلأن يكون بعض عباداته مبعدة عن الله ، ومعصيته موجبة للنّار احق من ان يكون مقربة اليه (ص) ، وموجبة للمشوبات ، وانت اذا تأملت في معنى لا اله الا الله ، ورأيت أنّه كلمة توحيد ، ومعناه اثبات الالوهية ، والمنفرديّة له تعالى ونفيها عن غيره ، ثمّ تأملت في نفسك ورأيتها أنّها تعامل مع الله في جميع تقلباتها معاملة من لا يعتقد فيه الوهيّة ، وأنّما يعتقد الالوهية والمنفرديّة لكلّ من يعتقد فيه شيئاً من القوة ، والقدرة من المخلوقين ، ولا يثبتها على الله ، ولا يفرع في حوائجه اليه بل الى الاسباب والوسائط ، مثلاً ترى نفسك اذا كان له اب ذو ثروة ، وذو عدّة وكفاية لمهمّاته ، يطمئنّ له بحوائجه ، ويفزع اليه في مهمّاته ، وليس تطمئنّ الى الله ، ولا تفزع اليه ، ولا تسكن الى وعده

(١) رواه في البحار .

الرَّزَقَ ، والاجابة لدعائه اذا دعاه ، وهو مع ذلك يقول في لسانه : لا اله الا الله ، هل يكون هذا موحدًا ، وهل يصدق عليه في قوله هذا : أنه موحد صادق في توحيده ، او مشرك وكاذب او عابث ، ولاغ او مستهزء ومنافق ، واذا اعتقدت ان لا اله الا الله كلمة عظيمة ، لا يقدر ان يقولها حق قولها الا العارفون بالله ، فلا يستبعد ما ورد فيه من المثوبات ، والامر الثاني ان يتفكر في قدرة الله ، وان جميع ما ورد في الاخبار من وصف المثوبات ، والجنة انما يقدر على خلقها بارادة واحدة ، ويقول كن ، ولا مؤنة له عز وجل في خلقها واضعافها الى غير النهاية ابدًا ، فانه يفعل ما يشاء ، ويخلق ما يريد ، ولا يؤده خلقه وحفظه ، ويتفكر في عنايته وانه جواد ، لا يخل ، وهو اكرم الاكرمين ، وارحم وارف للمؤمن من الامة الشفيقة ، فاذا اجتمع لكم معرفة الامرين ، وتصديقه بحقيقة التصديق لا تستبعد شيئاً من ذلك فان استبعاد هذه المثوبات في انظار العامة انما هو بوجهين : احدهما استعظام امكانها والقدرة بخلقها ، وتخيل مؤنة في خلقها ، وحفظها لخالقها ، وثانيهما استحثار موجبها ، وانما يدفعها الامران المذكوران كما هو ظاهر .

فصل : ورد في بعض الاخبار^(١) استحباب زيادة الشهادة فيهما بالولاية ، او امرة المؤمنين لعلّي (ع) مرتين بعد الشهادة بالرسالة ، واعترف به الصدوق في رواية الشيخ والعلامة قال الصدوق : كنا نعرف الغلاة بروايتها ، وذكر الشيخ ان روايتها من المفوضه ، ثم ذكر انه لا بأس بقولها ، اقول : اما كونها من اجزاء الاذان التي تبطل تركها ينفيه

(١) كما في رواية الطبرسي في الاحتجاج ، ورواه الصدوق في الفقيه عن أبي بكر الحضرمي في مقام الطعن على الشيعة .

أقول : ورد في روايات عديدة ، انه يستحب الشهادة على ولاية علي عليه السلام وامرته بعد اشهادهم على رسالة نبينا صلى الله عليه وآله ، كما ورد في البحار في تفسير قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأفنى به بعض أجلة فقهاء الشيعة رحمهم الله فلاحظ وتدبر .

الاخبار الكثيرة ، وأما استحباب ذكرها فيهما ، فلا معارض لهذه الاخبار فيها ، وان لم يصح اسنادها فلا بأس بالعمل بها من باب المسامحة ، ويرجى لمن قالها رجاءً للثواب ان يعطيه الله ذلك الثواب ، وان لم يكن مستحباً في الواقع ، وأما شذوذ اخبارها فهو يمنع عن العمل بها عند التعارض ، ولا تعارض فيها في مجرد استحباب الذكر .

وأما قول الصدوق : ان روايتها كان عنده ميزاناً لمعرفة الغلاة ، فهو ميزان مخصوص به ، ولم يثبت لنا كما هو الشأن في بعض موازينه الآخر للرّمي بالغلو .

فصل : في حكمهما أما الاذان فلا اشكال في عدم وجوبه لكل صلاة للمنفرد ، والاحوط عدم تركه في الجماعة اذا لم يجمع بين الصّلاتين ، واحوط منه عدم تركه للمنفرد في الفجر والمغرب في الحضر ، ان لم يسمع اذان الغير .

هذا كلّهُ للرّجل وأما النّساء فلا يجب عليهنّ اذان ؛ ولا اقامة في شيء من الصّلوات في حال من الحالات .

وأما الاقامة فالاحوط ان لم يكن اقوى عدم تركها للرّجل مطلقاً ، نعم يسقطان في المسجد اذا صلّى فيه جماعة ، وان يصلّ معهم وان لم يسمع اذانهم واقامتهم ، لكن بشرط بقاء المصلّين او بعضهم على هيئة الجماعة .

فصل : يستحبّ فيهما الطّهارة والاستقبال ، والقيام وتتأكد في الاقامة والاولى بل الاحوط ان لا يترك فيها والاستقبال في الشهادتين أكد منه في غيرهما وكذا يستحبّ الوقف على الفصول مع التّأني في الاذان والحدّر^(١) في الاقامة ، ورفع الصّوت للرّجل في الاذان والافصاح

(١) قوله : يستحب الوقف أه أقول : المراد من الوقف هو الوقوف على أواخر الفصول في الاذان ، والمراد من الحدّر في الاقامة هو الاسراع الموجب لظهور الاعراب في =

بالالف والهاء ، ووضع الاصبعين في الاذنين عنده ، ويستحبّ الفصل بينهما بخطوة ، ودعاء ، وسجدة ، وركعتين من نوافل الظّهر والعصر في اذانهما ، وفي بعض الروايات أنّ من اذنّ ثمّ سجد ، وقال لا اله الا انت ربّي سجدت لك خاضعاً خاشعاً غفر الله له ذنوبه .

وفي الآخر من سجد بين الاذان والاقامة ، وقال في سجوده ربّ لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلاً ، يقول الله : ملائكتي ، وعزّتي ، وجلالي لاجعلنّ محبّته في قلوب عبادي المؤمنين ، وهيبته في قلوب المنافقين .

وفيها قال ابو عبد الله (ع) : من جلس بين اذان المغرب والاقامة ، كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ، ويستحبّ الدّعاء جالساً بالمأثور ، وهو اللّهمّ اجعل قلبي باراً ورزقي داراً ، واجعل لي عند قبر نبيّك (ص) قراراً ومستقراً ، وروى الفصل بركعتي الفجر بين اذانيها ، وبالجمله الفصل مؤكّد بينهما ، لا ينبغي تركه عمداً ، ومن السنّة أن تكون في الظهر والعصر بركعتين من نافلتهم ، ويستحبّ أيضاً في الفجر بركعتيها للامام المنتظر ، بل للمنفرد أيضاً وفي باقي الصلوات بسجدة ، أو

= أواخر الفصول .

وأما قوله : والافصاح بالألف والهاء ، فقد ورد في روايات كما في الوسائل وغيره : ان الاذان جزم بافصاح الالف والهاء ، والاقامة حذر .
فيمكن ان يكون المراد بالألف والهاء المأمور بافصاحها مطلق الالف والهاء الواقعين في الاذان : كما في لفظة « اشهد » ، و « الله » و « لا إله الا الله » ، وعرفان عدم الافصاح بالألف والهاء فيها ربما يغير المعنى تغييراً فاحشاً ، ويمكن ان يكون المراد الالف والهاء في لفظة الجلالة فقط .

أو في لفظ « اشهد » فتدبر فلا مجال لنا في اطالة الكلام .

وراجع الكتب الفقهية ، وأما ساير المستحبات التي ذكرها قدس سره : فهي المذكورة في الكتب الفقهية ، وكتب الاخبار ، ومشهورة عند الشيعة ، فلا حاجة الى تطويل الكلام فيها .

جلسة ، أو نفس ، أو تسبيح أو تحميد ، ويستحبّ في الجماعة لغير المؤذن ، ان يجلس حتّى يقول المقيم ، قد قامت الصلاة ، فيقوم ، ولا يجلس ، ثمّ إنّ الأحوط أن يكون عند الاشتغال بفصول الاقامة قائماً ساكناً ، مستقبلاً ، ويراعي أحوال الصلاة فيها ولا يتكلّم فيها بغير ما يتعلّق بالصلاة ، ووردت الروايات بحرمة التكلّم إذا اقيمت .

فصل : في عبرهما قال في الحقائق : وإذا سمعت نداء المؤذن ، فاحضر في قلبك نداء يوم القيامة ، وتشمّر بظاهرك ، وباطنك للاستجابة والمصارعة ، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءاً . بالفرح ، والاستبشار ، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى ، والفوز يوم القضاء ، ولذلك قال النبيّ (ص) ارحنا يا بلال ، ارحنا بها وبالنداء إليها ، إذ كانت قرّة عينه فيها .

أقول : يعني الأذان نداء اللّقاء ، وكما أنّ يوم القيامة ينادون الناس إلى العرض على الله ، فكذلك المؤذنون ينادون المؤمنين إلى مجلس الحضور والمعراج والزيارة ، فإن كان حال الانسان في هذه الدّنيا من المعرفة بحيث يلتذّ بهذا النداء ، فالمعرفة في الدّنيا بذر المشاهدة في الآخرة ، وإن كان من الجهالة بحيث يسوء من هذا النداء ، فهو أيضاً يورث سوء حاله من نداء يوم القيامة ، وإن كان من الغافلين ، يكون حاله ما يناسب غفلته ، فكذلك الحال في سائر مقامات الدين ، ونواميس الشرع ، فإنّ الإنسان يموت على ما يعيش ويحشر على ما يموت ويحصّد ما زرعه في أرض قلبه ، فمن عرف موقع الصلاة في معاملته مع ربّه ، وعرف أنّها لطف عظيم من الله الرحيم ، لا بدّ أن يكون قرّة عينه في الصلاة ، ولا بدّ أن ينتظرها كما ينتظر مجالس الأنس مع أحبّائه ، ويجب به نداء الأذان بما يجاب به دعاء الأحباء ، وإن شئت أن تعرف حقّ ذلك فانظر معاملة الله تعالى معك عند اقبالك عليه واعترف بأنك لوبذلت

جميع قدرتك في تحصيل حقّ أدب هذا النداء ، لا تأتي بجزء من عشر معشار ما يجب عليك بحكم الحكمة والعدل ، وإن عرفت ذلك بحقيقة المعرفة ، لا تكسل عن أداء ما يمكنك في ذلك ومع ذلك لا يخلو قلبك من حياء التقصير ، وعند ذلك يدركك من قبوله تعالى ، وشكره العظيم ما لا يبلغه فطنة العلماء ، وعقول العقلاء .

وقال : واعتبر بفصول الأذان وكلماته ، كيف افتتحت بالله ، واختتمت بالله ، واعتبر بذلك إنّ الله هو الأوّل ، والآخر والظاهر والباطن .

أقول : كأنه أراد أنّ في وضع الأذان كذلك إشارة إلى هذا .

قال ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير ، واستحقر الدنيا وما فيها ، لئلا تكون كاذباً في تكبيرك ، وأنف عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل .

أقول : المراد بكل معبود سواه كلّ من يعامل معه بمعنى العبوديّة وإن انكر ظاهراً عبادته ، فإنّ العبادة حقيقة التواضع ، والميل والتبعية ، فيدخل فيه اهواء النفس التي هي من أبغض المعبودات التي تعبّد في الأرض كما في الخبر ، ويدخل أيضاً الشيطان ، والدنيا بوجوهها الباطلة .

وقال : واحضر النّبّي (ص) وتأدّب بين يديه ، واشهد له بالرّسالة مخلصاً .

أقول : اخلاصها عبارة عن تخلية القلب من وجوه الاعتراض في أحكام الشرع ، حتّى لا يكون في نفسه وقلبه حرج ممّا جاء به ، وقضى عليه ولو اضرب به .

وقال : وصل عليه وآله .

أقول : وتفكر في معرفة الصلوات لتكون عالماً بما تدعوه وتطلبه من الله لهم ، ووفق بين قلبك ولسانك في ذلك ، ليقع عن عناية ، ومعرفة لا عن جهل ومجرد لقلقة اللسان .

وقال : وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة ، وما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال .

أقول : إن امكنك ان تعتقد بحقيقة قلبك ، فإن الصلاة معراج العبد وزيارة الرب لتعتقد أنها موجبة للفلاح ، وإنها خير الأعمال ، ولا ترضى من اتيان أعمالها وأركانها كلها بالصورة ، وأذكارها ومخاطبتها ومناجاتها بلقلقة اللسان ، ويتأثر قلبك وروحك من أفعالها ، وقرائنها ومناجاتها ، وتكبيرها الذي هو المقصود الأصلي منها ، بل هو روحها وحقيقتها ، فعند ذلك يحصل اللذة من القراءة ، والمناجات ، ولطف المخاطبات كما ورد في الأخبار .

قال : وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله ، وتعظيمه واختمه بذلك ، كما افتتحت به ، واجعل مبدءك منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوته ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يعني إن كيفية فصول الأذان ، يشعر بأن مبدء كل شيء إنما هو الله ، ومصيرها إليه وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوته ، هذا .

ويستحب أن يدعو بعد الإقامة بدعاء التوجه ، وهو أن يقول : اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآله ، وأقدمهم بين يدي صلاتي ، وأتقرب بهم إليك ، فصلّ عليهم ، واجعلني عندك وجيهاً بهم في الدنيا والآخرة ، ومن المقرّبين ، أنت مننت علينا بمعرفتهم ، فاختم لنا بطاعتهم ، ومعرفتهم ، وولايتهم فإنها السعادة ، فاختم لنا بالسعادة إنك على كل شيء قدير .

فصل : في نفس الصلاة .

أقول : يكفي في معرفة أنّ المقصود من الصلاة حقيقتها لا صورتها المجردة عن الحقيقة ، الآيات والأخبار .

ومن الاولى قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ ، فإنّ التعبير بالإقامة ما يلائم لحقيقة الصلاة ، والتقيد بقوله : لذكري صريح في ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، حتّى تعلموا ما تقولون ﴾ والعلة لا تلائم بالصورة الخالية عن الحقيقة .

ومنها قوله : ﴿ إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فإنّ النهي لا يوجد إلّا في حقيقتها .

وأما الأخبار^(١) ، فمتواترة يكفي منها قوله (ع) : إنّ الصّلاة تمكّن ، وتواضع ، وتبأس ، وتندم ، وتقنع ، تمدّد يدك ، وتقول : اللهمّ فمن لم يفعل فهي خداج .

ومنها قوله (ص) : لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر فيها الرّجل قلبه مع بدنه .

(١) قد مرّت هذه الاخبار ، ولم نجد الرواية الاولى والثانية منها ، فيما بأيدينا من الكتب ، والرواية الثالثة قد مرّت ، والرابعة أيضاً مشهورة رواها في البحار بلا إسناد ، وما ذكره «قده» في معراج النبي صلى الله عليه وآله أيضاً مذكور في البحار وغيره في معراجه صلى الله عليه وآله ، وما ورد في صلوة الانبياء ، والائمة أيضاً قد مرّت الاشارة اليها ، مثل ما ورد في حق إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلوات والسلام ، وما ورد في النبي صلى الله عليه وآله ، وفاطمة عليها السلام ، وعليه السلام والحسن عليه السلام ، وعلي بن الحسين عليه السلام ، ومذكورة في البحار في كتاب الصلوة ، وكتاب وسائل الشيعة ، وغيره وكذا رواية ان للصلوة اربعة آلاف حدود ، او باب مروية عن المناقب وعلل الشرايع .

ايضاح : قوله صلى الله عليه وآله : في الرواية الاولى والا فهي الخداج الخ ، الخداج : النقصان يقال خدجت الناقة اذا ألقت ولدها قبل أوان الحمل وأخدجته اذا ولدته ناقص الخلق .

قوله (ص) : إذا صَلَّيت صلاة فريضة فصلّ في وقتها صلاة مودع ،
تخاف أن لا تعود فيها .

ومنها قولهم (ع) : الصّلاة معراج المؤمن .

لا سيّما مع ملاحظة ما ورد من تشريعها في معراج النبيّ (ص) ،
على ما روي من أنّ معراجهم كان بأجزاء الصلاة .

وما ورد في صلاة الأنبياء ، والأئمة (ع) من الأحوال السنيّة .

وما ورد فيما يقوله الله تعالى عند صلاة المؤمن كلّ جزء جزء من
أجزائها وأفعالها ، واذكارها .

وما ورد إنّ للصلاة أربعة آلاف حدود أو باب .

وما ورد أنّها عمادٌ للدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردّت ردّ
ما سواها .

وما وقع في السنة كتب الله ، وأنبيائه من اسمها ، وأسماء
أجزائها ، فإنّ ذلك أيضاً بحكم العرف ، واللّغة أدلّ دليل على أنّ المراد
منها ليس الصورة المحضة .

وقد أشرنا إلى لفظ الصلاة في أوّل الكتاب .

وأما أسماء أجزائها من التكبير ، والقراءة ، والذكر ، والركوع ،
والسجود ، والتشهُّد ، والسلام كلّها ، إنّما يطلق عرفاً ولغة على الصور
مع الحقائق ، ولا يطلق على الصورة المحضة ، فإنّ التكبير باللفظ إذا
خالف القلب لا سيّما إذا كان القلب ، والعمل مضادّاً للتكبير ، بأن
يسمّى تحقيراً أولى من تسميته بالتكبير ، وهكذا السجدة ، أصل معناها
التواضع ، ولا يقال لكلّ انحناء ، ووضع جبهة على الأرض أنّها سجدة ،
فإنّ الانحناء لوضع شيء على الأرض ، أو مسح جبهة على الأرض لغير
خضوع ، لا سيّما إذا كانت الغاية مضادةً لحقيقة التواضع ، لا تسمّى

سجدة ، وهكذا الركوع ، والتشهد ، والسلام ، وهكذا القراءة ، فإنَّ اجراء لفظ القرآن على اللسان ، لا يسمّى قراءة القرآن ، حتّى يكون بقصد القرآن ، وهكذا التسبيح والحمد .

وبالجملة وضع الأسماء إنّما هي للمعاني ، وإطلاقها على الصور مجاز بل قد يصير غلطاً في بعض صور الاطلاق وإذا تحقّق ذلك ، فالَّذي يفهم عن الاخبار ، أنّ حقيقتها إنّما تكمل بستّة معان :

الأوّل : حضور القلب ، والمراد به فراغ القلب عن غيرها ، وحضوره عند فعلها ، وقولها ، فيصدر عنه الفعل والقول مقروناً بالعلم ، فلا يكون الفكر جارياً في غيرها ، فيصدر عنه العمل مع الغفلة ، وإذا وقع صدورها كذلك فقد حصل الحضور .

والثاني : التفهّم ، والمراد منه أن يكون القلب حاضراً مع معاني الاعمال من الأقوال والأفعال ، وهذا أمرٌ زائد على الحضور ، لأنّه قد يتحقّق بحضوره عند الألفاظ ، وصور الأفعال مع الغفلة عن الحقائق ، والمعاني والتدبّر فيها .

الثالث : التعظيم لله العليّ العظيم ، ولعبادته .

الرابع : الهيبة ، وهي خوف ، ووجل ، من التعظيم ، والاخلاص .

الخامس : الرجاء إلى فضل الله ، وقبوله .

السادس : الحياء ^(١) وهو الثبّت عند كلّ شيء ينكره التوحيد والمعرفة ومستنده استشعار التقصير وتوهم الذنب .

وأما أسباب تحصيل هذه الصفات .

(١) - في الارشاد الديلمي .

اما الحضور فسيبه الهم ، فإن القلب تابع لله فإذا كان همك الصلاة فقلبك حاضر عندها ، وإذا كان غيرها فقلبك عند هذا الغير ، وهو غافل عن الصلاة ، لأنه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فقلبك مع همك ، فلا علاج لاحتضار القلب عند الصلاة ، إلا بصرف الهمة إليها ، والهمة عند مظنة الخير ، واعتقاد السعادة بالحضور عند الصلاة تابع للإيمان بحقيقة الصلاة وخيرتها فإن من اعتقد أن صلاته معراج ، يكون همه كله عندها لا يصرفه عنها شيء ، ومن كان همه عند الصلاة ، يكون قلبه حاضراً عندها ، غافلاً عن الأشياء بقدر همه فمن آمن بالله ورأى أن الله خير وأبقى وأن الصلاة معراج إلى الله ، وباشر إيمانه بذلك قلبه ، يكون قلبه همه عند صلاته ، ولا يمكنه الغفلة عنها .

وأما التفهم فهو ان يستوضح من كل فعل ، وقول ما يليق بهما من المقاصد ، والمعاني اذ الصلاة معجون الهي ركب فيه دواء كل داء ، وتأثيره استجلاب كل السعادات الممكنة للانسان الكامل ، وتحت كل حركة وسكون من فعل ، وقول منها معنى مقصود لجاعلها ، من مقدماتها واجزائها وشرائطها وتعقيباتها .

وقد ورد في الاخبار ان من لم يقصد من افعالها ما هو المقصود منه ، فكأنه لم يأت به .

اقول : سيأتي فيما بعد معاني كل جزء منها عند ذكر كل واحد منها ، حتى رفع اليد للتكبير ، والقيام على الرجل اليمنى واليسرى ، ونفس القيام وهكذا الى آخرها .

ثم ان الذي نذكرها في ذلك انما عرفنا مما تعرض به السلف من علماء الاسرار ، واكثرها استفدناها من الاخبار ، وبعضها الاقل من التفهم مع ما يشهد له من الاخبار ، ونعلم علماً قطعياً ان ما خفى علينا من ذلك اضعاف ما عرفنا منها .

ثمَّ انَّ الَّذِي اشرنا اليه من التفهّم لمطلق الاجزاء ، واما خصوص قراءتها ففي تفهّمها امور عظيمة خارجة من حيطة البيان ، وعلوم واسرار عظيمة تظهر في الجنان ، وقد روى عن امير المؤمنين (ع) انه ما اسر اليّ رسول الله (ص) شيئا كتمه عن الناس ، الا ان يؤتى الله عبداً فهماً في كتابه وبالجملّة للمصلي في تفهّم القراءة خيراً كثيراً ، قد ينجلي له ما يتفهّمه عند قراءته ، فيفور بذلك سعادة جليلة .

وقيل انّ كون الصّلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ايضاً من هذه الوجهة ، حيث انّ المصلي قد يفهم من قراءته في صلاته ، ما لم يخطر بباله قبل ذلك ، فيكون ما فهمه ناهية له عن الفحشاء ، وكيف كان فسبب التفهّم ، ادمان الفكر في معاني ما يفعل ، ويقول ، واحضار القلب عند معاني الافعال والاقوال .

وعلاجه ، علاج حضور القلب والجد في دفع الخواطر الشاغلة ، ولا يدفع الاّ بقطع موادّها ، وهي على قسمين :

الاول : ان تكون المادّة ضعيفة ، فيضعف اثرها ، فعلاجه باستعمال بعض المسكتات وهو ان يعدّ قبل الدّخول في الصّلاة عدته ، من الفكر في عظمة الصّلاة ، وخطر المحضر ، وكثرة الفوائد وعظمة السّعادات ، وقرب الرّبّ ، وتقليل الموانع الخارجيّة ، والتّحفّظ للقلب عن الاشتغال بغير الصّلاة ، وان يعتمد قبل كلّ عمل باخطار معناه الى قلبه ، ثمّ يشتغل به ، والعمدة ان يحفظ في جميع الحالات حضور الله (ص) ، وعلمه ونظره وجواباته وصنيعته به عند كلّ فعل وقول .

والثاني : ان تكون المادّة قويّة لا ينفع في دفع أثرها هذه المسكتات فلا حيلة ، ولا علاج الاّ من دفعها ، ولا ريب انّ اصل موادّ جميع الخواطر الشاغلة ومرجعها حبّ الدّنيا ، والشّغل بها ، اما سمعت قوله (ع) : من اصبح واكبر همّه الدّنيا ، الزم الله قلبه شغلا لافراغ له منه ابداً ، وهمّاً لا ينقطع عنه ابداً ، واملاً لا يبلغ منتهاه ابداً ، وفقراً لا ينال

غناه ابداً ، وإنه ليس من الله في شيء ، فمن تشبّت همومه في اودية الدّنيا ، يتكثر همومه في امور مختلفة ، ولا يزال في التزايد ، والانتقال من امر الى امر ، او امور حتّى يستغرق قلبه ، وجميع اوقاته في الشغل بها حتّى لا يكفيه يومه ، وليلته لشغلها ، بل لو اراد ان يصرف ذهنه منها بالفكر في امر الآخرة ، يجاذبه هموم الدّنيا الي جهات الافكار الدّنيوية المألوفة له ، ولو عاد الى قهره الى طرف الآخرة ، عادت الى جذبه الى الدّنيا ، حتّى يستمرّ فيها او يتم صلاته في الاشتغال بالتنازع ، والتجاذب ، فيفوته الحضور والتفهم فلا علاج لهذا المرض ، الا بالمسهل ، والاستفراغ ولا يفيد التّسكيت والتلطيف ، فلا مطمع لمحّب الدّنيا ، وزيتها في ان يصفو له حلاوة مناجاة الله ، ولذّة مخاطباته ، ولو بقهر نفسه على العبادات .

ففي^(١) حديث المعراج : لو صلّى العبد صلاة اهل السّماء والارض ، وصام صيام اهل السّماوات والارض ، وطوى من الطّعام مثل الملائكة ، ولبس لباس العاري ، ثم ارى في قلبه من حبّ الدّنيا ذرّة ، او سمعتها او رئاستها ، او صيتها ، او زيتتها . لا يجاورني في داري ، ولا نزعنّ من قلبه محبّتي ، ولا ظلمنّ قلبه ، حتّى ينساني ، ولا اذيقه حلاوة معرفتي ، والرواية قاضية بأنّ محبّ الدّنيا يكون قلبه مظلماً ، ناسياً لله ، ولا يكون فيه نور الذّكر ، فإنّ من كان فرحه بالدّنيا ، والدّنيا قرّة عينه ، لا يفرح بالله ، ويكون همّه مع قرّة عينه ، فتحصل من جميع ما ذكرنا ، انّ العلاج الكلّي لمن قوى في قلبه حبّ الدّنيا ، لقهر همّه الى الحضور ، والتفهم في الصّلاة ، لا يتمّ الا بالانقلاع عن محبة هذه الدّنيا الدّنيّة ، ومع ذلك في المجاهدة بتجديد ذكر الآخرة ، وخطر المناجات ، والوقوف بين يدي الله نفعاً ، وضراً ، وذكر هول المطّلع وتفريغ القلب ،

(١) رواه شيخنا البهائي ره في الكشكول عن الشهيد (ره) .

وتقليل الموانع الخارجية ، بغضّ البصر عن محلّ السجود ، والاجتناب عن الصّلاة في الاماكن التي يكثر شواغلها ، نفعاً كثيراً في بعض مراتب الحضور ، والتفهم ، واطّطار معنى كلّ فعل وقول ، قبل الاشتغال به ، مؤثّر في ذلك جدّاً ، مثلاً اذا اراد القراءة ، اخطر معنى بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ يقرأه ، ثمّ اخطر معنى الحمد لله ربّ العالمين ، ثمّ يقرّئه ، وهكذا آية آية الى آخرها ، وهكذا اذا اراد رفع يديه قبل الرّكوع ، يتذكّر لمعناه ، ثمّ يرفعهما ، ثمّ يتذكّر معنى الرّكوع ، ثمّ يركع ، وهكذا الى آخر الصّلاة .

فان قلت : انّ قضيّة هذه الآيات ، والاخبار ، وما ذكرته من نفي الاسم عن الصّور الخالية من الحقائق ، بطلان صلاة جمهور اهل الاسلام ، بل التدقيق فيما ذكرته ، يقتضي بطلان صلاة من غفل عن حقيقة جزء واحد من اجزائها ، ولو اتى غيره مع حضور ، وتفهم ، وتعظيم ، وهيبة ، ورجاء ، وحياء ، لأنّ ذلك حكم المركب لا يمكن ذلك لاحد في جميع الصّلاة الا المعصومين (ع) .

قلت : التّحقيق بحكم المركب ، وبحكم وضع الاسماء ذلك ، ولكن الّذي يفهم من الجمع بين الاخبار ، انّ الامر ليس بهذه الصعوبة ، لأنّ الله تعالى قد جعل في الصّلاة الشّاملة في أولها بالنيّة والحضور اثراً مخصوصاً لها وهو كونها مسقطاً للقضاء ، والفقهاء انّما يطلقون الصّحة بهذا المعنى ، واما القبول وسائر الآثار ، فهي موقوفة على الّتي لا يكون خالية كلّها عن جميع مراتب الحضور ، بل يجب لها ان لا يكون شيء من اجزائها خالياً من الحضور ، الاّ انّ الحضور ايضاً له مراتب ، والّذي خلا عن جميع مراتبه ، فهو المردود على صاحبه ، ولكن ذلك ايضاً قليل لأنّ الحركات الاختيارية للانسان ، لا بدّ ان يوجد فيها درجة من حضور قلبه معها ، ولو اجمالاً والاّ لم يكن اختيارية ، وحركات الانسان ينقسم الى اقسام ، قسم منها خلو من جميع مراتب القصد وحضور القلب ،

كحركات النَّائم ، وقسم يكون فيها قصد ما ، ولكن لا ينطبق القصد مع المقصود ، كبعض اقسام حركات السَّاهي ، وقسم يكون فيه هذا القصد منطبقاً مع المقصود ، ولكن اجمالاً في باطن القلب ، ويكون اثره بمجرد ادخالها في الاراديات ، وقسم يكون قصدها تفصيلاً ولكن بالنسبة الى الصور ، واجمالياً بالنسبة الى المعاني ، وقسم يكون القصد فيها تفصيلاً بالنسبة الى الصُّور والمعاني ، ويكون القلب بكله حاضراً عندهما ، وهذا هو التَّامُّ الكامل ، لا سيَّما اذا حضر المصلِّي بكُلِّه وشراشر وجوده بين يدي الله ، مع اجلال وهيبة ، ورجاء وحياء ، والذي يفهم من الاخبار أنَّ القسم الَّذي فيه قصد اجمالاً منطبق مع المقصود اذا زيد عليها اقبال ، وقصد على حقيقة الاجزاء ومعانيها بقدر عشر الصَّلَاة لا تترك هذه الصَّلَاة ، بل يرفع منها بقدر ما اقبل فيها ، ويكون بحكم الصُّورة ايضاً مسقطاً للقضاء ، فان جبر كسرهما بالنوافل ، فالمرجَّوان يقبل كلها ، وان نقص ما اقبل فيها من الاجزاء عن العشر ، تلف ويضرب بها وجه صاحبها ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الاخبار من حيث حكم نفس الصَّلَاة حكماً عاماً لا يتخلف غالباً ، وذلك لا ينافي ان يشمل فضل الله عبداً من جهة اخرى ، فيقبل منه غير هذا القسم ايضاً ، كما ورد جزاء لبعض الاعمال المستحبة ، او يصير عبد بسبب منه مستحقاً للخذلان ، فيرد من صلاته ما كانت واحدة للاقبال والحضور التفصيليَّ التَّام ، كما يدلُّ عليه عموم قوله تعالى :

﴿وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباءً منثوراً﴾ والذي يدلُّ على ذلك من الاخبار ما فيه تصريح بان العمل اذا لم يكن مع الولاية لا تقبل ، ولو اجتهد فيه صاحبه اجتهداً ، ثم لا يذهب عليك أنَّ الَّذي دلَّ عليه الاخبار من رفع صلاة اقبل فيها العبد بقدر عشرها الى السَّماء ، يحتمل ان يكون من باب الفضل الكلِّي الَّذي دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلاً﴾ فان كان من هذا

الباب يحتمل قويا ان يكون هذا القسم مقبولا كله ، من غير حاجة الى الجبر بالنوافل ، فيكون الجبر جارياً في غير هذا القسم الفاقد لقصد الحقائق إلا عند النية اجمالاً ، ولا يبعد عن فضل الله ان يتقبلها بمجرد روح النية في اولها ، ثم ان عمدة خير الصلاة وفائدتها انما هو في التفهيم ، لانه سبب قريب للمعرفة ، والمعرفة كلها خير بل الخير كله في المعرفة ، كما ان الجهل كله شر بل الشر كله في الجهل ، ولم ذلك ان روح المصلي اذا توجه الى العالم الاعلى ، وتخلّى عن ذكر العالم الاسفل ، وفكره تجرّد بذلك عن بعض القيود ، وتأثر من العوالم العالية نوراً يتجلى به احيانا حقائق بعض الآيات القرآنية على قلبه ، فينتفع بهذا الكشف والتجلي انتفاعاً لا ينتفع نظيره بعبادة سنين ، وقد يكشف للعبد عند قراءة اسماء الله حقائق هذه الاسماء ، بحيث لا يثبت جسمه بتحمّل هذا الحال فيغشى عليه ، كما روى ذلك عن الصادق (ع) أنه لحقه في الصلاة حال فخر مغشياً عليه ، فلما افاق قيل له في ذلك ، قال ما زلت اردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

قال السيد السند في فلاح السائل : فقد روي ان مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) كان يتلو القرآن في صلاته ، فغشي عليه فلما افاق سئل ما الذي اوجب ما انتهي اليه حالك ، فقال : ما معناه ما زلت اكرر آيات القرآن ، حتى بلغت الى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن انزلها علي المكاشفة والعيان ، فلم يقم القوة البشرية لمكاشفة الجلالة الالهية ، ثم قال : واياك يا من لا تعرف حقيقة ذلك ان تستبعدا ويجعل الشيطان في تجوز الذي رويناه عندك شكاً ، بل كن به مصدقاً ، اما سمعت قول الله يقول : فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً ، وخرّ موسى صعقاً - انتهى كلامه قده .

وقد ينكشف له حقيقة الجنة عند قراءة آيها ، او حقيقة النار او

القيامة وغير ذلك ممّا في القرآن من الحقائق ، والاسرار ، هذا وسنشير الى بعض مراتب التفهّم عند ذكر اسرار القراءة .

وأما التعظيم فهو من احوال القلب المورثة للاستكانة والخشوع ، والانكسار لله جل جلاله ، مولّد من معرفة عظمة الله وجلاله بقدر ما يمكن من ذلك للبشر ، والعمدة في تأثير الحضور في الصّلاة ذلك ، بل العمدة في كمال جميع العبادات ، والايمان ذلك ، ومن معرفته حقارة النّفس ، وخسّتها ، فان العبد اذا عرف عظيم سلطان الله ، وسعة ملكه ، وجليل قدرته ، وعرف أنّ الممكن لا شيء محض ، وأنّه ليس له من نفسه مثقال ذرة من خير ، وأنّه لا يقدر على نفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشوراً انقهر عقله ولّبّه بالاستكانة ، واطهار الذلّ بالخشوع بين يديه ، واخبت قلبه عند عظيم جلاله ، وجليل سلطانه اخباتاً خارجاً عن الحدّ والوصف ، ويراقب حضوره ونظره ، وما يبدو له من الرّد والقبول مراقبة لا يشدّ عنها طرفة عين ، كيف لا يكون كذلك ، والذي يراه بعينه من عظيم سلطانه على خلق السّماوات والارضين ، وجليل قدرته على ذلك ، وعلى امساكها ورزقها وحفظها وتربيتها وما يسمعه من المخبر الصادق ، في خبر زينب العطارة بأنّ هذه الارض والبحار والجبال ، مع ما فيها بالنّسبة الى السّماء الدّنيا كحلقة في فلاة ، وهما مع ما فيهما بالنّسبة الى السّماء الثّانية كحلقة في فلاة ، وهي بالنّسبة الى ما فوقها كحلقة في فلاة ، وهكذا الى العرش ، وهذه كلّها بالنّسبة الى عالم المثل غير محدود النّسبة ، وهذه كلّها بالنّسبة الى عوالم المجرّدات حتّى ينتهي الى العقل الكلّي لا نسبة بينها محدودة ، والله تعالى خلق كلّها بكلمة واحدة ، بلا مؤنة ولا كلفة ، ولا يؤدّه حفظهما وان شاء اعدامها فبمجرد قطع نيف الوجود ، فسبحانه من عظيم ما اعظمه ، ومن جليل ما اجلّه ، ومن قدير ما أقدره ، وبالجملة اذا قدر العبد هذا الملك والسّلطان قدره بعقله ثمّ استشعر خطر جناياته ، وخطير مقام مناجاة هذا السّلطان العظيم ، يكون بعقله ونفسه وروحه ، وقلبه وبدنه

وشرار شر وجوده كلّه عيناً لمراقبته ، وسمعاً لاسماع كلامه ، ولساناً لاستغفار ذنوبه ، وعرض استكانته ، واعتذاراً من خطير جناياته ، ومن هذا الباب ما ورد من تغير الاحوال في الصّلاة من الانبياء ، والائمة (ع) مثل ما وري عن الخليل (ع) أنّه كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له ازيز كازيز المرجل ، وكذلك يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك ، وقال بعض ازواجه كان يحدّثنا ونحدّثه ، فاذا حضر وقت الصّلاة فكأنّه لم يعرفنا ، ولم نعرفه ، وكان امير المؤمنين (ع) اذا اخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله ، وكان اذا حضر وقت الصّلاة يتزلزل ويتلون ، وقيل له في ذلك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت الامانة التي عرضها الله على السّمّوات والارض والجبال فايين ان يحملنها واشفقن منها، وكانت فاطمة (ع) تنهج في الصّلاة من خيفة الله ، وكان الحسن (ع) اذا فرغ من وضوئه تغير لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال حقّ علي من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغيّر لونه .

وروى مثل ذلك عن السّجاد (ع) ، وأنّه (ع) اذا توضّأ اصفرّ لونه ، فيقول له اهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؛ فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ، قيل : ورأيتّه يصليّ فسقط عن منكبه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته ، فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك اتدري بين يدي من كنت ، انّ العبد ما يقبل منه صلاة الاّ ما اقبل فيها ، فقلت ، جعلت فداك هلكنّا ، قال : كلاّ انّ الله يتمّ ذلك بالنّوافل .

وعن الصّادق (ع) كان عليّ بن الحسين (ع) اذا قام الى الصّلاة كأنّه ساق شجرة ، لا يتحرّك منه الاّ ما حرّكته الرّيح ، وعنه كان عليّ بن الحسين (ع) اذا قام الى الصّلاة تغير لونه ، واذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً .

وعنه (ع) قال : لا يجتمع الرّغبة والرّهبة في قلب ، الا وجبت له الجنّة ، فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله ، فإنّه ليس من عبد مؤمن

يقبل بقلبه على الله في صلاته ، ودعائه ، ألا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين ، وأيد مع مودّتهم إياه بالجنة .

وأما الهيبة ، فهي أيضا يتولّد من معرفة صفات الجلال ، فمن عرف من القادر المتعال ، وعلم ما فعل من الاخذ والعقاب بالجاحدين والمعاندين ، من الامم الماضية ، وعلم ابتلاء الانبياء والاولياء بالمصائب الجليلة ، وتأثّرهم من خوفه بالبكاء والغشوة ، والتّضرّع والابتهاال ، والانابة والاستغفار ، وعرف درجة تقصيره وكثرة ذنوبه ، وقبح افعاله لا بدّ ان يتغيّر حاله عند الوقوف بين يديه ، ويأخذه رعدة الخائفين فيميتة الخوف ويذيبه الحياء .

وبالجملة كلّما ازداد العلم بالله ، ازدادت الحسنة ، فلو اقتضت حكمته هلاك الاولين والآخرين لم يمنع منه مانع ، حتّى الرّقة لأنّه منزّه عن التّأثّر والانفعال ، وبالجملة قد يتأثّر بعض الانبياء والاولياء عن التّعظيم والهيبة ، بحيث ينسى غير الله تعالى ، ويغفل عن جميع ما سواه ، حتّى عن بدنه ، ومن ذلك اخراج السّهم عن رجله (ع) في الصّلاة ، وعدم تأثّره منه ، ومن ذلك غشواته حتّى يظنّ له الموت .

وأما الرجاء فمنشأه معرفة فضل الله وكرمه ، ولطفه وانعامه ، وأنّه لم يخلق هذه الخليقة للانتفاع منهم ، بل خلقهم عناية بخلقهم ، ولا تنفعه طاعتهم ، ولا تضرّه معصيتهم ، ومعرفة عنايته الجميلة في الخليقة ، وطول اناته ، وكثرة علمه وصدقه في وعده بالجنة للمصلّين ، ومغفرته للذنوب بالندم وتبديله السيّئات باضعافها من الحسنات ، وما جعل لاوليائه من الشّفاعة ، وقوله في كتابه : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ولكن يجب على العبد الجّد في الاستخلاص من الغرور في ذلك ، فإنّ النّفس والهوى قد تغرّ الانسان ، ويدلس عليه عدم المبالاة بالدين بالرجاء ، فلا بدّ عند احتمال ذلك من الاستكشاف بملائم الامرين ، ومن آيات الرّجاء الطّلب ، كما انّ من شواهد عدم المبالاة

الكسل عن الطلب .

وأما الحياء فبمعرفة جلال الله وجماله ، ومقام عفوه وكريم صنايعه وسبوغ نعمه وعدم رضاه لعبده بنعمة دون أخرى ، وعدم غفلته عن مراقبة أحواله مع معرفة قبائح أعمال نفسه ، وسوء معاملته مع هذا الربّ الودود بالشقاق والنفاق في حضوره ، مع علمه بذلك ، وإذا اجتمع للعبد هذه المعارف ، وثبتت عندما تنكره معرفته ، فهو الحياء ومن تخطى خطوة في ساحة هيبة الله بالحياء ، فهو خير له من عبادة سبعين سنة .

والحياء خمسة أنواع : حياء ذنب ، وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حبّ وحياء هيبة ، ولكل واحد منها اهل ، ولاهله مرتبة على حدة ، اقول : هذه الصفات والأحوال لا ريب في أنها فرع هذه المعارف كما نراه بالوجدان في معاملاتنا مع امثالنا فإن انسانا اذا عرف من شخص سلطنة وقدرة مثل ذرة من سلطنة الله جلّ سلطانه ، يعظمه ويراقبه ، ويهابه فان عرف منه مع ذلك كونه منعما عليه مثل ذرة من نعم الله تعالى ، يفديه بنفسه واهله وماله ، ولا يغفل عن خدمته والقيام بوظائف عبوديته في آن من الآنات ، واذا زاد على هاتين المعرفتين استشعار تقصيراته ، ومخالفاته مع هذا السلطان المنعم حين انعامه وافضاله في حضوره ، لمات من الحياء والخيال .

وأما ضعف تأثرات العامة بالنسبة الى الله جل جلاله مع اعتقادهم وايمانهم بعظمته التي تصغر عندها كلّ عظمة وعظيم ، وبنعمه التي لا تحصى ، وهذه الذنوب والكبائر من المعاصي من انفسهم .

فوجهه أولاً ضعف الإيمان بالغيب عن الشهود والعيان ، فإن سلاطين الدنيا ومنعميها عندهم شهود ، وسلطنتهم ونعمهم محسوسة ، ومشهودة ، وأما الله جلّ جلاله ، وعظم برهانه عندهم غيب يعتقدون وجوده ، ويعترفون بعظمته ونعمه بالأدلة العقلية ، فالاعتقاد بالغيب ضعيف

بالنسبة ، إلى رؤية العيان ، ولذا لا يؤثر هذه المعارف في حقّه التعظيم والهيبة والحياء ، مثل ما تؤثر في معاملات عظماء الدنيا ومنعميها .

وثانياً : أنّ الأمر في عظمة الله ونعمه ، من الجلالة بمكان لا يمكن لأحد أداء حقّها ، ولا شيء من أجزاء حقوقها ، وإذا عرفوا من أنفسهم القصور بهذه المرتبة فأهملوها كلّها .

وثالثاً : يتخيّلون أنّ منافع خدمة سلاطين الدنيا نقد ، ونفع عبادة الله تعالى نسية في العالم الآخرة التي أعتقدوا وجودها خلافاً لحسّهم بالادلة العقلية .

وهذه الوجوه التي منشأها كلّاً غرور وجهل ، إنّما سارت أسباب مسامحة العامة ، وتفريطهم في طاعة الله والعياذ بالله من يوم يصير فيه الغيب عياناً ، فينادون واحسرتاه على ما فرطنا في جنب الله .

وهذه الأمور الستة إنّما روح الصلوة بها ، وكمالها بكمالها ، والعمدة فيها التعظيم ، وهو من لوازم الإيمان فمن كمل إيمانه وباشر قلبه ، ولم يمنع عن تأثيره محبة الدنيا ، والإستهتار بذكرها ، وفكرها وشغلها ، لا بد أن يكمل صلاته من أولها إلى آخرها بجميع أجزائها على هذا التفصيل .

أمّا تكبيرها ففيه مطالب :

الأول في رفع اليدين وفيه أمور :

الأول : في كفيّته ، وهو أن يبدأ به بأول التكبير ، ويكون آخره أيضاً مطابقاً لآخره ، حتّى يكون تمام الرفع بتمام التكبير ، وأن يجعل في الرفع باطن كفيّه إلى القبلة .

والثاني : في مقداره ، والاولى في ذلك أن يصل أصابعه إلى شحمة أذنه .

والثالث : فيما يقصد به ، وهو التبرّي من الاشراك ، ومما يقوله المشركون ، وثمرته أن يبرء الى الله من آثامه وذنوبه ، ومن عذاب جهنم ونيرانها كذا ورد في تفسير الإمام (ع) .

والثاني في نفس التكبير ، وفيه أيضاً مطالب .

الأوّل أنّ الواجب منه تكبيرة الإحرام ، ويستحبّ بعدها على الاقوى ستّ تكبيرات .

والثاني في الدُعاء المأثور عندها وهو أن يقول بعد الثالثة أَللّهُمَّ أنت الملك الحقّ ، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّني عملت سوء ، وظلمت نفسي فأغفر لي ، فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت .

وبعد الخامسة : لبّيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، سبحانك منك عبدك وابن عبدك ، وبك ولك وإليك ، ولا ملجأ ولا منجأ منك إلاّ إليك ، سبحانك وحنانك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك ربّ البيت الحرام ، ويقول بعد السادسة ، يا محسن قد أتاك المسيء ، أنت المحسن ونحن المسيئون ، فتجاوز يا ربّ عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك .

ويقول بعد السابعة ، وجّهت وجهي للذي فطر السّماوات والأرض ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، على ملّة إبراهيم ودين محمّد (ص) ، وهدى أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أنّ صلاتي ونسكي ومحياي ، ومماتي لله ربّ العالمين ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين .

ثمّ يستحبّ أن يكبّر بعدد تكبيرات الصّلوات ليكون عند نسيانه بدلاً عنه .

والثالث أن يكون في تكبيره ، ودعواته قاصداً حقيقها ، وصادقاً في ذلك .

وقد روى عن الصادق عليه السلام قال إذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى ، دون كبريائه ، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد ، وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : يا كاذب اتخدعني ، وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكرى ، ولأحجبك عن قربى ، والمسرة بمناجاتي ، فأعتبر أنت قلبك حين صلاتك ، فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها ، وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ، وملتئداً بمخاطباته ، فأعلم أنه قد صدقك في تكبيرك ، وإلا فقد عرفت من سلب لذة للمناجات ، وحرمان حلاوة العبادة ، أنه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه .

أقول : هذا كاف في التنبيه على لزوم التحقق بحقيقة التكبير وآية تصديقه ، وإن شئت ان تعرف حقيقته فارجع الى عرفك والى نفسك فانظر اذا تريد انت من تكبير ولدك وخدمك لك ، وأعلم أن كل كبير وعظيم تقدر أن يتخيله أعظم وأكبر من كل شيء فهو أيضاً صغير حقير في جنب كبريائه ، فيجب بحكم العقل أن يكون تكبيرك لربك بقدر قدرتك ، وإستطاعتك وببذل كل مجهودك ، ثم تعترف بقصورك ، لأن حق تكبيره خارج عن قدرتك هذا .

والاولى أن يقصد به أنه تعالى أكبر من أن يوصف ، هذا في التكبير .

وأما الدعاء الأول ، فيجب بحكم الصدق أن يعامل العبد مع الله تعالى معاملة من يقول بأن الله تعالى هو الملك الحق ، اي المالك بالاستحقاق لجميع العوالم ، وجميع العالمين ولا ينقص ذلك بأن يتصرف في ملكه تعالى بغير رضاه ، وبأن لا يرضى لان يفعل الله في ملكه ما يشاء وإذا استشعر من نفسه قصوراً في القيام بمقتضى ذلك فيستغفره .

وأما الدّعاء الثاني ، فليحضر نفسه ، وحقيقته وقلبه وقالبه وكلّه
لاجابة دعوة الرّبّ بالقيام بوظائف هذا المحضر الجليل ، ويعلم أنّه قريب
يجيب ندائه ويسمع دعائه وأنّ بيده الخيرات والسّعادات كلّها ، ولا يرى
الخير في يد غيره ، ولا يتوقّعه من غيره ، وإنّ ينزّهه من الظّلم والشرّ ،
ويعتقد أنّ الظّلم منه على نفسه ، والشرّ من جهته ، ثمّ يستدرك ذلك بأنّ
وجوده وبدئه ومعاده ، وقوامه منه ، وبه وإليه وأنّ البشّر وإن كان منّي ،
لكن خالقه أيضاً هو الله ، ولا ضارّ ولا نافع في الوجود إلّا الله ولا ملجأ
ولا منجى إلّا إليه ، ثمّ ليعلم أنّ من كان مؤمناً بأنّ الخير كلّّه بيده الله ، لا
يرغب إلى أحد إلّا الله ومن كان مؤمناً بأنّ لا ضارّ إلّا الله لا يرهّب أحداً
غير الله ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله ، والحمد لله .

وأما القيام فحقيقة القيام هو المثل بين يدي الله لاداء حقّ العبوديّة
واستجلاب خيرات الرّبوبيّة ، والاستيناس به جلّ جلاله ، والالتذاذ
بمخاطباته في كلامه ، وبمناجاته في دعائه ، والعلاج لطول مقام يوم
القيامة ، ودفع هول المّطلع ويستشعر بالوقوف على الرّجلين الوقوف في
مقام الخوف والرّجاء ، وباطراق الرأس على إلزام القلب التذلّ والتّواضع
والتبّري عن التّراّس والرّياسة ، والتكبر ، وليعلم أنّ له مقاماً بين يدي الله
يوم القيامة ، وخطره إنّما يناسخ بكمال هذا القيام ، فليجد كلّ جدّه في
تصحّيح قيامه في صلاته ، وليعلم أنّ سريره وضمائره مكشوفة عند ربّه ،
يعلم من سرايره ما لا يعلم هو ، فليراقب أن لا يخالف سريره رضا
ربّه ، فلا محالة يكون تواضعه في هذا المقام الخطير ، مثل تواضعه عند
انقيام في محضر سلطان من سلاطين الدّنيا ، كيف يراقب في مكالمته ،
ومشافهته أن لا يخالف رضاه ، ولا يسهو عن قصد معاني ما يخاطبه ،
وإشارات مخاطبات السّلطان ، ولا يكون الله جلّ جلاله ملك الملوك ،
جبار الجبابرة أهون عليه من بشر مثله .

وأما القراءة فيستحبّ قبلها الاستعاذة بالله السّميع العليم من

الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ، فهي الالتجاء إلى حفظ الله في دفع ما يضلّ من وساوسه ومكائده بالقلب ، والعمل واللسان ، فإنّه عدوّ للبشر مترصّد ليصرف قلبه عن الله ، وبدنه عن الطّاعة ، ولسانه عن الذّكر ، فإنّ الاستعاذة من ذلك كلّها باللسان أن يقرء لفظ الاستعاذة ، وبالجوارح أن يتحوّل عن محابه ، وطاعته إلى مرضي الله جلّ جلاله ، وطاعته ، وبالقلب أن يصرفه في الاشتغال بالله ، وبلذّة مناجاته .

وأما الاكتفاء بمجرد القول باللسان ، فلا فائدة فيه ، إلّا قليلاً بل قد يكون لغوا محضاً ، وقد يكون مضراً فإنّ التّحصن عن العدو بالحصن ، إنّما هو بالتحوّل إلى الحصن من محلّ إختطافه وميدانه ، وأما قول : أعوذ بهذا الحصن الحصين ، فلا فائدة فيه ، وحصن الله لا إله إلّا الله ، وحصن الله ولاية أولياء الله .

كما ورد في الأخبار : لا إله إلّا الله حصني ، وولاية عليّ حصني ، والمتحصّن بلا إله إلّا الله من لا معبود له سوى الله ، والمتحصّن بولاية أمير المؤمنين من يشيعه ، ويقتدي به في اطواره ، وأوصافه وأفعاله ، وأما من أتخذ إلهه هواه ، وشيع اعداء الله ، وأعداء أمير المؤمنين ، وتسنّن بسنّتهم ، فهو بأنّ يقال أنّه متحصّن بحصن الشَّيْطَانِ ، أولى من أن يقال متحصّن بحصن الله ، وبالجملّة المستعيذ بالاستعاذة الحقيقية في صلاته ، من أتى بمقدوره من الاوصاف السّنة التي ذكرناها في أوّل اسرار نفس الصّلاة ، وأقبل بكلّه على الصّلاة حتّى بلسانه ، بقول أعوذ بالله السّميع العليم من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ويلتجأ إلى سلطان الله جلّ جلاله من مكائد الخبيث ، برّدّه عن التّوجه إلى الله ، وإلى صلاته بما يوسوس في قلبه ، ويلقي في روعه من الخطرات الشّاغلة عن الله والصّلاة ، فحيث يعيذه الله فلا يجعل للشَّيْطَانِ عليه سلطاناً فيخنس الخبيث .

ثمّ إنّ للقراءة حقّاً خاصّاً من بين أجزاء الصّلاة في المراقبة ، لأنّ

القرآن أمر عظيم، وله شأن عند الله، فإنه شافع مشفع ماحل مصدق وقد اطلق الله عليه النور في مواضع، والنور إنما يساوق معنى الوجود وهو موجود شريف، حكيم ذو حياة، ونطق، وله في كل عالم صورة وجمال، ويتجلى يوم القيامة في أحسن صورة، يمرّ بالمسلمين، يقولون: هو منّا ويمرّ بالنبيين، فيقولون: هو منّا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين، فيقولون: هو منّا حتى ينتهي إلى ربّ العزة، عزّ وجلّ، فيشفع للقراء، حتى يبلغ كلّ منهم إلى منزلته التي هي به، وببالي أنّ في بعض الأخبار، أنّه يكون أبهى وأنور من كلّ من يمرّ عليه، حتى يمرّ برسول الله، فيكون مساوياً له هذا ولا تضع إلى من لا يقول أنّ للقرآن حقيقة غير اللفظ المسموع عن جبرائيل (ع)، وغير هذه النقوش التي بايدينا، قال النبيّ (ص): أنا أوّل وافد على العزيز الجبار، وكتابه وأهل بيته، وبالجمله أنّ للقرآن حقيقة، وروحاً وحياتاً، وهو تجلّي من تجليات الله جلّ جلاله الأوّلية، نعم له في عالم الألفاظ صورة لفظيّة، وفي عالم النقوش صورة نقشيّة، وكيف كان يلزم على العبد المراقب ان يراعي حرمة قرائته وأن يعرف عظّمته على حسب عظمة المتكلّم به، ويعلم أنّه لولا استتار نوره بصورة الحروف، والكلمات لما ثبت لتجليه عرش، ولا ثرى، ولتلاشت اجزاء العالم من عظمة سلطانه، وسبحات نوره، ولو لم يثبت الله كليمه ما اطاق كلامه، كما لم يطق الجبل مبادي تجليه، فصار دكاً، وخرّ موسى صعقاً، ويتدبر في قرائته، ويتخلّى عن موانع الفهم، فإنّ أكثر القارين منعهم عن فهم حقايق القرآن وعجائب احكامه، وبدايع اشاراته، ودقايق اسراره، حجب واستار سترها الشيطان على قلوبهم، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى الملكوت.

ومن جملة اسداله سدل وسواس القراءة فيوكّل إليه من أبنائه من يسرق كل همّه لإقامة حروفه، فيدخله بذلك في إضاعة حدوده، ويأمره

بالتكرار والتّرديد ليتحقّق عنده بحكمه استقامة الحروف ، وخروجها ، عن مخارجها ، فمن كان همّه مقصوراً على مخارج الحروف ، فاين له التفكّر في فهم معناه .

قل وأعظم ضحكة للشّيطان من أطاعه في مثل ذلك .

ومن جملة سدل التّقليد ، وهو أن يقلّد القاري من يخالف حقّاً من الآباء والأمّهات ، أو غيرهم ، ويتعصّب فيما قلّده ، فان بداله من حقايق القرآن ما ينافيه ، أو لمع له لامع من أنواره حمل عليه شيطان التّقليد ويقول له : أكفرت بعد الإيمان وخالفت مذهبك ؟ وهذا الّذي تخيّله إنّما هو من الوجوه الّتي هي من التأويل في بطن القرآن ، فيمنعه عن الوصول إلى الواقع ويؤكّد وسوسته بما سمعه من منع الأخبار عن التّفكير بالرّأي والمسكين جاهل بمعنى التفسير بالرّأي ، فيغتر من تلبّيس الخبيث ، فيضيع نور القرآن ، وبركته وهدايته بالتّقليد .

ومنها سدل الذّنوب ، فإنّ منها ما له تأثير خاصّ في صداء القلب ، وظلمته كالكبر ، وترك الأمر بالمعروف .

وبالجملة لكلّ ذنب ظلمة ، وصداء في القلب ينافي فهم حقايق القرآن ولبعضها أثر خاصّ في ذلك يظلم القلب ، فيعمي فلا يبصر بنور شمس القرآن أعيان حقايق المعقولات ، كما إذا أعمى بصر الظّاهر فلا يفيد نور الشمس في رؤية صور المحسوسات ، فاذا تخلّى العبد من موانع الفهم ، وخضع قلبه وفرغ عن الاشغال وقرء القرآن في موضع خال استنار بأنوار القرآن .

وفي مصباح الشريعة عن الصّادق (ع) ، من قرء القرآن ولم يخضع له ، ولم يرق قلبه ، ولم ينشئ حزناً ووجلاً في قلبه ، فقد إستهان لعظيم شأن الله . وخسر خسراناً مبيناً .

فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة اشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ،

وموضع خال فإذا خشع قلبه ، فرّ منه الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قرءت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ، فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة ، فلا يعترضه عارض فيحرّمه نور القرآن ، وفوايده وإذا أتخذ مجلساً خالياً ، وأعتزل عن الخلق بعد ان أتى بالخصلتين الأوليتين ، استأنس روحه وسره بالله ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام إختصاص لهم ينفون كراماته وبدائع إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب ، فحينئذ لا يختار على هذا الحال حالا ، ولا على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة ، لأنّ فيه المناجات مع الرّب ، بلا واسطة ، فأنظر كيف تقرأ كتاب ربك ، ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيّه ، وكيف تمثل حدوده ، فأنّه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ! ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فرتّله ترتيلاً ، وقف عند وعده ووعيده ، وفكّر في أمثاله ومواعظه ، واحذر من أن تقع من إقامتك حروفه في اضاعة حدوده إنتهى ، فقد أشار (ع) في هذه الكلمات باصول جميع مراتب القراءة باشارات لطيفة بديعة ، منها ما ذكرنا من التعظيم للكلام والمتكلم ، والتدبّر والتخلّي عن موانع الفهم ، والتفهم والتخصيص ، والتأثّر والترقي ، وقد عرفت بعض القول في التفهم وما قبله عند ذكر مراقبات نفس الصّلاة .

ونزيد ههنا على ما ذكرنا امثلة جزئية للتفكّر ، والتفهم ليكون دستوراً لمن أراد ذلك .

فنقول مستمداً من الله الهادي إذا قرئت مثلاً في سورة الواقعة ، ﴿ أفأريتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ فلك أن لا تقصر نظرك في آثار الماء بمجرد رفع العطش ، أو مثله من آثاره الواضحة ، بل تدبر وتفكّر في تكوّن الاشياء منه ، من النبات ، والجماد ، والحيوان فتفكّر في ماء واحد كيف يصير غذاء للحب ،

فيكون نباتاً ، ثم يصير غذاء للحيوان ، ثم يصير غذاء للإنسان ، ويكون له عظماً ، ولحمًا ودمًا ، وشعراً ومخاً ، ثم كيف يصير سمعاً ، وبصراً ، وغيرهما من القوى ، ثم انظر كيف يصير روحاً ، وحياةً ، وشعوراً ، وفكراً وعقلاً

ثم تفكر في حقيقة العقل ، وعظمته ، ثم تفكر في مراتب العقول ، ثم تفكر في مبدء الماء ، واقراء قوله تعالى : وانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ﴿ ثم تفكر ، في صفة الرحمة وتفكر في قيام الرحمة بالرحمن ، وتفطن من ذلك كله الى بعض وجوه قيوميته تعالى للعالم ، ثم اعطف النظر في اتحاد الرحمة مع المرحوم في الخارج ، وهكذا إلى ان تفوز إلى حظ وافر من اسرار الكون ، وإذا قرأت مثلاً : لا إله إلا هو الحي القيوم ، فتفكر في معنى القيوم واقسامه فترى أنه يطلق إلى وجوه من المعاني .

ومنها قيومية الاعمدة للسقوف .

ومنها قيومية الاجسام للاعراض ، ومنها قيومية النور للشعاع .

ومنها قيومية العلم لا لصور العلمية ، واعلم ان قيوميته تعالى اجل واعلى في معنى القيومية من جميع هذه الاقسام ، وبعض هذه اقرب من بعض إلى قيوميته بوجه من الوجوه .

ثم اقرء قوله تعالى : ﴿ ونحن اقرب إليه من جبل الوريد ﴾ ، فتفكر في اقسام القرب ، ثم تفكر في معيته تعالى للاشياء ، وتفكر في اقسام المعية فنزه قيوميته ، ومعيته ، من كل قيومية وقرب ومعية في غيره .

وإذا قرأت قوله تعالى : ﴿ وان من شيء إلا وعندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ فتفكر أولاً في معنى عند الله ، هل هو عبارة عن مكان مخصوص بعيد عن مكان الاشياء ، فتكون في المكان البعيد

الخارج من العالم ، مثلاً بعد السَّماء السَّابعة ، أو في باطن هذه العوالم ، وليس فيها بعد مكانيّ ، ثمّ تفكّر في الخزائن أهي نظير خزائن الدّنيا ، كخزائن المياه ، والذهب ، والفضّة مثلاً ، وليس كذلك ، بل كإختزان الثّمار في اصول الشّجر ، والشّجر في الحبّ ، أو كإختزان المعلومات في العلوم ، والمعقولات في عالم العقل ، ثمّ تفكّر في كيفيّة وجود كلّ شيء في هذه الخزائن ، أهي بصورة ما في هذه العوالم ، أم بغيرها ثمّ تفكّر في كيفيّة تنزيلها ، فاذا تفكّرت في أمثال هذه المطالب ، يرجى ان يفتح لك باب فيه من اصول العلم ، ما يفتح به ابواباً كثيرة من أسرار لكون .

ثمّ إذا تفكّرت في اسماء الله في القرآن ، مثل الربّ ، والرّحمن ، والرّحيم ، والقيّوم ، وغيرها ، ثمّ نظرت في آثارها في العالم ، فرأيت كلّ اجزاء العالم قائمة بها ، فانظر إلى ربوبيّته ، ورحمانيّته ، فهل ترى شيئاً في العالم خارجاً من حيّطتهما ؟ وإذا تأملت بدقيق التأمّل ، رأيت رحمانيّته في شراشر وجودك ، وفي جميع العالم ، وهكذا ربوبيّته ، فإنّ الرحمانيّة عبارة عن الرّحمة العامّة المساوقة للايجاد ، والابقاء ، والايجاد يعمّ كلّ شيء فكلّ شيء وجوده من رحمته ، وبقائه برحمته ، ففي الخارج ليس الا رحمته ، فالعالم من حيث الموجوديّة رحمته وإذا نسبت الايجاد الى الموجود ، قلت هو فعله ، وإذا نسبته إلى الموجد قلت مفعوله ، ففي الخارج شيء واحد وهي رحمته ، والتخصيص هو أن يقدران المقصود من خطابات القرآن هو فاذا قرء فيه امراً او نهياً قدرانه هو المأمور والمنهي ، وكذلك في الوعد والوعيد وغيرهما فان القرآن انما نزل لهداية جميع الامة ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وهذا بصائر للناس وهدى ورحمة للمتقين ، فاذا نزل كذلك فليقدر كلّ قادر أنّه المقصود .

وَأَمَّا التَّأَثُّرُ ، فهو ان يتأثر حاله باختلاف الآيات ، بحسب ما يقرء منها عند قرائتها .

فإذا قرء آيات العذاب يحزن ، ويخاف منها ويبكي .

وإذا قرء آيات الرَّحْمَةِ يستبشر منها .

وبالجملة يتلَوْنَ عند الآية المقروءة .

فيتضائل عند قراءة قوله : خذوه فغلوه ، ثمَّ الجحيم صلّوه ﴿ من خيفته كأنه يكاد يموت ، ويستبشر عند قراءة ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ كأنه يكاد يطير من فرحه ، ويتطأطأ عند قراءة اسماء الله وصفاته ، لا سيّما الجلالية منها ، مثل شديد العقاب خضوعاً لجلال أسمائه جلّ جلاله ، ويغضّ صوته ، ويظهر الانكسار عند ذكر الكافرين بعض ما يستحيل على الله ، مثل ذكر الولد ، والصّاحبة ، والشريك له جلّ جلاله ، كأنه يكاد ان يموت من خطر هذه النسبة .

ويظهر الشّوق فالانبساط عند ذكر الجنّة ووصافها والخوف والانقباض عند ذكر النار ، وانواع عذابها .

ويظهر الملق عند ذكر أهل القرب والزلفى كأنه يكاد يطمع ، ويؤمل ان يمنّ بذلك عليه ، والاستغفار عند ذكر المعاصي ، كأنه يخاف أن يكون قد عمل بها ، وهكذا .

والاولى أن يناجي ربّه بمقتضى هذه الاحوال ، عند قراءة هذه الايات بلسانه ايضاً ، لأنّ الذّكر باللسان يؤكّد ما في الجنان .

والمقصود الاصيل من قراءة القرآن ، استجلاب هذه الاحوال الى القلب والنفس والروح ، وإلا فمن قرئه باللسان ، ولم يرق قلبه من هذه الاحوال ولم يؤثر في جوارحه بالاعمال ، وقد سمعت في كلام الصّادق (ع) ، أنّه ممّن استهان لعظم شأن الله ، ولعلّه يدخل في المراد من قوله

تعالى ﴿ ومن اعرض عن ذكرى ، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ فليكن اللسان عند قراءة القرآن واعظاً والعقل مترجماً ، والقلب وسائر الجوارح متّعظاً .

وقد حكى تأثرات عجيبة عن بعض القارين من التوبة ، والغشوة ، والهلاك ، وقد يورث التأثير مثلاً من خوف جهنم ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان وهكذا من الاستبشار بالجنة ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان فيكون من الموقنين بالثواب والعقاب وهكذا والتبري عبارة عن التبري وعن حوله وقوته ، وعن النظر إلى نفسه بعين الرضا ، وإلى عمله بالاعجاب ، فعند قراءة ما فيه ذكر الصالحين والمقربين يقدر نفسه منهم ، بل يؤمل ان يكون منهم بعد من الله وفضله ، ويشتاق إلى لقاءهم .

وإذ تلى آية فيها ذمّ ومقت لعاص ، شهد نفسه هنالك ، وقدّر وقوع المقت به .

وهذا ما اشار إليه أمير المؤمنين (ع) عند وصفه للمتقين وإذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنم في آذانهم وإذا كان حاله ذلك ورأى نفسه مقصّراً في جميع الاحوال ، صارت هذه الرؤية سبباً لقربه من رضا ربّه ، فمن شهد البعد في القرب لطف له بالخوف ، حتّى يسوقه إلى درجة اخر من القرب ، ومن شهد القرب في البعد ، مكر به بالامن حتّى يفضيه إلى درجة اخرى في البعد ، والترقي عبارة من أن يترقى في قرائته إلى حال يسمع الكلام من الآيات عالى ، كما سمعته في قراءة الصادق (ع) حيث قال : حتّى سمعتها المتكلّم بها ، فإنّ درجات القرائة مختلفة فأدناها ثلاث درجات ، ادنى الثلاثة ، ان يقدر القارىء كأنه واقف بين يدى الله جلّ جلاله ، يقرئه عليه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيؤثر ذلك فيه السؤال والملق والضراعة والابتهال ، وارفح من ذلك ان يشاهد بقلبه كأن الله يخاطبه ويناجيه بكلامه ، فيؤثر ذلك الاصغاء والفهم ، والتّعظيم والحياء ،

والهيبة والرّجاء ، واعلى من ذلك كلّ ان يرى في الكلام المتكلّم ، وفي الكلمات الصّفات ، فيشغله ذلك عن النظر إلى قرائته ، وإلى نفسه وبالجملة كلّ شيء سوى ربّه المتكلّم بالقرآن ، فيكون مقصوده الهمّ به ، حتّى عن انعامه واحسانه كأنّه مستغرق في مقام الشّهود ، وعن مثل ذلك اخبر الصادق حيث قال : والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون ، وغشى عليه عند تكرار القراءة في الصلاة ، وهذه الدّرجة إنّما يختص بها المقرّبين ، وما قبلها درجة اصحاب اليمين ، وغيرها لسائر النّاس من الغافلين ، واللّذة الكاملة إنّما هي في الدّرجة الاخيرة ، وصاحبها هو الذي لا يختار على هذا الحال حالا .

وحكى عن بعض الحكماء ، أنّه قال : كنت اقرء القرآن ، فلا أجد له حلاوة حتّى تلوته كآتي اسمعه من رسول الله (ص) ثمّ تلوته ثمّ تلوته كآتي اسمعه عن جبرائيل ، ثمّ قال الله عليّ بمنزلة اخرى ، فانا الآن اسمعه من المتكلّم به ، فعند ذلك وجدت لذّة ، ونعيماً لا اصبر عنه .

هذا والذي ذكرناه في التفكّر ، والتفهم المفصّل ، إنّما هو لا يتأتّى في قراءة الصلاة أمّا التفهم في قراءة الصلاة ولا بدّ أن تكون بحيث لا تخل بصورة الصلاة ، ثمّ أنّه لا بأس بان نشير اجمالاً إلى ما ورد في تفسير سورة الفاتحة ، وسورة القدر ، وسورة التّوحيد بمناسبة أنّها تقرأ غالباً في الصّلوات الخمس

فأقول مستعينا بيسم الله الرحمن الرحيم .

في الخبر عن الباقر لا تدعها ولو كان بعدها شعر .

وعنه من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبّهه على الشّكر والثناء ، ويمحق عنه وصمة تقصيره .

وورد أيضاً أنّ بعض الشيعة نسيه عند جلوسه بحضرة امير المؤمنين (ع) فوقع وشجّ رأسه ، فاخبره (ع) بأنّ ذلك من جهة تركه

للتسمية ، وورد غير ذلك ايضاً في اخبارنا ، وأخبار العامة .

وورد في اخبارنا بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تحت الباء تميز العابد عن المعبود ، وورد في الكتاب لا رطب ولا يابس إلا في كتاب ، روى عن أمير المؤمنين (ع) ان كل ما في القرآن في الفاتحة ، وكل ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم ، وكل ما فيه في الباء ، وكل ما في الباء في النقطة وان النقطة تحت الباء .

وورد الباء ، بهاء الله ، والسّين سناء الله .

روى في الكافي والتوحيد والمعاني عن العياشي ، عن أبي عبد الله (ع) الباء بهاء الله ، والسّين سناء الله ، والميم مجد الله .

والقمي عن الباقر (ع) ، والصّادق (ع) ، والرّضا (ع) باسانيد جملة منها معتمدة ، مثله ، ولكن بدل مجد الله ملك الله .

وراه كذلك في التّوحيد ثانيا .

وروى في التوحيد باسناده عن الرّضا (ع) ، ان أوّل ما خلق الله ليعرّف خلقه الكتابة ، حروف المعجم ، إلى ان قال : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين (ع) في ا ب ت ث ، أنّه قال : الالف آلاء الله والباء بهجة الله ، إلى ان قال : س ش ، فالسّين سناء الله ، إلى ان قال : م ن الميم ملك الله يوم الدّين الحديث .

وروى فيه أيضا عن الكاظم (ع) رواية ، في تفسير الميم بملك الله

ورواية عن علي (ع) في تفسير ابجد ، واخرى عن الباقر (ع) في تفسير الصّمد ، ان الميم دليل على ملكه .

وروى في حروف لفظ الجلالة ، الالف الاء الله ، وفي بعضها تقييد الالاء بنعمة الولاية ، واللام الزام الله الخلق بالولاية ، والهاء هو ان المخالفين لمحمد وآل محمد (ص) ، وفي بعضها هول جهنّم ، وفي

بعضها الهاوية ، فالمراد منها واحد كما هو ظاهر .

أقول : روى عن الطبرسي ، عن تفسير الثعلبي بإسناده إلى مولانا أبي الحسن الرضا (ع) .

أنه قال في الالف ستّ صفات من صفات الله ، الابتداء ، فإن الله ابتداء جميع الخلق ، والالف ابتداء جميع الحروف ، والاستواء فهو عادل غير جائر ، والالف مستوفي ذاته ، والانفراد ، وهو فرد ، والالف فرد ، واتّصال الخلق بالله ، والله لا يتّصل بالخلق ، وكلّهم محتاجون إلى الله ، والله غني عنهم ، والالف كذلك لا يتّصل بالحروف ، والحروف متّصلة به ، وهو منقطع عن غيره ، والله بائن بجميع صفاته عن خلقه ، ومعناه من الالف ، وكان الله سبب الفة الخلق ، رواه في كنز الدقائق عنه أيضا مثله .

أقول : ويعرف من هذه الاخبار ، وغيرها ممّا روي في الابواب المختلفة أنّ عالم الحروف عالم في قبال العوالم كلّها وترتيبها أيضاً مطابق مع ترتيبها ، فالالف كأنّه يدل على واجب الوجود ، والباء على المخلوق الأوّل ، وهو العقل الأوّل ، والنور الأوّل ، وهو بعينه نور نبينا (ص) ، ولذا عبّر عنه بهاء الله ، لأنّ البهاء بمعنى الحسن والجمال ، والمخلوق الأوّل إنّما هو ظهور جمال الحقّ ، بل التدقيق في معنى البهاء ، أنّه عبارة عن النور مع هيئة ووقار ، فهو المساوق المجامع للجمال والجلال ، والمرتبة الثّانية ، مرتبة السّين المفسّر بسناء الله ، الّذي هو في اللّغة بمعنى ضوء البرق ، وبمعنى الرّفعة ، ودالّ على مرتبة النّفس الكلّية ، والثالث الميم المستديرة الحاكي عن دائرة الامكان ، المفسّر بالملك ، فالعوالم ثلاثة : عالم العقل ، وعالم النفس وعالم الملك والشّهادة ، وإن شئت قلت : الجبروت والملكوت ، والنّاسوت .

هذا ما ورد في حروف البسملة

وأما ما ورد في تفسير كلماته .

منها ما رواه في التّوحيد ، عن أمير المؤمنين ، (ع) ، أنّ رجلاً قام إليه ، فقال يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ما معناه ؟ فقال : أنّ قولك : : الله اعظم اسم من أسماء الله ، وهو الاسم الَّذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق ، فقال الرَّجل فما تفسير قوله : الله قال هو الَّذي يتأله إليه عند الحوائج والشّدائد ، كلّ مخلوق عند انقطاع الرَّجاء عمّا دونه ، ويقطع الأسباب من كلّ من سواه ، وما رواه فيه أيضاً عنه (ع) في حديث ، قال : معناه المعبود الَّذي يؤله فيه الخلق ، ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الابصار ، المحجوب عن الاوهام ، والخطرات ، ثمّ قال قال الباقر (ع) : معناه المعبود الَّذي اله الخلق عن درك ماهيّته ، والاحاطة بكيفيّته ويقول العرب : اله الرَّجل إذا تحيّر في الشّيء ، فلم يحط به علماً ، ووله إذا فزع إلى الشّيء ، كما يحذره ويخافه ، والاله هو المستور عن حواسّ الخلق .

وأما تفسير الرَّحْمَن الرَّحِيم ، ففي التّوحيد الرَّحْمَن الَّذي يرحم ببسط الرّزق علينا ، الرَّحِيم بنا في ادياننا ، ودياننا ، وآخرتنا ، خفّف علينا الدّين وجعله سهلاً خفيفاً ، وهو يرحمنا بتمييزنا عن اعدائه .

وفي رواية معتمدة : الرَّحْمَن بجميع خلقه ، والرّحيم بالمؤمنين خاصّة .

وفي التّوحيد ايضاً في حديث قلت له : الرَّحْمَن قال : بجميع العالم ، قلت : الرَّحْمَن ، قال : بالمؤمنين خاصّة .

وفي رواية أخرى تفسير الرَّحْمَن بالعاطف على خلقه بالرّزق ، لا يقطع عنهم موادّ رزقه ، وإن انقطعوا عن طاعته .

وعن المجمع عن عيسى بن مريم (ع) : الرَّحْمَن رحمن الدُّنيا ،

والرَّحِيمِ رَحِيمِ الْآخِرَةِ .

وفي بعض ادعيّة الصّحيفة السّجّاديّة ، يا رحمن الدُّنيا والآخره ،
ورحيمهما ، وعن الصّادق ، الرحمن إسم خاصّ لصفة عامّة ، والرَّحِيمِ
إسم عامّ لصفة خاصّة .

أقول : أصل الرّحمة العطوفة ، وقد يوجد في الرّحيم منا ثلاثة
أشياء : الرّقة ، والانكسار من ملاحظة حال المرحوم ، ثمّ العطف
والشفقة ، ثمّ ما يفعل به من ما يقتضيه حال العطف من الاحسان
والانعام ، ويشبه أن يكون الموضوع له اللفظ هو الثاني ، والاول من
مبادئه ، والثالث من نتائجه ، فعلى هذا لا نلتزم في إطلاقها على الله تجوّزاً
بإثبات الغاية كما ذكره ، لتخيّل دخول الرّقة في حقيقته ، فراراً عن
القول بآتصافه تعالى بها ، فليس إطلاق الرّحيم على الله مقصوراً على
إعتبار أخذ الغاية ، والغاء حقيقة الصّفة ، بل للرّحمة ، وكذا سائر افعال
الله مبادئ وجوديّة غنيّة عن التّحقيق ، هي حقيقة معاني الالفاظ ، فحقيقه
الرّحمة هو المعني الذي باعتباره يرحم الممكنات ، وهو حقيقة إسم
الرّحيم من أسمائه المخلوقة العينيّة ، كما ورد عن النبيّ (ص) ان الله
تعالى مائة رحمة ، أنزل منها واحدة إلى الأرض ، فقسمها بين خلقه ،
فبها يتعاطفون ، ويتراحمون ، وآخر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم
القيامة ، فإطلاق الرّحمن والرّحيم على الله تعالى باعتبار خلقه الرّحمة
الرحمانيّة والرّحيميّة باعتبار قيامها به ، قيام صدور ، لقيام حلول ،
فرحمته الرّحمانيّة افاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات ،
فايجاده رحمانيّته ، والموجودون رحمته ، ورحمته الرّحيميّة افاضة الهداية
والكمال لعباده المؤمنين في الدُّنيا ، ومنه بالجزاء والثّواب في الآخرة ،
فايجاده عامّ للبرّ والفاجر ، وهدايته مخصوصة للمؤمنين ، والرّحمن من
جهة دلالته على الرّحمة المطلقة العامّة لا يطلق على رحمة المخلوقين ،
فهو من خصائصه تعالى ، والرّحمة الرّحيميّة من جهة أخذ الخصوصية ،

والتقيّد فيها لا مانع من إطلاقه على ما بينهم من الرّحمة المقيدة ، فمن نظر إلى العالم من حيث قيامه بايجاد الحق تعالى ، فكأنّه نظر إلى رحمانيّته ، وكأنّه لم ير في الخارج إلّا الرّحمن ، ورحمته ، ومن نظر إليه باعتبار إيجاده فكأنّه لم ينظر إلى الرّحمن .

وبقى هنا وجه اطلاق الرّحمان ، و اضافته إلى الدُّنيا ، والرّحيم إلى الآخرة تارة ، وإطلاقهما و اضافتهما إلى الدُّنيا والآخرة في الدُّعاء ، بقوله (ع) : يا رحمان الدُّنيا والآخرة ورحيمهما ، أمّا الأوّل فللاشارة إلى الرحمة المطلقة الّتي لا يختص بها المؤمن ، والرّحمة الخاصّة الّتي يختصّ بها المؤمن بغلبة ظهور الاولى في الدُّنيا ، والثّانية في الآخرة ، أمّا الثّاني فللاشارة إلى وجودهما في الدّارين ، وعدم منع الكفّار من جميع وجوه الرّحمة الرّحيمة ، فإنّ دعوتهم إلى الايمان ، يبعث الأنبياء ، وانزال الكتب ايضاً حظّهم من الرّحمة الرحيمة ، فهم لسوء إختيارهم منعوها عن أنفسهم ، وضيعوها .

ثم أنّه يصح أن يدعي مدّع أنّ الرّحمة كلّها من الرّحمن الرّحيم ، لأنّ ما يتراءى في العالم من الرّحمة ، فهي ايضاً من اشعة رحمته ، وآثارها ، فنسبتها إليه تعالى اصدق من نسبتها إلى غيره ، ونسبتها للغير ، إنّما هو بنحو من التّأويل ، كنسبة نور المصباح إلى الزجاجاة بمجرد وساطتها في ايصال النور ، بل كنسبة الاشراق إلى ضوء الشّمس ، ونسبتها إلى الله كنسبة الاشراق إلى الشّمس .

ثمّ أنّه قد يستشكل الخبيث في قلب المؤمن ، بمنافاة وجود الآلام والاسقام ، والاحتياج والمكاره في العالم ، لا سيّما في المؤمن والولي مع كمال الرّحمة والقدرة ، فيجيبه المؤمن بأنّ هذا الشّرور والاسواء ، ليست إلّا للرّحمة بنتائج عواقبها الخيريّة ، ويرده الخبيث بالقدرة على ايصال الخيرات بغير توسط الآلام ، فيتحيّر المسكين عن جوابه ، والّذي يسنح ببالي في جوابه ، أنّ الوجه في تقدير الفيض كمّاً

وكيفاً ، كما يفهم من قوله تعالى : وما ننزله إلا بقدر معلوم ، إنما هو قضية تقييد مقتضيات سائر الصفات بصفة الحكمة ، فالحكيم لا يخلق ولا يعمل ، ولا يوجد ، ولا يرحم بما ينافية الحكمة .

ثم ان حظَّ العبد من صفة الرحمان ، ان لا يدع لذي فاقة فاقة إلا يسدها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلا ويقوم في تعهده ، ودفع فقره أمّا بماله او جاهه ، او السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره ، فان عجز عن ذلك كلّ فيعيّنه بالدعاء ، وإظهار الحزن من حاجته وضره رقة وعطفاً عليه ، كالسهم في الضرّ ، والحاجة وأمّا حظّه من رحمة الرحيمية ، أن يرحم عباد الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والارشاد بطريق اللطف ، لا العنف ، وأن ينظر إلى العاصين بعين الرحمة ، لا الازراء ، وأن يفرض كلّ معصيته من العاصين كأنها معصيته ويجتهد في ازالتها بقدر طاقته ووسعه ، فيصرف بذلك العصاة عن التعرّض لسخط الله ، او لبعده عن جواره والابتلاء بعقابه .

هذا ، والمهمّ ان يعرف الانسان في الخارج إسم الله الرحمن الرحيم ، ويتوجّه به إلى الله في الاستغاثة في أموره كلّها ، معرفة جزئية شخصية ، فإن لكلّ شيء جهتان : جهة من الله ، وهي جهة إسم الله الذي به أوجده الله ، وجهة نفسه ، وحق الاستعانة باسم الله أن يعرف الانسان هذه الجهة في الخارج فيتوجّه بها إلى الله ولا بأس للإشارة برد بعض ما حدث بين أهل العلم من الاشكال في قراءة بسملة السور من دون تعيين السورة ، وقرائتها بقصد سورة اخرى غير السورة المقرّوة ، بلحاظ أنّ البسملة في كلّ سورة آية منها ، غير البسملة في السورة الأخرى ، لما ثبت أنّها نزلت في أول كلّ سورة إلا سورة براءة ، فتعيين قرآنية هذه الالفاظ ، إنما هو بقصد حكاية ما قرئه جبرائيل (ع) على رسول الله ، وإلا فلا حقيقة لها غير ذلك ، وعلى ذلك يلزم في قرآنية الآيات ان يقصد منها ما قرئه جبرائيل (ع) ، وما قرء جبرائيل (ع) في

الفاتحة حقيقة بسملة الفاتحة ، وهكذا بسملة كل سورة لا يكون آية منها إلا بقصد بسملة هذه السورة ، فإذا لم يقصد التّعين ، فلا يكون آية من هذه السورة ، بل ولا يكون قرآناً ، والجواب عن ذلك كَلَهُ أَنَّ للقرآن كَلَهُ حقائق في العوالم ، ولها تأثيرات مخصوصة ، وليست حقيقتها ، مجرد مقرويتها من جبرائيل (ع) ، بل المقروية لجبريل لا ربط لها في الماهية ، والبسملة ايضاً آية واحدة ، نزلت في أول كل سورة ، فلا يختلف بنزولها مع كل سورة حقيقتها ، وليست بسملة الحمد مثلاً إلا بسملة الاخلاص ، ولا يلزم ان يقصد في كل سورة خصوص بسملتها بمجرد نزولها مرّات ، وإلا يجب ان يقصد في الفاتحة ايضاً تعين ما نزل أولاً ، أو ثانياً ، لأنها ايضاً نزلت مرّتين ، فلا ضير أن لا يقصد بالبسملة خصوصية السورة ، بل لا يضرّ قصد سورة ، وقراءة البسملة بهذا القصد ، ثم قراءة سورة اخرى وليس هذا الاختلاف إلا كاختلاف القصد الخارج عن تعيين الماهيات مثلاً إذا فرضنا أنّ الصلاة في المسجد افضل ، وغفل المصلّي عند الصلوة عن كون الصلاة في المسجد ، بل اشتبه عليه الامر وفرض نفسه في غير المسجد وصلّى هذا لا يضرّه في صلاته ، وفي كون صلاته في المسجد ، نعم لا يستحقّ ثواب قصد الصلاة في المسجد ، بل الذي دلّ عليه بعض الاخبار ، أنّ الامر في النية اوسع ممّا ذكرنا ، مثل ما ورد في احتساب صوم من غفل عن دخول شهر رمضان ، بنية غير صوم شهر رمضان ، عن شهر رمضان ، هذا .

ولنذكر الآن ما أخرنا ذكره من القول في تفسير الاسم .

اقول : تفسير الاسم في الأخبار بالسمة بمعنى العلامة معروف ، والاخبار في حدوث اسماء الله تعالى متواترة وفي اثبات الاسماء العينية له تعالى كثيرة ، وفي كونهم (ع) اسماء الله الحسنى مستفيضة ، ويفهم منها ان جميع افعال الله في العالم من الابداع والخلق والرّزق والحفظ وغيرها أنّما هي قضية اسمائه ، وان الله تعالى إنّما جعل بعض مخلوقاته واسطة

لخلق بعضها الآخر وسَمَّاه اسماً لنفسه كما في مضامين بعض الادعية ، استلک باسمک الَّذي خلقت به البحر ، وباسمک الَّذي خلقت به الجبال ، وهكذا ، وأنَّ لاسمائه تعالى مراتب بعضها فوق بعض ، فيكون اعظم اسمائه مخلوقه الاول ، والواسطة بينه وبين الكلّ ، فينطبق بمعونة بعض الاخبار بحقيقة نور نبينا ، وآله المتّحدين معه في النورانية .

ولا بأس أن نذكر من تضاعيف هذه الجملة ما فيه كفاية لإثبات ما ذكر .

منها ما رواه في التّوحيد عن الرضا عليه السلام ، حين سئل عن تفسير البسملة ، قال معني قول القائل : بسم الله ، اي أَسْمُ على نفسي سمة من سماء الله ، وهي العبادة ، قال الرّاوي فقلت له : ما السّمة ؟ قال : العلامة .

أقول : المتحقّق بحقيقة التّسمية ، متحقّق بمقام العبوديّة ، الّتي كنهها الرّبوبيّة ، وهي علامة الرّبوبيّة ، ومظهرها لأنّ العبوديّة فناء ، وتبعيّة وقابليّة ، وسؤال والتّجاء ، واعتصام ، والرّبوبيّة كمال وجود ، واعطاء وإيجاد وامداد وتأثير ، والاوليّة مظاهر للاحرة فمن يسمّى نفسه بهذه السّمات ، أي بجهات الفقر والفناء ، فقد ناله بما يريد من تأثير الرّبوبيّة ، ومن يسمّى بسّمات نفسه ، أي رأى لنفسه قدرة وحولا وقوّة ، إحتجب بنفسه عن ربّه ، وذلك لأنّ كلّ ممكن موجود ، زوج تركيبّي له وجود وماهيّة ، أي لوجوده الخاصّ جهتان : جهة من ربّه ، وهو ايجاده له ، وجهة من نفسه وهو انانيّته وماهيّته ، وهذه الجهة فناء وعدم مع قطع النّظر عن جهة إيجاده تعالى له ، والفاعل عند فعله إذا التفت ان ليس له من جهة نفسه إلّا الفقر ، وأنّ الحول والقوّة كلّها من جهة إيجاد الرّب ، فهو متسم بنفسه بسمة من سّمات الله ، وهو فقره وفنائه ، وذلك علامة الله ، فكأنّه إذا رأى نفسه فقيراً فانياً ، بل فقراً وفناء ، توجّه في تحصيل مرامه من فعله ، إلى الله وإلى اسمائه .

ومنها ما رواه في الكافي ، والتوحيد ، عن أبي عبد الله (ع) ، قال : إنّ الله خلق اسماً بالحروف غير متصوّت ، وباللفظ غير منطوق ، وبالشخص غير مجسّد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامّة على أربعة اجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها ، وهو الاسم المكنون المخزون فهذه الاسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تعالى : وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء أربعة اركان ، فذلك اثني عشر ركناً ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها ، فهو الرحمن الرحيم ، الملك القدّوس الخالق ، البارئ المصور ، الحيّ القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخبير ، السميع البصير ، الحكيم العزيز ، الجبار المتكبر ، العليّ العظيم ، المقتر ، القادر ، السلام المؤمن المهيمن ، البارئ المنشئ ، البديع الرّافع ، الجليل الكريم ، الرّازق المحيي المميت ، الباعث الوارث ، فهذه الاسماء ، وما كان من الاسماء الحسنی ، حتّى تتمّ ثلثمائة وستين اسماً ، فهي نسبة لهذه الاسماء الثلاثة ، وهذه الاسماء الثلاثة اركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة ، وذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، ايّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنی .

أقول : يشبه أن يكون المراد من هذا الاسم العيني ، هو أول خلق الله النور المحمّدي ، وبجزئه المخزون المكنون ، جهته الإلهية ، وباجزائه الثلاثة الظاهرة ، عوالمه الثلاثة ، عالم روحه المجردة ، وعالم مثاله المقيد بالصورة ، وعالم جسمه المقيد بالمادة ، والصورة ، وباركانها الاربعة ، الاملاك الاربعة ، إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل الموكّلين بالحياة ، والموت ، والعلم ، والرّزق ، أو نفس الموت والحيات ، والعلم ، والرّزق ، وان يكون المراد من الثلث مائة ، والستين ، جملة الاسماء التي هي فعل منسوب إلى الاركان الاثني عشر

ما يفيضه الله تعالى بوساطة الاملاك الأربعة ، في العوالم الثلاثة من تفاضل آثار أفعالهم ، مثلاً كلما يوجد في عالم الارواح ، والمثال ، والاجسام من فعل الرزق ، فهو ما يفيضه باسم الرزق بوساطة ميكائيل ، وهكذا ما يوجد فيها من العلم ، والهداية ، فهو ما يفيضه بوساطة جبرائيل باسم العلم ، وهكذا جملة التأثيرات الواقعة في العوالم الثلاثة بإيجاد الله تعالى : بوساطة هؤلاء الاملاك الموكّلين بالاحياء ، والامانة والرزق ، والعلم ، وجمعها ثلثمائة وستين نوعاً من المؤثرات المسبّات العينية ، ويمكن أن يكون تحت كلّ واحد من هذه الانواع ، اصناف عديدة ، وافراد غير محصورة ، ويعد أيضاً من عالم الاسماء ، وبهذا اللّحاظ قيل : أنّ اسماء الله غير محصورة ، ولا بد أن يكون بعضها فوق بعض ، ومحيطاً ببعض ، وبعضها في عرض بعض ، والمحيط بالكلّ هو الواحد الاحد ، ولعلّه المراد بقول امير المؤمنين (ع) في خطبته : لكل شيء منها حافظ ورقيب ، وكلّ شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بما احاط منها ، الواحد ، الاحد ، الصّمد .

ومنها ما رواه في الكافي باسناده ، عن أبي عبد الله عليه السّلام ، في قول الله تعالى : والله الاسماء الحسنی ، فادعوه بها ، قال : نحن والله الاسماء الحسنی - اه .

ومنها ما رواه في الوافي ، قال : قال نبينا (ص) أوّل ما خلق الله نوري ، وفي رواية أخرى ، روحی .

وفي بعض دعوات شهر رمضان ، أنّه (ص) الحجاب الاقرب ، فيكون طرف الممكن ، وواسطة بين الواجب وسائر الممكنات ، متّصلة بحقيقته ، ومستمدّة منها ، وعلى هذا فمن قدران يخلي نفسه ، وفكره من جميع الاكدار ، وظلم المعاصي ، وانواع الخيالات ، والاوصاف الطّارية عليها ، وكشف عن وجه روحه هذه الاغشية ، وسائر الحجب ، يمكن له أن يعرف نورهم صلوات الله عليهم ، ويتّصل روحه بارواحهم

ويستمدّ من نورانيّتهم ، فيكون حينئذ من شيعتهم المقرّبين ، وأوليائهم السابقين ، رزقنا الله ذلك ، وجميع أوليائه المؤمنين ، ويحتمل أن يكون هذا هو المراد بمعرفة الاسم الاعظم ، فاذا عرفه وليّ من الاولياء معرفة شخصيّة ، وتوجّه به إلى الله في دعائه ، اجابه الله بالقبول ونيل المسؤول .

وأما قوله :

الحمد لله ، أي جنس الحمد ، أو جميع افراده ، ملك الله ، او مختصة به جلّ جلاله ، لأنّ الحمد هو الثناء في مقابل الجميل ، سواء كان من الفضائل ، ام الفواضل ، والحمد معترف بنعمة الله ، ومظهر شكره ورضاه ، من منّة الله عليه بلسانه ، ومن زاد على ذلك وأعتقد ان جميع النعم والخير والفضل من الله ، يزيد شكره ورضاه لا محالة ، ثمّ أنّ في ذكر لفظ الجلالة في مقام الحمد ، إشارة لعلّة اختصاص الحمد لله تعالى ، لأنّ معنى لفظ الجلالة إنّما يشير إلى الذات المستحقّ لجميع صفات الكمال .

ومنها غناه عن الكلّ في جميع الجهات ، واحتياج الكلّ اليه في جميع الجهات ، وهذا يقتضى استحقاقه باختصاص الحمد له ، فمن رأى الخير كلّّه من الله ، لا يطمع في احد غيره ، ويتخلّص من رعونات الرّياء ، والسّمعة ، بل النّفاق ، وغيرها من الاخلاق الرذيلة التي تنشأ من الرّغبة ، والرّهبة ، وبالجمله حال الحمد معرفة النّعمة والرّضا عن المنعم ، فمن لم يصدق قلبه حمده ، وكان قلبه غير راض ، وغير متشكّر ، فحمده باللسان من شعب النفاق .

« برزبان الحمد واكره ازدرون از زبان تليس باشد بافسون »

هذا حال مطلق الحمد ، فكيف اذا اعتقد أنّ جميع النعم الغير المحصورة من الله .

هذا ومن اللازم في المقام ، ان نذكر بعض ما ورد في البسمة ،
ليتم به المقصود .

في الكافي عن الباقر (ع) أوّل كلّ كتاب نزل من السّماء بسم الله
الرّحمن الرّحيم ، فاذا قرئتها فلا تبال ان لا تستعيذ ، واذا قرئتها ستربك
ما بين السّماء والارض .

وعن القميّ عن الصّادق (ع) ، أنّها حقّ ما يجهر به ، وهي الآية
التي قال الله عزّ وجلّ : ﴿واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ، ولو على
ادبارهم نفورا﴾ .

قيل : لعل الوجه في رجحان الاجهار به أن يكون موجباً لظهور
فيوضاته في العالم .

روى الشيخ في الصحيح ما هو صريح في كونها افضل آيات
الفاتحة

وفي رواية أنّه اعظم آية من كتاب الله .

وفي اخرى أنّه اكرم آية في كتاب الله .

وفي رواية أنّه اذا لم يجهر به الامام ، ركب الشيطان كتفه ،
ويكون هو اماماً للناس حتّى ينصرفوا .

وعن النيسابورى ، مرسلًا عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال : لمّا
نزلت بسم الله الرّحمن الرّحيم ، قال رسول الله (ص) أوّل ما نزلت هذه
الاية على آدم (ع) ، قال : امن ذريّتي من العذاب ما داموا على
قراءتها ، ثمّ رفعت فانزلت على ابراهيم (ع) فتلاها وهو في كفة
المنجنيق ، فجعل الله عليه النّار برداً وسلاماً ، ثمّ رفعت بعده فما انزلت
الآ على سليمان (ع) ، عندها قالت الملائكة تمّ والله ملكك ، ثمّ رفعت
فانزل الله تعالى عليّ ، ثمّ يأتى امتي يوم القيامة وهم يقولون : بسم الله

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت ، اقول : يستشعر من قوله (ع) : ثم رفعت ان انزالها ليس بمجرد قراءة الملك لفظها على الانبياء ، وإلا فلا معنى لرفعها ، فيمكن ان يكون انزالها ورفعها ، انزال حقيقتها وآثارها في العالم ، كما يشعر به ما ورد على ما بيالي ، أنه بعد ما انزل اهدنا الصراط المستقيم ، ارتفع التنصر واليهود من أمة محمد (ص) .

روى في الكافي والعلل بأسانيد معتبرة ، عن الصادق في ذكر صلاة ليلة المعراج بطوله : ثم ان الله عز وجل قال : يا محمد استقبل الحجر الاسود ، وكبرني بعدد حجي ، فمن اجل ذلك صار التكبير سبعة ، لأن الحجب سبعة ، وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب ، الى ان قال : فلما فرغ من التكبير والافتتاح ، قال الله : الان وصلت اليّ فسمّ باسمي ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم الحديث ، اقول : هذا الحديث بهذا الاعتبار ، انما يفتح منه لاهله ابواب من اصول المعارف ، ومن ادنى ما يعلم منه ، ان التسمية له حقيقة عالية ، وليس يحصل ذلك بمجرد التلقظ ببسم الله الرحمن الرحيم ، وهكذا سائر اجزاء الصلاة والقراءة ، ويشبه ان يكون وجه تعليق الاذن في التسمية بالوصول ، ان الوصول لا يتحقق إلا بفناء العبد وارتفاع الحجب الظلمانية والنورانية كلها بينه وبين الله ، ولا تيسر ذلك إلا بتخلي العبد عن جميع عوالمه واسمائه ، واوصافه ، وحينئذ يصير اهلا لظهور اسماء الحق التي في حيلة لفظ الجلالة عموماً ، وظهور الاسماء التي تحت حيلة الرحمن والرحيم خصوصاً ، وعند ذلك يتحقق العبد بحقائق هذه الاسماء ، ويكون لوحاً جامعاً لاسماء الله تعالى ، ومظهراً لها كما ورد انه «ص» رحمة للعالمين ووجه الله وخليفة الله ، ومعلم الملائكة والانبياء ، هذه كلها من آثار مظهرية الاسماء الثلاثة ، ومظهراً لبهاء الحق وسنائه وملكه ، ولعل هذه حقيقة نزول التسمية ، وروحه فمن اراد التسمية فله ان يتشبه به (ص) بما يمكنه بقدر مقامه ،

وادنى مراتبه لا محالة ان يتوجّه بقلبه وروحه الى حقائق هذه الاسماء بعد معرفتها ، وذلك لا تيسّر إلّا ان يحصل لنفسه حظاً من هذه الاسماء ، ولكنّه بالنسبة الى حقيقة لفظ الجلالة لاحظ له إلّا بالتأله ، وليس يمكن لاحد من الممكن ان يعرف حقيقة الالوهيّة بوجه من الوجوه ، نظير أنّه لا يمكن لفاقد قوة البصر ان يعرف معنى البصر ، بل الامر أجّل من ذلك ، لأنّه لا يمتنع عليه ذلك بأن يخلق الله فيه قوّة البصر ، ثمّ يعرفه معنى البصير ، ولكن صيرورة الممكن بالذات واجباً بالذات محال ، لا يتعلّق به القدرة ، وفرضه تناقض ، فحظّ العبد من ذلك التّأثر بمعنى ان يكمل حقيقة العبوديّة وأمّا خاصيّة الالوهيّة ، وهو الغناء الذّاتي ، والوجوب الذّاتي فلا حظّ له من ذلك ابداً ، ومن هذا الباب قول اقرب المخلوقات واعلمهم بالله : انا لا احصى ثناء عليك ، وقوله : ما عرفناك حقّ معرفتك ، ما ينحصر حظّ العبد من هذه الاسم ، في ان يكون مستغرق الهمّ بالله ، ولا يلتفت الى غيره ويعرف حقيقة فقره ، وفقر ما سواه في جميع الجهات ، ولا يرى في الوجود إلّا الله واسمائه ، وافعاله ، فحقائق ما سوى ، أمّا الاسماء وأمّا الافعال ، وفي الأخبار المستفيضة ، أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى الاسم الاعظم أقرب من سواد العين الى بياضه ، او من بياض العين الى سواده ، على اختلاف الروايات ، وظنّي أنّ المقصود ان المراد ان حقيقة هذه الاسماء من جهة وجود لفظ الجلالة فيها ، وكونه جامعاً لسائر الاسماء ، هو الاسم الأعظم ، والتعبير بالاقربيّة من المحيط والمحاط ، اشارة الى الاتّحاد بطريق التّكني ، او يقال : من جهة أنّ المذكور لفظ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، والاسم الاعظم حقيقته والحقيقة ليست متّحدة مع اللفظ ، ولكنّها اقرب اليه من المحيط والمحاط المسمّين ، لأنّ قرب الأوّلين قرب المداخلة ، والاخرين قرب الملاصقة .

وروى في الاخبار ايضاً تأكيد في التّسمية ، ولو لانشاد شعر .

وفيهما ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح امره بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ، فيمتحنه الله بمكروه ، لينبّهه على شكر الله والثناء عليه ، ويمحق عنسه التّقصير عند تركه بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ، الى ان قال : فقال الله جلّ جلاله لعباده : أيّها الفقراء لرحمتي ، اني قد الزمتكم الحاجة اليّ في كلّ حال ، وذلّة العبوديّة في كلّ وقت ، فألّي فافزعوا في كلّ امر تأخذون فيه وترجون تمامه ، وبلوغ غايته ، فأني ان اردت ان اعطيكم لم يقدر غيري على منعكم ، وان اردت ان امنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم ، فانا احقّ من سئل ، واولى من تضرّع اليه ، فقولوا عند افتتاح كلّ امر صغير او عظيم : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ، الى ان قال قال رسول الله : من حزنه امر تعاطاه ، فقال : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ، وهو مخلص لله ، ومقبل بقلبه اليه ، لم ينقك من احدى اثنتين ، أمّا بلوغ حاجته في الدّنيا ، وأمّا تعدّله عند ربّه ، ويدخر لديه ، وما عند الله خير وابقى .

اقول : ومن هذه الرواية يعلم أنّ التّسمية ليس بمجرد ذكر اللفظ باللسان . واطار معناه على القلب ، بل باتّصاف القلب والجوارح بالفزع الى الله ، وأنّه لا يضيع من قال بهذه الصّفة : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم تسميته ، ويناله ثمرة التّسمية أمّا في الدّنيا ، وأمّا في الآخرة ، وما ينال في الآخرة خير وابقى .

وأمّا قوله : الحمد لله . اي جنس الحمد ، وهو الثّناء باللسان على الجميل الاختياري لله ، لأنّ كلّ جمال يوجد فهو اثر من آثار جماله ، وكلّ خير في العالم فهو من آثار فيضه ، وذكر اسم الله في المقام كأنّه اشارة الى علّة إختصاص الحمد لله تعالى ، لأنّ الله اسم للذّات المستجمع لجميع صفات الكمالات ، ومن جملتها انحصار الجمال والخير فيه ، فهو في قوّة ان يقال : كلّ الحمد لمن هو مستجمع لجميع الكمالات والخيرات ، لأنّ كل كمال وخير منه وله ، والظاهر أنّ

المراد منه إنشاء الثناء بهذا اللفظ فيكون معناه اثني على الله بجميع الثنايا واحمده بجميع المحامد كلّها ، والاخبار بمحموديته تعالى واقعاً في جميع المحامد ، وان لم يشعر الحامد به ، لأنّ قصد حامد زيد مثلاً في قبال احسانه حمده ، من جهة أنّه منعم عليه ، والمنعم الحقيقي في جميع النعم هو الله ، كما في دعاء الصّحيفة : وانت من دونهم وليّ الاعطاء فيرجع الحمد كلّ الى الله .

وأما ما ورد من ترجيح شكر المنعم من النّاس ، فلكونه واسطة ومظهراً لنعمة المنعم تعالى ، فلاننا في انحصار حقيقة الحمد في الله ، فظهر أنّ وجود المظهر ، والصّورة منتسب الى من ظهر وتصور فيه ، فكذلك محموديته وجميع شئونه الثبوتية منتسبة اليه أولاً وحقيقة ، ثم الى المظهر ثانياً ومجازاً ، فمن عرف ذلك ، ورأى الخير كلّ من الله لا يطمع في غيره ، ويخلص من رعونات الرّياء والسّمعة والنّفاق ، ويخلص عباداته من هذه الجهة ، وهكذا يخلص من اكثر الاخلاق الرّذيلة التي منشؤها الرّغبة والرّهبة من النّاس ، وبالجملّة حال الحمد معرفة النّعمة ، وإظهارها ، والرّضا من المنعم ، فمن صدق قلبه وعمله حمده باللسان فهو الحامد ومن لم يصدّق قلبه وعمله ولسانه ، فهو منافق ومدّلس :

« برزبان الحمدو إكراه از درون از زبان تلبیس باشد یا فسون »

ثمّ إنّما قلناه من كون الحمد هو الثناء باللسان ، أنّما يعمّ لسان الحال والقال ، والآ وما من شيء الاّ يسبح بحمده ، كما نطق به القرآن .

رب العالمين : اي مبلغ كلّ شيء من العقل الاوّل الى مرتبة الجمادات ، بجميع اجزائها وجزئياتها ، وافرادها وجهاتها الى كماله الذي حكم به حكمته ، واقتضته اسمائه بتدبير اموره ، وتغذيته ، وتنميته وحفظه وامساكه ، وجميع لوازمه ، فان الربّ صفة مشبّهة بمعنى اسم الفاعل ،

والتربية يتبع المربي في كماله ، والعالمين جمع العالم ، والرب مضاف الى الجمع المحلى باللام ، فيفيد أن ربوبيته تعالى شاملة لكل ما في الوجود بجميع جهاتها ، وهو متوحد في هذه الربوبية ، ووجه الشمول أن لفظ العالم إنما يطلق على جملة ما سوى الله ، وعلى كل نوع من أنواعها، فكأنه اعتبر في اطلاقه اجتماع امور مع نحو اتحاد بينها، مثلاً يقال: عالم الافلاك عالم الملكوت، ويجمع ويقال عوالم الافلاك، وعوالم الملكوت من جهة أن الافلاك ، وكذا الملكوت مشتملة على عدة امور مجتمعات بين افراد كل منها متحد في جهة ، ويقال : عالم العقول ، عالم الأرواح ، عالم الانسان ، وعالم زيد ، بل يقال عوالم زيد ، لان كل فرد من افراد الانسان كأنه نسخة مختصرة من العوالم كلها بالقوة ، فباعتبار هذه القوة ، هو مركب من العوالم الغير المحصورة .

وبالجملة العوالم كثيرة جداً ، وفي بعض الأخبار إن في عالم المثل ثمانية عشر ألف عالماً .

وروى الصدوق في آخر الخصال عن الباقر (ع) ، أن الله خلق ألف ألف عالم ، وألف الف آدم ، ونحن في آخر العوالم ، وآخر الأدميين .

وبالجملة أن الله بحكم هذه الآية ، رب جميع هذه العوالم حتى الجنة والشياطين كما صرح بذلك في دعاء ليلة العرفة ، بقوله : ورب الشياطين ، وما أضلت .

وبالجملة مفيض وجود جميع الاشياء الى ابد الأباد ، بعد إيجادها أولاً ، إنما هو الله رب العالمين ، فجميع العوالم مع اجزائها وجهاتها ، قائمة بتربيته ، وربوبيته ، فمن امعن نظره في العالم ، رأى العوالم كلها قائمة بالرب تعالى ، ورأى إن ربوبيته تعالى ، وتربيته ليس كتربية الملاك للملاك ، ولا كتربية الآباء للأولاد ، ولا كتربية النفس للأعضاء ، ولا كتربية النفس للقوي ، ولكن تربية النفس للقوي اشبه بتربيته تعالى من

غيرها ، من حيث أنّها محصّلة للقوي ومقوّية لها ، وحافضة ، ومبلّغة لها الى كمالاتها الأولى ، والثانوية .

وبالجملة العوالم كثيرة بعضها محيط بالبعض ، كاحاطة الماء بالأرض ، والهواء بالماء ، وهكذا الافلاك الباقية ، حتّى ينتهي الى فلك الافلاك ، ومحدّد الجهات الذي هو منتهى الاشارات الحسية المحيطة بجميع الاجسام ، وهو اصفها ، والطفها بحيث يشبه طرفه الاعلى بعوالم المثال ، وهي محيطة به ، وبما دونه احاطة لطيفة لا يساوق احاطة الاجسام المادية بعضها ببعض ، وهي عوالم كثيرة بعضها فوق بعض ومحيط به ، حتّى ينتهي الى الطف عوالمها الذي يشبه في اللطف الى عوالم النفوس المجردة ، عن المادّة والمقدار ، وهكذا الى ان ينتهي الى العقل الأوّل ، والنور الأوّل ، وهو اقرب الخلايق كلّها من الله الجليل ، ومحيط بالكلّ احاطة عقلية ، والمحيط به هو الله ، ولكن باحاطة غير مساوقة لاحاطة غيره من المراتب ، نعم احاطة العقل الأوّل اشبه باحاطته من احاطة غيره بما دونه .

ويدلّ على هذا التّرتيب الكلّي اجمالاً ، كلمات المعصومين (ع) ، لا يحافي مطاوي بعض الادعية والخطب .

ومن جملة ذلك ، قول امير المؤمنين في خطبته التي قال ثقة الإسلام : أنّها من مشهورات خطبه عند ذكر العوالم ، وكلّ شيء منها لشيء محيط ، والمحيط بما احاط منها الله الواحد الأحد ، بل الذي يقوله اهل التّحقيق : أنّ كلّما في هذا العالم عالمنا الحسي من الجواهر والاعراض ، فله حقيقة في عالم المثال ، ولكن صفاته وآثاره أنّما يناسب بعالمه ، بل لكلّ محسوس وجود في كلّ عالم من عوالم المثال على حده ، ولكلّ شيء فيها حقايق في العوالم التي فوقها ، ولكن يختلف آثار تلك الحقايق وصفاتها ، وصورها باختلاف العوالم ، ففي كلّ عالم لحقيقة واحدة آثار وصفات على حدة ، تناسبها مثلاً حقيقة العلم في عالمنا

هذا كما نرى ، وفي بعض عوالم المثال له صورة كصورة اللبن .

ومن الأخبار التي يمكن الاستدلال ، والاستيناس لما ذكرنا ، ما دلّ على أنّ الأشياء تنزل من السماء الى الارض ، وتخرج منها الى الله في يوم مقداره خمسين الف سنة .

وفي القرآن المجيد : وان من شيء الاّ وعندنا خزائنه ، وما ننزله الاّ بقدر .

وفيه : وفي السماء رزقكم وما توعدون .

وفي الأخبار أنّ الله خلق ملكاً في صورة الإنسان ، يسترزق للادميين وملكاً في صورة الثور ، يسترزق للبهائم ، وهكذا .

وفيها : خلق جوهراً فخلق منه الماء ، وخلق من زبد الماء الارض ، ومن دخانه السموات ، وخلق من التراب الإنسان .

وفيها : كما مر خلق من اسمه المكنون ، اثني عشر اسماً ، وخلق من كلّ منها ثلثين اسماً ، فعلاً منسوباً اليها .

وفيها : أنّ الله تعالى خلق الف الف عالم ، والف الف آدم .

وعن امير المؤمنين (ع) : قد دورتم دورتم دورات ، وكورتم كورات .

وهذا محمول على ما دلّ على التنزلات الوجوديّة ، ويمكن ان يستدلّ لذلك بكلّ ما دلّ على أنّ الملائكة وسائط فيض الاله في العالم ، لأنّ عوالم الملائكة مختلفة ، بعضهم من عوالم المثال ، وبعضهم من عوالم النفوس ، وبعضهم من عوالم العقول .

وبالجملة كما أنّ العوالم في قوس النزول مترتبة ، فكذلك في قوس الصعود .

ومما يدلّ على ذلك في قوس الصعود ، الاخبار التي دلت على

تجسّم الاعمال في البرزخ ، والقيامة واختلاف صور الأدميين في البرزخ ، والقيامة ، حتّى في بعضها أنّ الاعمال والاوقات يجيء يوم القيامة مجتمعة في وقت واحد ، ويجيء يوم الجمعة كالعروس ! والصّلوة يجيء في صورة شابّ حسن الوجه ، بل وفي بعضها أنّ حقايق الجمادات ايضاً في الآخرة ذوات حياة ، ونطق وشعور ، وإنّ عالم الآخرة هي دار الحيوان ، وكلشيء فيها حيّ ناطق شاعر ، وللاعراض فيها احكام جواهر هذا العالم ، ويفهم منها أنّ الله تعالى أنّما جعل الصّورة الانسانيّة انموذجاً لكل ما في جميع العوالم ، ونسخة مختصرة من اللّوح المحفوظ .

كما يشير اليه الابيات المنسوبة الى امير المؤمنين : اتزعم أنّك جرم صغير آه .

وقوله (ص) : أوّل ما خلق الله نوري .

وقولهم : وخلق من نورنا انوار شيعتنا ، قبل ان يخلق الملائكة ، فسبّحنا ، وسبّحت شيعتنا ، وسبّحت الملائكة ويدلّ عليه تعالى قوله تعالى : وعلم آدم الاسماء كلّها - اه .

وبالجملة كلمة اهل التّحقيق من علمائنا مجتمعة على أنّ الصّورة الانسانيّة صورة جامعة لجميع ما في العوالم كلّها بالقوّة ، فكما أنّ الله تعالى اودع فيها من جميع انواع ما في هذا العالم الحسيّ ، من جواهره واعراضه ، فكذلك جعلها معجوناً مركّباً من جميع ما في العوالم العالية فوق هذا العالم ولكن بالقوّة ، وفي معراج السّعادة ، عن الصّادق (ع) : الصّورة الانسانية اكبر حجة الله على خلقه ، وهو الكتاب الذي كتبه بيده ، وهو الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللّوح المحفوظ ، وهي الشّاهد على كلّ غائب ، والحجة على كلّ جاحد وهي الطّريق المستقيم على كلّ خير ،

وهي الصَّراط الممدود بين الجَنَّة والنَّار .

اقول : فعلى هذا ما يمنع العاقل ان يتدبَّر في كتاب نفسه ، ليظهر منه ما خفي عليه من اسرار عالم الكون ، بكلمات نفسه ، وحروفها ، اما سمعت ما في ابيات امير المؤمنين (ع) : باحرفه يظهر المضمّر ، والله تعالى يقول : سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم ، وكيف كان يجب على العبد بحكم العقل بعد التَّفَطُّن بأنَّ ربّه يربيه في جميع عوالمه من جميع جهاته التي لا يحصيها هو نفسه في جميع آفاته ، بل لا يشعر منها الاّ الاقل ، ان يحب هذا الربّ الودود ، ويخدمه بما يمكنه من عباداته ، ويخلص في عباداته ، ويوحّده في ربوبيّته ، ويترقّى عن مراقبة غيره في حركاته وسكناته كلها فضلاً عن عباداته ويستحي منه عن قصوره وغفلته عنه مع فقره اليه من وجوه غير محصورة ، وذكره تعالى له مع غناه عنه في جميع هذه الجهات ، وغيرها .

ثمّ انّ توحيد الربّ تعالى في ربوبيّة عزيز المنال ، علماً واعتقاداً صعب الاشكال حالا وعملاً ! والمتخلّق بهذا العلم والحال والعمل هم العارفون الكاملون ، المتخلّصون من اكثر رعونات العامّة في اعمالهم واحوالهم وافعالهم لا سيّما هموم الدّنيا والرّياء في العبادات ، ومراقبات العباد في الحركات والسّكنات ، لا سيّما اذا صارت هذه الاوصاف ملكة للعبد ، فيورث له تعظيم الربّ تعالى والانكسار ، والحياء والخشوع والابخات ، والانقطاع والوقوف على حدود الفقر الاتم ، والاحتراز عن ارتداء شيء من مراتب جلال الربوبيّة فان انكشف له حقيقة معنى ربوبيّته ، ورأى جميع اجزاء العوالم من جهات كثيرة تحت تربيته تعالى ، وتحت مراقبته ورأى نفسه بجميع عوالمه مستغرقة في نعمه في افاضة وجوده ، وحفظه ورزقه واصلاحه ، وتدبير اموره وتبليغه الى كماله اللّايق به ، يفيض عليه بجلوه ، ويرزقه من فضله ، ويحفظه في كفه ، ويحميه في ظلّ عنايته ، ويصلح جميع شؤونه بمنّه حتى يبلغه كماله في جميع

هذه الصفات والشؤون ، على اتم الوجوه ، واكمل السعادات وانه لا يرضى له في ذلك بنعمة دون اخرى ، حتى يتم له جميع النعم ، وصنوف المنن بحيث لا يهمل له تصفية لونه ، وتزيين صورته وترتيب جفونه وتمريض عينيه ، وتقويس حاجبه ، وتأمل في مراقبته تعالى في مراتب حفظه من اصناف هذه المهلكات ، والموزيات والمولمات ومنغصات العيش والسعادة ، والكمال في جزء جزء من اجزاء بدنه واجزاء عوالم خياله وسائر قواه وقلبه وروحه ، وسره في جميع تقلباتها فيدعن لا محالة ان يشكر له لبعض هذه النعم بقدر الامكان ، ولا يعارضه لا محالة بالتعرض لمراسم كبريائه في حدود عوالم الربوبية ، فان حكم المربوب المطلق من جميع الوجوه ، بالنسبة الى الرب المطلق من كل الجهات ليس الا الاخلاص الصادق في جميع حدود العبودية .

والمخلص كما عن مصباح الشريعة ذائب روحه ، وباذل بهجته في تقويم ما به العلم والعمل ، والعالم والمعمول بالعمل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد .

اقول : من جملة لوازم هذا التوحيد ، ان لا يرى غيره تعالى ضاراً ولا نافعاً ، بل ولا مؤثراً في الوجود ، والعمل على ذلك مع ما يتراءى في هذا العالم بمقتضى كونه دار غرور من وجود الأسباب ، وتخيل تأثيراتها صعب المنال لا ينال الا بمعرفة كاملة ، وكشف عوالم الغيب ، وغلبة السر ، ولعل العمل على ذلك هو المراد بالاستقامة التي في قوله تعالى : واستقم كما امرت ، في سورة هود التي ، قال رسول الله (ص) فيها شيتني سورة هود ، وقيل قاله : لمكان هذه الاية ، ولا يذهب عليك ان في تصوّر ربوبيته تعالى بجميع هذه العوالم ، بعد تشريح جزء من اجزائها ما يبهز العقول ، مثلاً اذا عقل الانسان ان نسبة هذا العالم المحسوس ، الى عوالم الجبروت ماذا ، لانها او بعضها عوالم غير متناهية ، ونسبة المتناهي الى غير المتناهي معلوم ، ثم يتفكر في هذا

العالم المحسوس الذي فرضنا أنه اصغر العوالم ، واضيقها ، واحقرها ، وراجع تارة الى علم الهيئة وقدر في نفسه ما ثبت في هذا العلم ، من وجود الافلاك ، ونجومها وكواكبها مثلاً ، ذكروا ان للكواكب الثابتة كلها شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه ، ولكل منها اراضي ، وذكروا في سعة مقدار هذا الشمس ، أنها تزيد على كبر ارضنا هذه باثني عشر الف مليون ، فانظر انت ايها الانسان الحسي ، بعين حسك نسبة كبرها الى الفلك الرابع ، الذي هي فيها ، كيف نسبتها اليه في الكبر والصغر ، ثم تفكر فيما ورد ان الفلك الرابع ، بالنسبة الى الخامس ، كحلقة في فلاة ، وهكذا الى الفلك السابع ، والى الكرسي ، والى العرش ، ثم راجع الى ارضنا هذه ، وتأمل في سعتها ، وانسب سعة جثتك الى تمامها ، ثم اترك الكل ، وخذ من بدنك هذا ما في عينك من الاجزاء ، والخواص ، والتدابير ، وشرايط الصحة ، وراجع عكوس تشريح طبقاتها ، واستارها ، وعروقها ، وتقدير غذائها ، والتدابير التي استعملت لكل واحد من اجزائها ، واندفاع ما بقي من فضلة غذائها ، والتدابير التي استعملت في اشكال استارها والوانها ، ورقتها وسخنها ، والتدابير التي استعملت في وضع كل واحد منها على ترتيبها وتفكر في آفاتنا واسقامها وأدويتها ، وما استعمل في خواص ادويتها ، وعلوم علاجها ، وراجع الى اطبائها ، ومعالجتها ، فان عمر انسان واحد لا يكفي لتحصيل تكميل علوم علاجها ، ثم انظر ماذا ترى من عظمة امر الربوبية بالنسبة الى جميع بدنك ، ثم الى ابدان جميع الاناسي ، ثم ساير الحيوانات ، ثم عوالم النبات وجمادات هذه الارض ، ثم ثم ثم ، حتى ينتهي الى آخر ذرات المحسوسات من الافلاك والكواكب والكرات ، ومخلوقاتنا ، ثم في عوالم المجردات من المادة ، من عوالم المثال ، ثم في عوالم النفوس والارواح ، ثم في عوالم العقول وقل عن حقيقة قلبك وسرك ، وروحك وشراشر وجودك : سبحان ربّي العظيم وبحمده ، حتى تؤدي حق ادب ربك العظيم ، وتصير اهلاً لقربه ، والفناء بفناء ربك الاعلى .

﴿الرحمن الرحيم﴾ قد مضى الإشارة الى تفسيرها ، ولكن يلزم في المقام الإشارة الى وجه تكرار هذين الاسمين في سورة الفاتحة ، في خبر المعراج ، فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، وقال النبيّ (ص) في نفسه : شكراً : فقال الله : يا محمّد (ص) قطعت حمدي ، فسّم باسمي ، فمن اجل ذلك جعل الرَّحْمَن الرَّحِيم في الحمد ، وفي بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم مرّتين ، ولعلّ المراد أنّ قوله (ص) شكراً في نفسه ، من جهة أنّه ليس بعنوان قراءة كلام ربّه قطع لقراءة الحمد الذي هو كلام الله وحمد الله لنفسه ، فلزم لابتدائه ثانياً ذكر اسمه تعالى ، فذكره بالرَّحْمَن الرحيم ، لأنّ المقام مقام الحمد ، فافتضى ذكر الرحمن الرَّحِيم ، او لأنّ اسم الله قد تکرّر فاختيارهما للتّسوية في التّكرار بين هذه الاسماء .

وقيل : اصل التّكرار من جهة أنّ الأوّل اشارة الى توصيف اسم الله بهما ، والثاني اشارة الى توصيف الذات ، وتقديم الأوّل على الثاني ، لعلّه للتنبيه على مقام العبد القاري ، فيكون مقامه أوّلا النظر الى مقام الاسماء ثمّ الى مقام الذات .

وقيل : يحتمل ان يكون المراد من ذكرهما في التسمية ، نفس الصّفتين من حيث انفسهما ، وفي مقام الحمد من حيث ظهورهما في العالم .

﴿مالك يوم الدين﴾ وقرء ملك ، وغيرهما ، والاصل فيهما واحد ، وهو الاستيلاء والقدرة ، والافتراق من الصيغ ، وكيف كان ليس مالكيّته تعالى كمالكيّة الملاك لاملاكهم ، ولا كمالكيّة الملوك لممالكهم ، ولا كمالكيّة النفوس ، للاعضاء ، ولا كمالكيّتها للقوى والصّور العلميّة ، بل هي اجلّ واعلى من هذه كلّها ، إلّا أنّ مالكيّة النفوس للصّور العلميّة اشبه لمالكيّته تعالى من غيرها ، لقيامها بالنفوس ، وايجادها بمجرد الالتفات ، وافنائها بمجرد الاعراض .

يوم الدّين : يوم الحساب والجزاء ، او الشّرع وكلّها منطبقة ليوم

القيمة ، لها اسماء كثيرة منتزعة من صفاتها ، ووقايعها كيوم الحشر والنشر ، ويوم الندامة ، ويوم الحسرة ، ويوم الطامة ، وغيرها مما عبّر بها في كلمات المعصومين ، اخبارهم وادعيتهم ، وطوله على ما في القرآن خمسون الف سنة ، فعن النبيّ (ص) أنّه تلى يوم يقوم الناس لربّ العالمين .

ثم قال : كيف بكم اذا جمعكم الله ، كما يجمع النبل في الكنانة ، خمسين الف سنة ، لا ينظر اليكم ، وقال تعالى في جزاء الاعمال والمظالم ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظّالمون ﴾ إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ، مهطعين مقنعي رؤوسهم ، لا يرتدّ اليهم طرفهم وافئدتهم هواء .

روي في الكافي باسناده ، عن سيّد العابدين (ع) قال : حدّثني ابي (ع) أنّه سمع اياه امير المؤمنين (ع) ، يحدث الناس ، قال : اذا كان يوم القيمة ، بعث الله الناس من حفرهم بهما جرّداً مردأً في صعيد واحد ، ليسوقهم النور ، ويجمعهم الظّلمة ، حتّى يقفوا على عقبة في المحشر ، فيركب بعضهم بعضاً فيزدحموا ، دونها ، فيمنعون من المضي ، فيشتدّ انفاسهم ، ويكثر عروقهم ويضيق بهم أمورهم ، ويشدّ ضجيجهم ، ويرتفع اصواتهم ، فقال ، هو أوّل هول من احوال القيمة ، قال : فيشرف الجبار تعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة ، فيأمر ملكاً من الملائكة ، فينادي فيهم : يا معشر الخلايق انصتوا ، واستمعوا منادي الجبار ، قال فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم ، قال : فيسكن اصواتهم عند ذلك ، وتخضع ابصارهم ، وتضطرب فرائضهم ، وتفزع قلوبهم ، ويرفعون رؤوسهم الى ناحية الصوت ، مهطعين الى الدّاعي ، قال : فعند ذلك يقول الكافر ، هذا يوم عسير ، قال ، فيشرف الجبار تعالى ذكره الحكم العدل عليهم ، فيقول : انا الله الذي لا إله الاّ انا الحكم العدل . الذي لا يجوز اليوم ، احكم

بينكم بعدلي ، وقسطي ، ولا يظلم اليوم عندي احد ، اليوم آخذ للضعيف من القوي حقه ، ولصاحب المظلمة بالمظلمة ، بالقصاص من الحسنات والسيئات وانتسب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ، ولاحد عليه مظلمة الا مظلمة وهبها صاحبها ، وانتسبه عليها ، واخذله بها عند الحساب تلازموا ايها الخاليق ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا ، وانا شاهد لكم بها عليهم ، وكفى بالله شهيدا قال : فيتعارفون ، ويتلازمون ، فلا يبقى احد له عند احد مظلمة او حق الا لزمه بها ، فيمكثون ما شاء الله ، فيشتد حالهم ، ويتكثّر عرقهم ، ويرفع اصواتهم بضجيج شديد ، فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لاهلها ، قال : فيطلع الله تعالى على جهدهم ، فينادي مناد من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع أولهم : يا معشر الخاليق انصتوا لداعي الله ، واسمعوا ان الله تعالى يقول : انا الوهاب ان احببت ان تواهبوا فتواهبوا ، وان لم تواهبوا اخذت لكم بمظالمكم ، قال : فيفرحون بذلك لشدة جهدهم ، وضيق مسلكهم ، وتزاحمهم ، قال : فيهب بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلصوا مما هم فيه ، ويبقى بعضهم فيقول : ربنا مظالمنا اعظم من ان نهبها ، قال فينادي مناد من تلقاء العرش : اين رضوان خازن الجنان ، جنان الفردوس ، فيأمره الله تعالى ان يطلع من الفردوس قصراً من فضة بما فيه من الانية والخدام ، قال : فيطلعه عليهم في حفاة القصر الوصايف والخدام ، قال : فينادي مناد من عند الله تعالى : يا معشر الخاليق ارفعوا رؤوسكم ، فانظروا الى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤوسهم ، فكلهم يتمناه ، قال : فينادي مناد من عند الله هذا لكل من عفى عن مؤمن ، فيعفون كلهم الا القليل ، قال : فيقول تعالى لا يجوز جنتي اليوم ظالم ، ولا يجوز الى ناري اليوم الا ظالم ، ولا احد من المسلمين عنده مظلمة ، حتى يأخذها منه عند الحساب ، ايها الخاليق استعدوا للحساب ، قال : ثم يخلى سبيلهم ، فينطلقون الى العقبة ، فينكرون بعضهم بعضاً ، حتى ينتهوا الى العرصة ، والجبار

تعالى على العرش قال قد نشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، واحضر
النبيون ، والشهداء ، وهم الائمة ، يشهد كل امام على اهل عالمه بأنه
قد قام فيهم بامر الله تعالى ، ودعاهم الى سبيل الله .

اقول : في احوال القيمة واحوالها ، وشدايدها وكيفياتها تفاصيل
كثيرة في الاخبار ، تركناها لعدم احتمال المقام كلها ، وانما ذكرنا هذه
الرواية لما فيها من الاشارة الى بعض الجهات التي ترد على اهل الايمان
في اهم الحقوق ، من الرفق ، واللفظ ، بعثاً للقلوب للرجاء والحياء ،
ثم ان لهذه الاسماء الخمسة تأثيراً لاصحاب اليمين من المتقين في
استجلاب بعض الصفات الحسنة لقلب القارى من الخضوع ، والتذلل لله
تعالى ومن الحياء والخدمة والذكر الدائم ، وقطع الطمع عن غير الله ،
فما يرغب ويرهب الآ لرب العالمين ، والرجاء الى رحمة الرحمن
الرحيم ، والطلب من فضله ، والاطمينان بمواعيده ، وعدم الالتفات الى
خير الغير وشره ثم الخوف من عقوبة يوم الدين وشدايده واهواله ، وحياء
العرض على مالكة ، فان ذلك امر عظيم كما سمعته فيما نقلناه عن
مصباح الشريعة ، والافتضاح على رؤوس الاشهاد ، هذه كلها لاصحاب
اليمين ، واما العارفون فلهم عند ذكرها تاثيرات ، وتنقلات فاخرة عند
انكشاف حقيقة هذه الاسماء ، وتجليها على اسرارهم وارواحهم ،
وقلوبهم بالتروقي عن علم اليقين الى عين اليقين ، وعنه الى حق اليقين .

ومن ذلك ما روي من غشوة الصادق (ع) ، عند تكرار مالك يوم
الدين .

وما روي عن السجاد انه اذا قرئه يكرره ، حتى يكاد ان يموت ،
وبالجملة للعارفين عند ذكر اسماء الله الحسنى حالات سنية ولذات
فاخرة ، وتفريجات عالية في متنزهات دار الجلال ، وتانسات ناعمة من
تجليات انوار صفات الجمال في دار الوصال .

وبالجملة يسير في هذه الاسماء في جميع العوالم من مبدئها الى

منتهيها ، بل يرى المبدء والعالم ، والمنتهى ، ويتفرج بالتدبر في الاسم
 الاخير ، في تفاصيل عوالم القيمة ، كما صرّح به في خبر المعراج ، ثم
 أنّ ترتيب هذه الاسماء بهذا المنوال أنّما هو مطابق للترتيب الواقعي ، فإنّ
 مقام لفظ الجلال مقدّم على مقام الرّبوبيّة ، ومقام الرّبوبيّة مقدّم على
 الرّحمة الرّحمانيّة وهو مقدّم على مقام الرّحيمة ، ومقام الرّحيمة مقدّم
 على مقام الاسم الاخير ، لأنّ الرّحمة الرّحيمة ظهورها التفصيلي أنّما هو
 يوم الجزاء ، ويوم الجزاء اصله الرّحمة وما تظهر فيه من العقوبة والنار
 أنّما مبناه ايضاً على الرّحمة على المظلوم ، واهل الدّين لأنّ الغضب
 عرضي خلق ايضاً للرّحمة .

ثمّ إنّ اضافة الملك الى يوم الدّين من اضافة الصّفة المشبّهة الى
 غير معمولها ، كقولك : ملك الزّمان ، فيكون منعوته وإضافة مالك اليه
 باجراء الظّرف مجرى المظروف مجازاً ، او يجعل اليوم عبارة عن النشأة
 الآخرة ، وعلى أيّ حال تخصيص المالكيّة او الملك ، ليوم الدّين من
 جهة اختصاص ظهورهما التّام التّمام لذلك اليوم ، فإنّ ذلك اليوم اي
 النشأة الدّنياويّة من جهة كونها دار غرور قد يترأى فيها مالك غيره تعالى
 من عباده ، ولكنّ يوم القيمة يوم لمن الملك اليوم ، فيظهر فيه سلطان
 الله ، ويضمحلّ فيه سلطان العباد ، وملكهم من رأسه ، وينكشف توحيد
 الحقّ في مالكيّته بجميع العالمين ، بخلاف دار الدّنيا فإنّ توحيد هاتين
 الصّفتين ، وكذا ساير الصفات فيها غير ظاهرة على العامّة وغيب بالنسبة
 اليهم ، وان كان منكشفاً على اهل المعرفة ، ولكنّه من جهة ندرته
 لاحكم له فاخصّ ظهور اختصاص المالكيّة بيوم الدين ثمّ أنّ في ذكر
 الاسماء الخمسة في المقام اشعاراً بانحصار جهات الحمد فيها ، فكأنّه
 يقال للعبد : ان كان حمدك لاحد لكماله وجماله ، وجلاله ، فيجب ، ان
 ينحصر في الله ، لأنّ ذلك كلّ له ، ولا كمال لاحد الآ وهو منه ، وله
 وبه ، وان كان لكونه محسناً : فجميع الاحسان من ربّ العالمين ، وان

كان لرجاء فضل ، ونعمة ورحمة ديني او دنيوي ، فمالك جميع النعم ، ومعطيها الرحمن الرحيم وان كان لخوف من سطوة سلطان فالسلطان القاهر انما هو مالك يوم الدين فلا ينبغي الحمد الا لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ اي لا نعبد سواك ، ولا نخضع لغيرك ، او لا نريد من عبادتنا مطلوباً غيرك ، كما ورد كلاهما في الاخبار ، والحصر يعرف من تقديم اياك ، ولا سيما بملاحظة انفصال الضمير . مع امكان اتصاله ، هذا انما هو في المعنى الاول ، واما المعنى الثاني ، فبتقريب ان التشريك في المطلوبية انما ينافي توحيده في كون الخير منه ، وان الكمال والجمال له ، وان الوجود الحقيقي له ، فيكون حق العبودية ان لا يرى غيره شريكاً له في ذلك كله ، فينحصر المطلوبية ايضاً فيه ، وايضاً ان من استحق لحصر جميع وجوه العبودية له ، استحق جميع وجوه المطلوبية .

قال بعض المحققين : يمكن ان يكون في تقديم الضمير على الفعل ايضاً اشارة لطيفة الى ذلك ، فكأنه بتقديمه يشير الى ان المعبود احق بالتقديم في كل اللحظات ، فيجب ان يكون نظر العبد في جميع تقلباته اولاً اليه ، ثم به الى غيره من حيث نسبته اليه ، لا من حيث نفسه ، فيكون في لحاظ المطلوبية ايضاً كذلك ، بل لا يمكن التوحيد الكامل في العبادة ، الا بان لا يكون للعبدهوى في غيره لان النفس لا بد له من الخضوع والميل الى ما يهواه ، فلا يخلص التوحيد في العبادة .

ثم ان في ايراد الفعل بصيغة المتكلم مع الغير ، تأدباً عن عد نفسه لايقاً لمقام العبودية صفة مشتركة في جميع ما سواه ، فلا وجه للانفراد والاختصاص ، وتشرفاً بضم عبادته بعبادة عباد الله الصالحين واستعطافاً بذكرهم مع نفسه ، واحترافاً عن الدعوى الكاذبة ، بطريق

تغليب عبادات المخلصين على عبادته في دعوى الاخلاص ، فيكون في دعوى الاخلاص من جهة عبادتهم صادقا .

ثم ان الالتفات في هذه الاية من الغيبة الى الخطاب ، فكأنه اشارة الى انه ينبغي للقاري ان يكون بذكر هذه الاسماء مترقيا من عالم البعد الى القرب ، ومن الغيبة الى الحضور ، فكأنه يرى بقلبه الله جل جلاله ، ويخاطبه عن حضور بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين .

في الحديث القدسي : انا جليس من ذكرني .

ثم انّ للعبودية ظهوراً في جميع عوالم العبد ، وشؤونه من عالم عقله ، وروحه ونفسه وقلبه واجزاء بدنه من رأسه الى قدمه ، وفي حركاته وسكناته كلّها والى بعض مراتبها اشير في حديث^(١) عنوان البصري ، وهو ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكا ، لان العبيد لا يكون لهم ملك ، بل يرون المال مال الله ، يضعونه حيث امر الله ، وان لا يدبر لنفسه ، وان يكون جملة اشتغاله بما امره الله تعالى ونهاه عنه ، فاذا لم ير العبد فيما خوّله الله ملكا ، هان عليه الانفاق ، واذا فوّض العبد تدبير نفسه الى مدبّرهما ، هانت عليه مصائب الدنيا ، واذا اشتغل العبد فيما امره الله ونهاه ، لا يتفرّغ منهما الى المراء والمباهات فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث ، هانت عليه الدنيا والرئاسة والخلق ، ولا يطلب الدنيا تفاخراً ولا تكاثراً ، ولا يطلب عند الناس عزّاً وعلوّاً ولا يدع أيامه باطلة ، فهذا أوّل درجة المتقين ،

أقول: القول الجامع في مراتب العبودية ان يرى العبد نفسه ، وجميع العالمين من جميع الجهات ، فقراء الى الله الغني عن الكلّ من كلّ الجهات والمغني لكلّ غنيّ كذلك ويعمل بمقتضى ذلك ، والناس في ذلك على مراتب لا تحصى ، فالكامل في العبودية التامة من جميع

(١) رواه شيخنا البهائي «ره» في الكشكول عن الشهيد .

الوجوه في جميع الانات ان وجد فهو اعرف الخلايق كلهم ، واقربهم الى الله ، وهو سيد الانبياء ، خاتم النبيين ، وخلفائه الاثنى عشر المتحدين معه في المعرفة ، وهم الكاملون في مراتب التوحيد في جميع وجوه ومراتبه ، وبعدهم الاعرف فالاعرف ، وهكذا الى ان ينتهي الى آخر عوالم اصحاب اليمين ، وادنى مراتب المسلمين الموحدين ، وهو الذي يوحد الله في الخالقية ، ولا يستكبر بتشريكه في نصب النبوة والخليفة ، وهذا ينفعه توحيده بالاخرة في انجائه من الخلود في العذاب الدائم ، ويكون عاقبة امره الى رحمة الله والجنة ، ولو بعد حين ، والمراتب الثلاث المذكورة في الرواية ، منشأها توحيده تعالى في المالكية ، والرَبوبية والمعبودية التي هي من شؤون الالهية ، فان العبد اذا رأى الملك كله لله ، لا يرى لنفسه ولا لغيره ملكا ، واذا رأى ان الله هو الرب المطلق ، اي لم ير لاحد تأثيراً في التربية والايصال الى الكمال في شيء من الامور ، يرى التدبير كله لله ، وان غيره لا يقدر ان يفسد نفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشوراً ، واذا رأى ان لا اله الا الله ، وانه لا يستحق احد شيئاً من وجوه المعبودية ، اشتغل بالمعبودية والطاعة في جميع شؤون وحالاته ، فلا يتفرغ الى شيء عن ذلك .

﴿واياك نستعين﴾ على طاعتك ، وعبادتك ، وعلى دفع شرور اعدائك ، ورد مكائدهم ، والقيام على ما امرت .

والظاهر ان المراد من دفع شرور الاعداء ، ومكائدهم ما يكون من جهة مناقضتها لاصل العبادة او تكميلها لتكون الاستعانة خالصة في مراتب العبادة ورجح بعض المحققين ارادة الاطلاق في متعلق الاستعانة ، من جهة حذف المتعلق ، لان مناسبة المقام قرينة الاختصاص ، وببالي ان في الاخبار ايضاً نهياً عن الاستعانة في غير جهة العبادة .

وبالجملة حصر الاستعانة من فروع توحيد الربوبية ، فمن اعتقد ان

لا رَبَّ الا الله ، يرى النَّفْعَ والضَّرَّ كُلَّهُ مِنْهُ ، فلا يرجو الا خيره ، وذلك لا يلايم الاستعانة بالغير ، فلا يستعين ، ولا يستغيث ، ولا يفزع ، ولا يلتجئ الا به ، وهذا التَّوْحِيدُ امر صعب علماً وحالاً وعملاً ، فمن وَفَّقَ له فله حظ من عوالم العبودية ، بل من مراتب المعرفة ، بل من درجات القرب ، رزقنا الله وجميع الطالبين التَّرقِي الى مدارج مراتب المعرفة والزلفى .

ثمَّ اَنَّ ما اخترناه من الاستعانة في الاية اَنَّمَا هي في العبادة بعين وجه التَّرتيب بينهما ، لَأَنَّ القارى بعد ذكر الآيات الثلاثة ، يفزع الى عرض الاخلاص في العبودية ، بعد الاظهار ، تَعَيَّنَ له اظهار اَنَّ العبادة لا يمكن لنا الا بعونك .

وقيل اَنَّ الاية بشطريها ينفي الجبر والتَّفويض بنسبة العبادة الى العباد ، ولكن بعون الله ، فالله تعالى معين له لا قاهر له بغير ارادته ، بل موجد لافعاله بعد ارادته ، كما اَنَّهُ خالق لارادته ايضاً على ما يقتضيه ذاته ، فلا جبر لكون الفعل بارادته ، ولا تفويض لكون ارادته موجوداً بارادة الله .

وبالجملة اراد ان يوجد الاشياء بارادة العبد واختياره ، فالعبد من جهة كونه مختاراً في افعاله ، لم يجبر على الفعل ، ومن جهة كونه مجبوراً في مختارته ، لم يفوّض اليه الامر ، فلا جبر ولا تفويض .

ثمَّ اَنَّ كمال الاستعانة لا يتم الا بعلوم ، من جهة المستعين والمستعان منه ، العلم بفقر نفسه ، وعلى عدم قدرته على انجاح مطلبه ، والعلم بغناء المستعان ، وقدرته على اعانته وعنايته على المستعين ، وعدم بخله عن اجراء عنايته وعلمه بحال المستعين من فقره ، وكونه صلاحاً له ، فاذا تمَّ للعبد هذه العلوم من احوال نفسه وربِّه تمَّ له حال يقتضي الاستعانة ، ويستدعيه لسان حاله قبل لسان قاله ، وكلّما كَمَلَ اعتقاد هذه الصِّفَات في نفس المستعين وفي المستعان منه ،

كامل حال الاستعانة ، واذا كمل ذلك ثارت فيوض الربّ للاعانة والاجابة ، مثلاً اذا انكشف للعبد حقيقة فقره ذاتاً ، ووجوداً وصفةً وفعلًا من جميع الوجوه في جميع الاوقات والاحوال ، ورأى نفسه محتاجاً بل احتياجاً وفقرًا في كلّ أن من آناته من جميع الجهات ، حتّى أنّه لا يكفيه ايجاده في الآن السّابق لوجوده في الحال ، بل يحتاج في وجوده الفعلي الى ايجاد آخر جديد على ما هو الحق في احتياج الاكون في الان الثّاني الى علّة محدثة ، وكذا في وجود صفاته يحتاج في كلّ آن الى فيض جديد وايجاد آخر .

وبالجملة رأى نفسه وصفاته وجميع ما يحتاج اليه في جميع آناته فقيراً من جميع وجوه الحيثيات الى ربّه ، ورأى ربّه غنيّاً مطلقاً في جميع هذه الوجوه ، ومنعماً عليه في كلّ ما هو واجده من وجوه النعم ، اي لا يحيط بها علمه ، ولا يقدر على احصائها انعم الله عليه بذلك كلّ قبل وجوده ، ووجود فقره ، ومع جهله لوجوه نعمه ، وهو موجود بايجاده ، وحيّ باحيائه ومرزوق برزقه ، وساكن في ملكه ، يتقلب بقوّته في معصيته ، وهو لا يأخذه بمعصيته ، ويؤاخذ من يغترّ بمعصيته ، من دون ان يسئله شيئاً من ذلك ، فكمّل عند ذلك رجاء بعنايته ، ويقوي حال الاستعانة في قلبه ، فاذا استعان بعد هذا الحال فيما لا يضرّه ، فدعائه مستجاب ، وحاجته بالبّاب ، وان كان دعائه دعاء الشّر بدعاء الخير ، يعطيه الخير بدل ما دعاه من الشّرّ في الدّنيا او الآخرة ، وما في الآخرة خير وابقى ، فالاولى للدّاعي ان يستثنى في دعائه غير الاصلح ، او يشترط الصّلاح والعافية ، اذا لم يكن ممّن يرضي ببلاء الدّنيا مع خير الآخرة .

ولا يذهب عليك أنّ ما ذكرنا من شرائط كمال الاستعانة من العقايد في صفات الحقّ تعالى كلّها من لوازم الاسماء الخمسة ، بل كلّ ذلك مندرجة في لفظ الجلالة اجمالاً ، وفي الباقي تفصيلاً .

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ عن تفسير الامام (ع) ، وعن المعاني
يعني ارشدنا للزوم الطّريق المودّي لمحبتك ، والمبلغ الى جنتك ،
والمانع من ان نتبع اهوائنا فنعطب او ان نتخذ بآرائنا فنهلك .

وفي بعض الاخبار ، انه الطّريق الى معرفة الله ، وفيها انه
صراطان : صراط في الدّنيا ، وصراط في الآخرة ، اما الصّراط في
الدّنيا ، فهو الامام المفترض الطّاعة من عرفه في الدّنيا ، واقتدى بهداه
مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في
الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة ، فتدري في نار جهنّم .

وفيها انّ الصّراط امير المؤمنين (ع) .

وفيها انه معرفة الامام .

وفيها نحن الصّراط المستقيم .

وفيها انه امير المؤمنين (ع) ، ومعرفته ، والدّليل على انه امير
المؤمنين (ع) ، قوله تعالى : وانه لدنيا لعليّ حكيم ، وهو امير المؤمنين
(ع) في امّ الكتاب ، في قوله : الصّراط المستقيم .

وفيها انه (ص) وصف الصّراط ، فقال : الف سنة صعود ، والف
سنة هبوط ، والف سنة خذل .

وفيها انه ادقّ من الشّعير ، واحد من السيّف فمنهم من يمرّ عليه
مثل البرق ، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمرّ عليه
ماشياً ، ومنهم من يمرّ عليه حبواً ، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً ، فتأخذ
النّار منه شيئاً وتترك شيئاً .

وفيها انه مظلم يسعى النّاس عليه بقدر انوارهم .

أقول : هذه الاخبار غير متناقضة ، بل كلّها مؤتلفة في بيان معنى
الصّراط ، وكلّ منها ناظر الى فرد من افراده ، لانّ الصّراط وكذلك ساير

المعاني له حقيقة ، وروح ، وله صورة وقالب ، وقد يتعدّد الصّور ، والقوالب لحقيقة واحدة ، بل لا يكاد يوجد حقيقة ألاّ ويتعدّد صورتها ، وأنّما وضعت الالفاظ للارواح والحقايق ، ولوجودهما في القوالب يستعمل الالفاظ على الحقيقة لاتّحاد ما بينهما ، مثلاً لفظ القلم روحه عبارة عن آلة نقش الصّور في اللوح ، من دون ان يعتبر فيها كونها من قصب او حديد ، او غير ذلك ، بل ولا ان يكون جسمًا ، ولا كون النقش محسوسًا ، وهكذا لفظ الصّراط وضع لحقيقة يؤدّي سلوكه الى المقصود ، وهذا روح لفظ الصّراط ، وله قوالب : منها الطّرق في البوادي والبلاد المعدّة للسلوك من بعضها الى بعض ، وكذا طرق ساير المقاصد ومن هذه الافراد الطّريق الى معرفة الله ، وقربه وجواره في الجنّة ، وهو العمل بالدين والشرعية ، ومعرفة الامام وطاعته ، ومعرفة خصوص امير المؤمنين ، والصّورة الانسانية اي اوصافه ، واخلاقه وحدوده في الدّنيا ، ومنها جسر جهنّم ، فمن الطّرق الموصلة الى ذلك في الدّنيا ، ما هو مستقيم ، وهو الطّريق الذي لا يتصوّر ان يوجد بين مقام القاصد والمقصد طريق اقرب منه ، ومنها ما ليس كذلك ، والاوّل واحد ، والثّاني يتعدّد الى ما شاء الله من الطّرق المعوجة ، بحسب انفاس الخلايق غير الاكمل منهم ، ولكن بعض هذه قريب من الاستقامة وبعضها اقرب ، وهكذا بعضها بعيد وبعضها ابعد ، حتّى ينتهي الى طريق ابغض الخلايق ، وابعدهم من الله ، وهو ابليس واخوانه في المبعوضيّة ، والاكمل طريقه الى الله اقرب من الكلّ ، وهو الذي يكون معرفته بالله تعالى وباسمائه وصفاته وافعاله ، اكمل المعارف ، واخلاقه احسن الأخلاق ، ومزاجه اعدل الامزجة ، هذا بالنّسبة الى الأقرب الواقعي من بين الطّرق كلّها ، وأمّا بالنّسبة الى كل فرد فرد فأقرب طرقه يلاحظ الى حاله الفعلي ، وتفصيل هذا الاجال : أنّ كلّ انسان له قوس نزول من عالم الغيب الى هذا العالم ، وقوس صعود منه الى عالم الغيب ، والانسان من حين تولّده ، بل من أوّل خلق نطفته ، بل تربته

في هذا العالم ، ساير الى عالم الغيب ، نعم ما دام لم يلج فيه الرّوح ، فسيره في هذا العالم ، ومن بعد ما ولج فيه الرّوح ، سيره في عوالم الغيب بروحه ، أمّا سير تربته الى عالم الغيب من جهة ترقيّه من عالم الجماد الى النّبات ، حتّى يصير غذاء للانسان ، فيصير الغذاء جزء بدن انسان ثمّ يصير نطفة ، ثمّ علقه ، ثمّ عظماً ، فكسونا العظام لحماً ، فخلقناه خلقاً آخر ، فبارك الله احسن الخالقين ، وهكذا يترقّى بعد ولادته بكمال شعوره حتّى يصل الى اوان البلوغ ، وعند ذلك يكمل عفله ، بحيث يشرف بتشريف التّكليف ، وعند ذلك يتعين له ان يختار السّير في عوالم الغيب الى طريق السّعادة . والقرب والمعرفة والجنّة ، او الى طريق الشّقاوة والبعد ، والجهل ومهوى دركات السّجين ، بارادته لانه يكشف له بطريق العقل والشرع عن النّجدين ، اي طريقي السّعادة والشّقاوة ، والجنّة والنّار ، والقرب والبعد ، فيختار السّعادة بتحصيل اخلاق الرّوحانيّين ، وتكميل ملكات المقرّبين ، ومعارف اهل اليقين من الايمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر حتّى يلحق بالعلّيين ، او الشّقاوة بالاشتغال بالشّهوات ، وسلوك طريقة الشّياطين في اعمال الحيل ، والخداع في تحصيل اسباب الالتذاذ ، والانهماك في شهوات هذه الدّنيا الدّنيّة وزخارفها بالكفر بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وجحده ، والخلود الى الأرض حتّى يلحق بحزب الشّياطين ، في مهوى دركات السّجين ، وكلّ حركاته الاختياريّة ، مؤثّرة في روحه ، وحقيقته ، وقلبه اثرأ مقرباً له من الله ، ومن الرّوحانيّة ، او مبعداً حتّى المباحات ، وكلّ اثر يحصل في الرّوح والقلب بمنزلة قدم في السّير الى الجنّة او النّار ، فان كانت هذه الحركة ازيد الحركات المفروضة في هذا الان له في حصول القرب ، والرّوحانيّة ، واسرع في الايصال ، فهو سير في اقرب الطّرق ، والآ فبقدر نقص الحركة في حصول القرب ، وبطئه ، يكون الطّريق بعيداً ، ومن الحكمة الالهية أنّه جعل لكلّ عمل مؤثّر في القلب قرباً ، او بعداً تأثيراً في التّوفيق ،

والخذلان ، فإنَّ عمل الخير يجعل القلب صالحاً ، ومستعداً لانتشاء
 اعمال الخير ويسمى ذلك توفيقاً وعمل الشر يجعله يستعد لانتشاء
 اعمال الشر ويسمى خذلاناً ، وعند التوفيق يظهر غلبة الملائكة الموكِّلين
 لالهام الخير في القلب ، على الشياطين الموسوسة فيه بالشرّ ، وعند
 الخذلان يظهر غلبتهم على الملائكة ، فقلب المؤمن دائماً بين اصبعي
 الرحمن ، يقلبها على طبق اثرات اعمالها الماضية ، ويحصل من هذه
 التقلّبات السير ، أما الى جنة او نار ، فالسائر هو الروح الانساني ، وسيره
 حركاته المائلة الى الخير ، او الشرّ في نفسه ، يضع قدمه على رأسه ،
 ورأسه على قدمه ، وحاصل سيره حصول الاوصاف الروحانية او
 الطَّبِيعِيَّة ، واثـر الحاصل حصول القرب ، او البعد ، ثمَّ انَّ منشأ هذه
 الحركات المؤثّرة في القلب ، ايضاً صفات القلب السابقة على
 الحركات ، من مراتب المعرفة ، والعلم ، والكفر ، والجهل اللاّزمة لا
 لوصاف الذاتية المقتضية لها ، وبعبارة اخرى الصّفات الّتي اقتضتها ذات
 الانسان ، وتعيّن لها بحكم الحكيم تعالى عند تعيّن انيّته ، وايجاد ماهيّته
 في الخارج ، فإنَّ لسان حال كلّ ماهيّة ، سائل من الجواد الحكيم ، ان
 يهب له ما يناسبها من الصّفات ، وسؤال لسان الحال لا يردّ ابداً ، وهذه
 الصّفات الذاتيّة ، اقتضت صفات اخرى مؤثّرة في اعمال الجوارح المؤثّرة
 ايضاً في تقلّب القلب ، وتأثيره بالاثـرات النوريّة الروحيّة او الظلمانيّة
 الطَّبِيعِيَّة ، وكلّ اعمال الجوارح انّما يوجد بحكم الحكيم تعالى بواسطة
 ارادة العامل ، والـاوصاف المؤثّرة في ارادة الخير والشرّ ، وانّما هي
 مسألة انيّته ، وما هيّته عن الجواد الحكيم ، ان يهبها له فهو باقتضاء
 ماهيّته سئل ربّه ان يؤتيه توفيق سلوك طريق السّعادة ، والجنة والقرب
 والزلفى ، او خذلان سلوك طريق الشّقاء والنّار والبعد ، وهذا احد وجوه
 قولهم : لا جبر ولا تفويض ، بل امر بين الأمرين ، وجه نسبة الخير الى
 الله والشرّ الى العبد ، ونسبة خلقهما معاً الى الله ، واذا تمّهدت هذه
 المقدمات ، تبين منها صحّة اطلاق الصّراط على الصّورة الانسانيّة ، اي

صفاتها ، واطلاقه على الامام ، وعلى هداه ، وعلى الشريعة ، وعلى جسر جهنم ، فإنّ كلّها طريق الى الجنّة ، والى عالم النور والزّلفى ، ثمّ أنّ الطّريق المستقيم المطلق ، ليس الآ لمن كان معارفه بالله ، وباسمائه وصفاته ، وافعاله ، وملائكته وكتبه ورسله وشرايعه ، حتّى علم كلّ حركة وسكون مطابقاً لما في الواقع ، ممّا حكم به وبكمّه وكيفه ، حكمة الحكيم تعالى ، واخلاقه كلّها معتدلة بين الافراط والتّفريط ، لا تميل عن الاعتدال مقدار ذرّة الى الطّرفين ، ومزاجه اعدل الامزجة ، لأنّ للمزاج ايضاً تأثيراً في الافعال والأعمال ، نظير تأثير الاخلاق فيها ، ومع ذلك يساعده التّوفيق والعصمة من الله ، حتى يكون سلوكه في اقرب الطرق حقيقة ، وأنّما شرطنا مع ما ذكر التّوفيق والعصمة ، لأنّ للحوادث الكونية ايضاً تأثيراً في ذلك ، وهو لا يستقيم الاّ بهما ، ولذلك أيّد الله المعصومين بالروح القدس ، بل تولّى الله بلطفه رياضة قلوبهم بالخوف والرّجاء ، كما اشير اليه في بعض الزّيارات والطّريق المستقيم لكلّ مكلف هو اقرب ما يمكن له بلحاظ خصوص صفاته الذاتيّة من الطّرق المؤدّية الى مقام قربه الممكن له في حقّه ، وهو ان يكون جميع حركاته الاختياريّة انفع له في مرتبته من ايصاله الى رضا ربه ، حتّى أنّه لو فرض انّ اشتغاله بصلاة ليالي رجب ، انفع له من اشتغاله بمطالعة الكتب العلميّة ، او بالعكس ، او افطاره مع قوّة العبادات انفع له من صومه ، من جهة الضعف ، كان اقرب طرقه الانفع ، بل ويمكن ان يكون في بعض الاحيان له ترك الأعمال الخيريّة انفع ، كما ورد في ذلك ، انّ العبد قد يحرم ليلة اوليلتين من التّهجد ، لثلاً يدخله العجب ، بل وروى أنّه قد يتلى باللّم لحفظه من العجب الذي هو اخسر منه ، وبالجملّة الصّراط المستقيم لكلّ نفس في كلّ يوم ، بل في كلّ نفس وحركة وسكون ما يكون انفع له بالنسبة الى حاله الحاضر وما بعده في سلوك طريق الخير والسعادة ، فمن وفقّ لذلك : فهداية خاصّة من الله تعالى والاّ فهذه العلوم الاكتسابية لا يحيط بجهات هذا المراد ، ولعلّ لذلك

ورد أنه: ادقّ من الشّعر ، ولصعوبة العمل بعد الهداية ، وردانه احدّ من السّيف ، ثمّ إنّ الّذي في رواية امير المؤمنين (ع) إنّ المراد في طلب الهداية في هذه السّورة ، أنّها هو الثّبات على الهداية السابقة ، وإذا يمكن ان يكون المقصود من الصّراط ، الايمان كما يشير اليه بعض الرّوايات ، او يكون هذا المراد مختصّاً به ، وبامثاله من المعصومين فإنّهم لا يتفاوت احوالهم في الهداية بانواعها ، وجهاتها ، فيكون مطلوبهم ، ومسئولهم ان يهديهم الله في اللاحق مثل ما يهديهم في السّابق ، وهذا معنى الثّبات ، وأمّا امثالنا فالمطلوب ان يزيدنا ربّنا هدايتنا في الاتية على السّالفة ، حتى نهتدي الى السّير في حظائر القدس . والسلوك في مقامات الانس بانطماس آثار العلايق الجسمانيّة والطّبيعيّة ، وظهور انوار التجلّيات الالهية الجماليّة والجلاليّة ، وانكشاف الاسرار الغيبيّة .

هذا ولا يذهب عليك ، أنّ كلّ جماد ونبات ، وحيوان ما لم يصل الى حدّ الانسان المكلف ، أنّما سيره وحركته من أوّل تكوّنه بحركته الكميّة والكيفيّة ، بل الصّور الجوهريّة على صراط مستقيم ، بمعنى خروجه تدريجاً من القوّة الى الفعل ، حتّى ينتهي الى كماله اللّايق بنوعه ، وشخصه في الفعليّات اللّايقة به ، ان لم يمنعه مانع وأمّا الانسان بعد الوصول الى اوان الاختيار المعتبر في التّكليف ، فقد يخرج في سيره النّفساني من القوى الى الفعليّات اللّايقة بنوع الانسان ، من دون تخلّل فعليّة مخالفة لنوعه ، بين تلك الفعليّات حتّى يصل الى اقصى درجات المراتب من الفعليّة اللّايقة بالانسان الكامل ، وهذا نادر ، وهذا هو السّائر في الصّراط المستقيم الانساني والاغلب أنّما يخرج بعد وجود الحركة الاختياريّة فيه من القوى الى الفعليّات ، مع تخلّل الفعليّات الغير اللّايقة ، فيكون سيره لا على الصّراط المستقيم الانساني ، بل قد يكون سيره بسوء اختياره في الاعوجاج ، بحيث ينتهي به الى اخسّ مراتب من

الفعليّات اللَّايقة للبهائم والسَّباع ، بل الشَّياطين ، وقد يقف فيمسخ بصورته الفعليّة الّتي هو عليها ، نعوذ بالله من خزي الدُّنيا والاخرة ، ثمَّ أنّك سمعت في الاخبار ، أنّ الصّورة الانسانيّة هو الصّراط المستقيم الى كلّ خير ، وذلك أنّ حركة الانسان نحو كمالاته الّتي فيها كلّ خير وسعادة ، إنّما هو بالحركة الكيفيّة والحركة الجوهرية ، فالطريق في ذلك هي مراتب الكيف والصّور المتعاقبة على الجوهر الانساني من الملكات الشريفة ، وانوار المعارف الرّبّانية ، فالسّالك جوهر الانسان ، والمقصد كماله ، والطريق تحصيل هذه الملكات ، وانوار المعارف والمعلوم ، ففي هذه الحركة يوجد الطريق بنفس السّير ، لا قبله ولا بعده ، ثمَّ أنّ نور المعرفة عبارة عن ظهور مراتب النفس والرّوح ، والعقل ، فالنور بلحاظ طريق ، وبلحاظ مقصد ، وبلحاظ سالك ، ثمَّ أنّ حقيقة علي (ع) وحقيقة الائمة (ع) من جهة أنّها نور الانوار ، واصل كلّ نور ، وهو نور الله في العالمين ، فهو في الحقيقة صراط الله المستقيم ، بلا تجوُّز ، وهو وجهه الله الَّذي اليه يتوجّه الاولياء وهو جنب الله الَّذي اليه مصير العباد ، كما في الزّيارة الجامعة واياب الخلق اليكم .

﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ هذا تفصيل للمراد من الصراط المستقيم وهم شيعة امير المؤمنين من الامة وصراطهم بعينه اخلاقهم ، واوصافهم واعمالهم الّتي اشار الى جملتها هو (ع) حين سئله الهمام عن ذلك ، فقال : هم العارفون بالله ، العاملون بامر الله ، اهل الفضائل ، النّاطقون بالصّواب مأكّلهم القوت وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، ثمَّ أنّ وصف الصراط المستقيم بذلك ، يمكن ان يكون لالارشاد الى حقيقته الَّذي هو عبارة عمّا بين الافراط والتفريط في حقّ الولي وما بين الغالي والقلالي ، والاقتصاد في الاخلاق او في حقّ الغير لدفع توهم ان يراد به صراط كلّ نفس الى كماله اللّايق بشخصه الَّذي يقتضيه ذاته ، ولوازم ذاته بحكم اقتضاء اسماء الله تعالى له ، مثلاً الصّراط المستقيم

ليس من جهة ماهيته وصفاته الذاتية وما يوصله الى اسفل الدركات ، فكأنه يقول : اهدنا الصراط المستقيم الذي استقامته واقعية ، موصلة الى رضاك وجوارك ، وهو صراط الذين انعمت عليهم ، من شيعة امير المؤمنين ، لا الى صراطي الذي استقامته موصلة الى ما يقتضيه ذاتي وصفاتي ، وبعبارة اخرى اهدني الى الصراط الذي يقتضيه فضلك ، وانعامك لا الى ما يقتضيه عدلك ، وهو صراط الذين انعمت عليهم بولاية امير المؤمنين .

﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ من الضالين والمنكرين .

﴿ ولا الضالين ﴾ فيه بالغلو ، ثم ان تغيير الاسلوب في غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، مع ما قبلها حيث ، قال في الاول : الذين انعمت عليهم ، ولم يقل في الثاني : غير الذين غضبت عليهم ، لعله للاشارة الى ان النعمة نسبتها اليه تعالى اصلي ابتدائي والغضب تبعي من جهة اقتضاء صفات العبد ذلك ، كما اليه الاشارة في قوله تعالى : ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك . هذا

وفي ثواب الاعمال باسناده عن ابي عبد الله (ع) انه قال : اسم الله الاعظم ، يقطع في ام الكتاب .

عن العياشي عن النبي (ص) ان ام الكتاب افضل سورة انزلها الله في كتابه ، وهي شفاء من كل داء الا السام اي الموت .

اقول : اطلاق ام الكتاب لعله لاشتماله لكل ما في الكتاب ، كما ورد التصريح ، به فيما روى عن امير المؤمنين (ع) انه قال : كل ما في القرآن في الحمد ، وكل ما في الحمد في البسملة ، وكل ما في البسملة في الباء ، وكل ما في الباء في النقطة ، وانا النقطة تحت الباء .

وروي ايضاً بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميز العابد من المعبود .

اقول : مقام العبودية المطلقة ، مقام الولاية ، لانه درجة الفقر

المطلق وبعدها مقام الألوهية .

كما روي عن النبيّ (ص) الفقر فخري ، ولعلّه المراد من قول القائل : اذا تمّ الفقر ، فهو الله ، بلحاظ دلالة الفاء على التعقيب ، بل لعلّه المراد من قول الصادق (ع) في مصباح الشريعة : العبودية جوهرة كنهها الربوبية .

وهذا كلّ من شؤون ما ذكرناه سابقاً عند ذكرنا لهذا الخبر أنّه يعرف من بعض الاخبار :

انّ الله تعالى خلق عالم الحروف في قبال ساير العوالم ، فالالف كما في بعضها للاشارة الى مقام الألوهية ، والباء اشارة الى مرتبة المخلوق الاول ، والنقطة اشارة الى جهة انيته وماهيته .

وعن العيون عن الصادق (ع) عن آبائه عن امير المؤمنين (ع) ، قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله عزّ وجل : فاتحة الكتاب بيني ، وبين عبدي فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل اذا قال العبد ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قال جلّ جلاله : بدء عبدي ، باسمي وحقّ عليّ ان اتمّم اموره ، وبارك له في احواله ، واذا قال : الحمد لله ربّ العالمين ، قال جلّ جلاله : حمدني عبدي ، وعلم انّ النعم التي له من عندي ، وانّ البلايا التي اندفعت عنه فبتطوّلي ، اشهدكم انّي اضيف له الى نعم الدنيا نعم الآخرة ، وأدفع عنه بلايا الآخرة ، كما دفعت عنه بلايا الدنيا وإذا قال : الرحمن الرحيم قال جلّ جلاله : شهد بأنّي الرحمن الرحيم اشهدكم لأوفرّن من نعمتي حظّه ، ولأجزلّن من عطائي نصيبه ، فاذا قال : مالك يوم الدين :

قال الله تعالى : اشهدكم كما اعترف بأنّي الملك يوم الدين ، لاسهلّن يوم الحساب حسابه ، ولاقبلنّ حسناته ، ولاجاوزنّ عن سيئاته فاذا قال العبد : اياك نعبد ، قال الله : صدق عبدي اياي يعبد ، اشهدكم

لائيَّته على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي ، فاذا قال :
 وآياك نستعين ، قال الله تعالى : بي استعان ، واليَّ التجأ ، اشهدكم
 لاعيَّته على امره ، ولاغيَّته في شدايده ، ولاخذن بيده يوم نوائبه ، فاذا
 قال : اهدنا الصراط المستقيم ، الى آخر السورة ، قال الله : هذا
 لعبدي ، ولعبي ما سأل ، فقد استجبت لعبدي ، واعطيته ما امل ،
 وامنته ممّا منه وجل .

اقول : سبحانه من كريم ، ما اكرمه ، اين الغافلون ، اين العالمون ،
 ليقدروا موقع هذا الكرم ، ويوحّدوه سبحانه في هذه الجهة من عطية كرمه
 ايضا ، كما وحدوه في ساير صفاته العليا ، ويحكموا عقولهم فيما يجب
 عليهم في شكر هذه الكرامة العظمى ، ويعترفوا بأنهم لو صرفوا تمام
 عمرهم في شكرها لمّا ادّوا شيئاً من حقّه الواجب ، كيف والهنا جلّ
 جلاله من لطفه وعنايته اوجب لعبيده هؤلاء الاذلاء ، الصلوة ، واذن لهم
 في ذكره وعبادته ، وجعل عبادتهم سبباً لمغفرة ذنوبهم ، واصلاح
 عيوبهم ، وترقياتهم الى الدّرجات العلى ، وشرفهم في تكليفهم
 بالصلوة ، بهذا التّشريف ، ثم يرضى لهم ان يناجوه في صلواتهم ، ويترك
 جوابهم ، ويقنع بجزائهم عن جوابهم ، بل ولا يرضى جوابهم بمقدار
 سؤالهم ، ويزيد في اكرامهم بالجواب عن المساوات .

وفي بعض الأخبار ان الله تبارك وتعالى يقول بعد القراءة : انّ له
 بكل حرف درجة من فلان وفلان ، يعدّ الجواهر ، ودرجة من نورى على
 ما ببالي من لفظ الخبر .

﴿قل هو الله احد﴾ عن الباقر (ع) :

قل ، اي (١) اظهر ما اوحينا اليك ، وبعتناك به بتأليف الحروف
 الّتي قرأناها لك ، ليهتدي بها من القى السّمع وهو شهيد ، وهو اسم

(١) رواه في تفسير البرهان .

مكّنّى مشاربه الى الغايب ، فالهاء تنبيه على معنى ثابت ، والواو إشارة الى الغائب عن الحواس « الخ » .

اقول: لفظه : هو اسم للذات في مرتبة غيب الغيوب ، ولفظة الجلالة ايضاً اسم للذات ، ولكن من حيث جامعيتّه لجميع الصفات الكمالية .

الاحد : اي الفرد المتفرد الذي ، لا ينبعث من شيء ، اي احدي المعنى ، لا ينقسم في عقل ، ولا وهم ، ولا وجود .

الله الصمد : اي السيّد المصمود اليه ، والذي لا جوف له ، والذي لا يأكل ولا يشرب ، والذي لا ينام ، والدائم الذي لم يزل ولا يزال ، والفرد بالهيتّه ، المتعالى عن صفات الخلق .

وعن الصادق (ع) ، عن ابيه أنّه كتب اهل البصرة الى الحسين (ع) ابن علي (ع) ، يسئلونه عن الصمد ، فقال : كتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول من قال في القرآن بغير علم ، فليتبؤ مقعده من النار ، وان الله فسّر الصمد ، فقال : قل هو الله احد ، الله الصمد ، ثمّ فسّره ، فقال : لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد .

لم يلد : لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ، وسائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا تنشعب منه البدوات كالسنّة والنّوم ، والخطرة ، والهّم والحزن ، والضّحك ، والبكاء ، والخوف ، والرّجاء ، والرّغبة ، والسّامة ، والجوع ، والشّبع ، تعالى عن ان يخرج منه شيء ، وان يتولّد منه شيء ، كثيف او لطيف .

ولم يولد : لم يتولّد من شيء ، ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء ، الكثيفة من عناصرها ، كالشيء من الشيء ، والدّابة من

الدَّابَّة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الاذن ، والشم من الانف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الاشياء ، وخالقها ، ومنشئ الأشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذالكم الله الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ عن الصادق (ع) انه ورد وفد من فلسطين على الباقر (ع) ، فسئلوه عن مسائل ، فاجابهم ، ثم سئلوه عن تفسير الصمد :

فقال : في الصمد خمسة احرف فالالف دليل على انيته ، وهو قوله : شهد الله انه لا اله الا هو ، وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواس

واللام دليل على الهيته ، بانه هو الله ، والالف واللام يدغمان ، ولا يظهران على الحواس ، ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة ، دليلان على ان الهيته بلطفه ، خافية لا تدرك بالحواس ، ولا يقع في لسان واصف ، ولا في اذن سامع لان تفسير الاله ، هو الذي اله الخلق عن درك ماهيته ، وكيفيته بحس او بوهم ، لا بل هو مبدع الاوهام ، وخالق الحواس ، وانما يظهر ذلك عند الكتابة ، فهو دليل على ان الله اظهر ربوبيته في ابداع الخلق ، وتركيب ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة ، فاذا نظر العبد الى نفسه ، لم ير روحه ، كما ان لام الصمد لا يتبين ، ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس ، فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ما خفى ، ولطف ، فمتى تفكر العبد في ماهية الباري ، وكيفيته ، اله فيه ، وتحير ، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لانه عز وجل خالق

الصّور ، فاذا نظر الى خلقه ثبت له أنّه خالقهم ، ومركّب ارواحهم في اجسادهم .

وامّا الصاد : فدليل على أنّه عزّ وجلّ صادق ، وقوله صدق وكلامه صدق ودعى عباده على اتباع الصّدق بالصّدق ، ووعد بالصّدق دار الصّدق .

وامّا الميم : فدليل على دوام ملكه ، وأنّه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزّوال ، بل هو عزّ وجلّ مكّن الكائنات الّذي كان بتكوينه كائن .

ثمّ قال (ع) قال : لو وجدت لعلمي الّذي اتاني الله عزّ وجلّ حملة ، لنشرت التوحيد والاسلام والايمان ، والدين والشرايع من الصّمد ، وكيف لي بذلك ، ولم يجد جدّي امير المؤمنين عليه السّلام حملة لعلمه ، حتّى كان يتنفّس الصّعداء ، ويقول ، على المنبر : سلوني قبل ان تفقدوني ، فانّ بين الجوانح مني لعلماً جمّاً آه آه ، الا لا أجد من يحمله ، واني عليكم من الله الحجة البالغة .

اقول : هذه جملة ما تيسّر لي الى الان من اخبارهم في تفسير السّورة ، ولعلّ ما لم اذكر ازيد ممّا ذكرت ولكن في ذلك كفاية لمن عقل ، وتفكّر فيها بنور من الله ، فلفظة هو اشارة الى مرتبة غيث الغيوب ، ولفظة الله الى مرتبة ظهور الاسماء اجمالاً ، ولفظة الاحد الى تفرّده ، واصالته ، وأنّ مبدئيّه للاشياء ليس كمبدئية ساير الاشياء بعضها لبعض ، وأنّ الوجود الحقيقي مختصّ به ، والاشياء كلّها قائمة بقيوميّته وقدرته وليست احاطته للأشياء كاحاطة بعضها ببعض ، حتّى العقل بالمعقولات ، فانّ احاطة كلّ منها الى غيره يشبه باحاطة المجوّف لما في جوفه الاّ الله المحيط الصّمد الّذي ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، هذا .

والأخبار في فضلها ، وفضل قرائتها كثيرة .

وفيها ، أنّ من قرئها ثلاث مرات ، فكأنّه قرء القرآن كلّهُ .

وفيها أنّ من مضت عليه جمعة ، ولم يقرء بقل هو الله احد ، ثمّ مات مات على دين ابي لهب .

وفيها : أنّ من اصابه مرض ، او شدّة فلم يقرء في مرضه او شدّته بقل هو الله احد ، ثمّ مات في مرضه وفي تلك الشدّة التي نزلت به فهو من اهل النار .

وفيها أنّه جاء رجل الى النّبّي (ص) فشكى اليه الفقر ، وضيق المعاش فقال له رسول الله (ص) اذا دخلت بيتك فسلّم ان كان فيه احد ، وان لم يكن فيه احد فسلّم ، واقرء قل هو الله احد مرّة واحدة ، ففعل الرجل فافاض الله عليه رزقا ، حتّى افاض على جيرانه .

وفيها أنّ من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يدع ان يقرء في دبر الفريضة بقل هو الله احد ، فإنّه من قرئها جمع له خير الدّنيا والاخرة ، وغفر الله له ، ولوالديه وما ولدا .

اقول : اجمال ما دلّت عليه هذه الاخبار من معاني الفاظ هذه السّورة ، ان هو اشارة الى الذات الغائبة عن الحواس والاولهام ، والله اي المعبود المفزع الذي تحرّ الخلق عن درك ماهيّته .

الاحد اي الفرد الحقيقي الواقعي معنى وخارجاً ، الاحدي المعنى لا ينقسم في وهم ، ولا عقل ولا وجود ، الصّمد اي السيد المصمود الذي لا جوف له ، والذي لم يخرج من شيء ، ولا يخرج منه شيء منشئ الاشياء ، وخالقها .

ولم يكن له كفواً احد ، هذا كفى للقراءة .

وامّا تكبير الرّكوع ، ولعلّ المناسب ان يقصد به تكبيره تعالى من تجويز ان يقدر احد ان يقوم بعبادته ، ويكون قصده من رفع اليد ايضاً ،

التبرّي من هذا الاعتقاد ، فينحطّ عن حال القيام للركوع ، والتواضع عن قوّته وقدرته ، واراדתه ويتأدّب لله بهذا الخضوع ، ويذكر ذكر الركوع ، ويريد من تسبيحه تنزيه ربّه عن الشريك في الارادة .

ثمّ انّ تسبيحه تعالى أنّما هو قضية صفاته الجلالية السلبية وأصل صفاته الجلالية السلبية راجع الى سلب الحدود، وسلب الحدود راجع الى سلب السّلوب، ومصادق سلب السّلوب فيه تعالى ليس الا سعة الوجود، هذا بخلاف تنزيه الممكنات ، فإنّ السّلوب الرّاجعة اليها، أنّما هو بسلب الوجودات التي هي منتزعة من حدود وجوداتها ، لا من وجوداتها ، فتسبيحه تعالى ، أنّما هو بما يحمده به ، فلذلك يقرن تسبيحه في الاغلب بحمده ، كما في تسبيح الركوع والسّجود ، ومن ذلك قوله تعالى : فسبّح بحمد ربّك ، هذا وحقيقة تنزيهه تعالى ان يعتقد العبد بسلب النقايص بجميع وجوهها عن الله جلّ جلاله ، بقلبه ويعمل بمقتضى ذلك بجوارحه ، وهو يقتضي كمال اغلب الصّفات الحسنة في العبد ، من الاخلاص ، والصدّق ، والتّوكل ، والتّسليم ، والرّضا ، والتّوحيد ، لأنّ العبد اذا اعتقد كماله تعالى من جميع الوجوه ، لا بدّ ان يعتقد كمال قدرته ، وعنايته وعلمه ، وتوحيده تعالى في ذلك كلّ ، فلا مناص له الاّ من هذه الصّفات المذكورة ، لأنّه ان لم يعتقد الضّر والنفع من غيره ، لا يراقبه في اعماله ، وافعاله ابدأ ، وذلك يتمّ به الاخلاص ، والصدّق ، واذا عرف علمه تعالى بصلاح نفسه وكمال عنايته في حقّه وقدرته الكاملة على اصلاحه ، يتمّ له الثلاثة الاخيرة ، واذا اعتقد كماله من حيث انتفاء الشريك ، ومن حيث انتفاء الانقسام والتّجزية في الوهم ، والعقل والوجود لتّم له التوحيد بمعنييه اللذين ، يجوزان عليه تعالى ، كما وجد في كلام امير المؤمنين ، سيّد الموحّدين (ع) في تفسير الوحدة ، التي تجوز على الله ، واجماله انّ ما يليق ان يراد من معنى الواحد عليه تعالى ، اثنان .

احدهما أنه لا شريك له .

وثانيهما أنه احديّ المعنى ، وكلا المعنيين قضية سلب النقايس ،
التي هي اضداد الكمال ، فحال التّسبيح في العبد ، ان يكون قلبه
معتقداً في ربّه الكمال من جميع الوجوه ، ويكون جميع حركاته وسكناته
ناشئة من هذه المعرفة ، هذا في التّسبيح الكامل المطلق ، واما التّسبيح
المقيّد ، فهو ايضاً بحسب القيود ، مثلاً التّسبيح الرّكوعي يشبه ان يكون
تنزيهاً من نقص الشّركة في الحول ، والقوّة والارادة ، كما يشعر بذلك :

ما في مصباح الشّريعة ، قال الصّادق (ع) لا يركع عبد لله تعالى
ركوعاً على الحقيقة ، إلّا زيّنه الله بنور بهائه واطّله في ظلال كبريائه ،
وكساه كسوة اصفياه ، والركوع أوّل والسّجود ثان ، ومن اتى بالأوّل
صلح للثّاني ، وفي الرّكوع ادب ، وفي السّجود قرب ، ومن لا يحسن
الادب لا يصلح للقرب ، فاركع ركوع خاضع لله عزّ وجلّ بقلبه ، متذلّل
وجل تحت سلطانه ، خافض لله بجوارحه ، خفض خائف حزين على ما
يفوته من فوائد الرّاكعين .

وحكي أنّ ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركوع
واحد ، فاذا اصبح يزفر ، فيقول : أوّه سبق المخلصون ، وقطع بنا ،
واستوف ركوعك باستواء ظهرك ، وانحطّ عن همّتك في القيام بخدمته ،
الآ بعونه وفرّ بالقلب عن وسوسة الشّيطان ، وخدايعه ومكايده ، فإنّ الله
رفع عباده بقدر تواضعهم له ، ويهديهم الى اصول التّواضع ، والخشوع
والخشوع بقدر اطلاع عظمتهم على سرايرهم - انتهى .

اقول : تأمل في هذه الكلمات ، وتحقّق بما فيها يكفيك في هذا
المقام فان تأملت في قوله الرّكوع أوّل ، والسّجود ثان ، وفي الرّكوع
ادب ، وفي السّجود قرب ، عرفت وجه ما ذكرته من الاستشعار ، فإنّ
التّبري عن الحول والقوّة والتوكل والتسليم ، التي هي قضية التنزيه عن
الشريك في الحول والقوّة والارادة من الادب، ومقام الفناء الذي لازمه

القرب ، الذي هو عبارة عن التنزيه السجودي من القرب ، وايضاً قوله :
وانحطّ عن همتك في القيام بخدمته الآ بعونه ، كالصريح في أنّ المراد
من الرّكوع هو الاشارة بالتّبري عمّا ذكر ، وتنزيه الرّب عن الشّريك فيها ،
وايضاً الجزاء الذي ذكر اولاً لمن اتى بحقيقة الرّكوع ، أنّما يناسب ما
ذكرنا من التّبري ، لأنّه المناسب بنور البهاء ، والاستظلال في ظلال
الكبرياء .

وبالجملة فمن كان مراعيّاً للأسباب وناظراً في الامور بتدبيره وحوله
وقوّته ، ومعتمداً عليها فهو لم يركع بحقيقة الرّكوع ، ولم ينزّه الله بتنزيه
الرّكوعي ، وان اطال الرّكوع وسبّح مائة مرّة .

وبالجملة حقيقة الرّكوع وروحه ان يكون قلب العبد على صفة
التّوكّل وعمله عمل المتوكّلين ، ولا يرى مدبراً ، بل ولا فاعلاً بالاستقلال
الا الله ، ويتبرّى عن الحول والقوّه ، ويكون كسبه وتشبّهه للأسباب من
جهة الامر ، ولا يمكن لمثل هذا ان يكون في كسبه حريصاً ، ولا اخذاً
للحرام ولا الشّبّهات بل ولا يمسك ولا ينفق الاّ الله ، وبامر الله ، بل
يكون الانفاق والامساك عنده على السّواء ، بل ويسوى عنده الوجود
والعدم ، والفقر والغنا ، وعند ذلك يتولّى الله تدبير اموراته بنفسه ، ولا
يكله الى غيره .

وأما القيام عن الرّكوع فليكن النية فيه الارتفاع بالله على اعدائه بعد
التواضع له .

وبرفع اليد لتكبيره التبرّي عن التواضع لاعدائه ثمّ أنّه يستحبّ
الاستيفاء بالرّكوع باستواء الظّهر ، وان يمدّ عنقه ، ناوياً بأنّي آمنت لك ،
وان ضربت عنقي ، ثمّ برفع راسك راجياً لقبول خضوعك ، وتسبيحك
وحمدك ، وناوياً الارتفاع على اعدائه بحوله وقوّته ، ومؤكّداً لرجائك ،
بقول سمع الله لمن حمده ، اي أجاب الله لمن حمده ، من دفأ ذلك بالحمد

والشكر بقول الحمد لله رب العالمين ، ثم تزيد في الخشوع والتذلل الى ربك بعد الارتفاع على اعدائه بقول اهل الكبرياء والعظمة ، والجود والجبروت ، كأنك بعدما قمت للعبودية ، اقتضى ذلك ، ان تتبرى من حولك وقوتك ، في القيام بعبوديته بالركوع ، وتنزهه تعالى عن الشريك في الحول والقوة ، واقتضى ذلك ان تظهر أنك مع ذلك ترتفع على اعدائه ، واعداً اوليائه بحوله وقوته ، واقتضى ذلك ايضاً ان تذكر بعد الارتفاع ذلك ، وكبريائه وعظمته في ذلك الارتفاع ، فيتم لك آداب العبودية علماً وعملاً ، ثم تترقى عن رؤية اداء حق ادب العبودية ، فتشرف بمقام القرب ، فكبر ربك عن الشريك ، فكانه اذا حصل لك القرب ، تجلى لك انوار جمال الاحدية ، واضمحلت عنده وجودات جميع الخلايق ، فكبرت ربك عن ان يكون له شريك في الكمال وخررت ساجداً لعظمته ، محتجبا عن جميع الاشياء ، ومنزهاً له عن كل ما يتوهم من النقايس المضادة للكمال ، حتى الشريك في الوجود الحقيقي ، فكانك لا ترى في الوجود الا الله ، وان وجودات جميع الممكنات كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء ، وترى ان وجود العالم كانه وجود خيالي ، والوجود الحقيقي العيني الخارجي هو وجوده تعالى ، بل ولا تلتفت الى غيره ابداً .

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : ما خسر والله تعالى قط من اتى بحقيقة السجود ، ولو كان في العمر مرة واحدة ، وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال تشبهاً بمخادع نفسه ، غافل لاه عن ما اعد الله للساجدين ، من البشر « الانس خ ل » العاجل ، وراحة الاجل ، ولا بعد عن الله ابداً من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابداً من اساء ادبه ، وضيع حرمة بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل علم انه خلق من تراب يطؤه الخلق ، وانه ركب من نقطة يستقذرها كل احد ، وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه

بالقلب ، والسّر والروح ، فمن قرب منه بعد عن غيره ، الا ترى في الظاهر ، أنّه لا يستوي حال السّجود ، الآ بالتّواري عن جميع الاشياء ، والاحتجاب عن كل ما تراه العيون ، كذلك امر الباطن ، فمن كان قلبه متعلّقاً في صلوته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته ، قال الله : ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وقال رسول الله (ص) : لا اطلع على قلب عبدي ، فاعلم فيه حبّ الاخلاص لطاعتي لوجهي ، وابتغاء مرضاتي ، الآ تولّيت تقويمه ، وسياسته وتقربت منه ، ومن اشتغل في صلوته بغيري ، فهو من المستهزئين بنفسه ، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين انتهى .

اقول : تأمل في الفاظ الرواية ، لعلك تجد لها دالة على ما ذكرنا من معنى حقيقة السّجود ، فانّ المعنى الذي من اتى به ، ولو في عمره مرّة واحدة لم يخسر ، لا يناسب الآ بما ذكرنا كما يشير اليه قوله من انس العاجل ، والانس لا يكون الا بتجلّي المطلوب ووصاله ، وكذا قوله : خلا برّبّه ، وكذا قوله : وقد جعل الله معنى السّجود سبب التّقرب اليه بالقلب ، والسّر والروح وليس في غير ما ذكرنا من المعنى هذه الخاصة فان التّقرب بالسّر والروح ، لا يكون الا بما ذكرنا ، وان كان ظاهر قوله : ممّن كان قلبه متعلّقاً في صلوته بشي دون الله ، فهو قريب بذلك الشيء اه - ، انّ المراد حضور القلب الذي يلزم في جميع احوال الصلوة ، من افعالها واقوالها ولكن الذي يعطيه حقّ التأمّل ، انّ هذا الذي ذكر اخيراً ، كانه صيغ لبيان امر عام لجميع اجزاء الصلوة ، وهو الحضور ، وذلك ايضاً يقتضي ان يكون حال السّجود كما ذكرنا ، لانّ حضور القلب في القيام مثلاً يقتضي الالتفات الى مقام العبوديّة والرّبوبيّة ، وفي الرّكوع يقتضي الالتفات الى الغير ، والى انّ الحول والقوة الحقيقيّة منفية عنهم ، والحضور المناسب للسّجود ، هو بالغناء عن الكلّ ، والحضور عند الرّبّ تعالى ، وهذا عين ما ذكرنا من المعنى .

وبالجملة التّواري ، والاحتجاب عن الكلّ بالبدن بهيئة السّجود
الظّاهريّة ، والتّواري بالقلب والسرّ والروح ، لا يكون إلّا بما ذكرنا .

هذا ولا يذهب عليك ، ما في الرّواية الاخيرة ، من وعد الله
لمحبّ الاخلاص ، فضلا عن المخلصين ، وان كنت تعجز عن نفس
الاخلاص ، فاحذر لا محالة عن التّواني من حبّ الاخلاص ، فتحرم من
كرامة تولّي الله جلّ جلاله تدبير امورك ، فتكون في صلوتك من
المستهزئين بنفسك ، وتلحق بالخاسرين .

ثمّ انّ السّجود من افضل الاعمال البدنيّة واجابها للنّور .

كما روي عن الصادق (ع) : وجدت النّور في البكاء والسّجدة .

وروي ايضاً أنّه اقرب حالات العبد الى الله ، لا سيما اذا كان
جايعاً وباكياً .

وورد فيه فضائل جمّة .

منها أنّه سئل جماعة عن رسول الله (ص) ان يضمن لهم على ربّه
الجنّة ، فقال : على ان تعينوني بطول السّجود ، قالوا : نعم فضمن لهم
الجنّة .

ومنها ما روي ، أنّه قيل للصادق (ع) : لم اتخذ الله ابراهيم خليلاً
قال : لكثرة سجوده على الأرض .

وروي ايضاً في الصحيح ، انّ العبد اذا صلّى ثمّ سجد سجدة
الشّكر ، فتح الرّبّ تعالى الحجاب بين العبد ، وبين الملائكة ، فيقول :
يا ملائكتي انظروا الى عبدي ، أدّى فريضتي ، واتمّ عهدي ، ثمّ سجد
لي شكراً على ما انعمت به عليه ، ملائكتي ماذا له قال : فيقول
الملائكة : يا ربّنا رحمتك ، ثمّ يقول الرّبّ تبارك وتعالى : ثمّ ماذا ؟
فيقول الملائكة كفاية مهمّاته ، فيقول الرّبّ ثمّ ماذا ؟ قال : فلا يبقى من

الخير شيء إلا قالت الملائكة ، فيقول الله تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟
فيقول الملائكة : يا ربنا لا علم لنا ، قال : فيقول الله تبارك وتعالى :
اشكر له كما شكر لي ، واقبل اليه واريه وجهي .

اقول : في هذه الرواية كفاية لمن كان له قلب ، او القى السمع
وهو شهيد .

اقول : روي عن اصحاب الائمة من طول السجود ، امر عظيم
هنيئاً لهم ، ولمن تبعهم .

مثل ما روي عن الكشي انه وجد في كتاب ابي عبد الله الشاذاني
بخطه ، سمعت ابا محمد الفضل بن شاذان يقول : دخلت العراق فرأيت
واحدا يعاتب صاحبه ، ويقول له : انت رجل عليك عيال ، تحتاج ان
تكتسب عليهم ، وما آمن ان يذهب عينك من طول السجود ، قال : فلمّا
اكثر عليه ، قال : اكرت عليّ ويحك لو ذهب عين احد من طول
السجود ، لذهبت عين ابن ابي عمير ، ما ظنك برجل سجد سجدة
الشكر بعد صلاة الفجر ، فما رفع رأسه الا عند الزوال .
وروي ايضاً عنه .

قال : وذكر ابو القاسم نضر بن الصباح عن الفضل بن شاذان ،
قال : دخلت على محمد بن ابي عمير ، وهو ساجد فاطال السجود ،
فلما رفع رأسه ، وذكر له طول سجوده ، قال : كيف لو رأيت جميل بن
درّاج ، ثم حدّثه انه دخل على جميل بن درّاج فوجده ساجداً فاطال
السجود جدّاً ، فلما رفع رأسه ، قال له محمد بن ابي عمير : اطلت
السجود ، فقال : كيف لو رأيت معروف بن خربوز .

هذا وطول سجود السجّاد ، والكاظم معروف .

اقول : كان لي شيخ جليل عامل عارف كامل قدّس الله تربته ، ما

رايت له نظيراً في المراتب المذكورة ، سئلته عن عمل مجرب يؤثر في اصلاح القلب ، وجلب المعارف ، فقال قدس سره العزيز ، ما رأيت عملاً مؤثراً في ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كل يوم وليلة مرة واحدة ، يقال فيها : لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، يقول : وهو يرى نفسه مسجونة في سجن الطبيعة ، ومقيدة بقيود الاخلاق الرذيلة ، مقرأً بأنك لم تفعل ذلك بي ، ولم تظلمني ، وانا الذي ظلمت نفسي ووقعتها في هذا الحال ، وقراءة سورة القدر في ليلة الجمعة ، وفي عصرها مائة مرة ، وكان اصحابه عاملين بذلك ، كل منهم على حسب مجاهدته .

وسمع عن بعضهم ، أنه كان يقوله : ثلاثة الاف مرة .

وبالجملة هذه السجدة ، وبركاتها معروفة عند العاملين بها ، ولكن بشرط المداومة وكيف كان سئل امير المؤمنين (ع) عن معنى السجدة الاولى ، قال : تأويلها اللهم انك منها خلقتنا ، يعني من الأرض ، وتأويل رفع رأسك ، ومنها اخرجتنا ، والسجدة الثانية ، واليها تعيدنا ، ورفع راسك ، ومنها تخرجنا تارة اخرى .

اقول : والذي يفهم من تفسير الامام ، ان النية من رفع الرأس في السجدة الاولى ، قصد الارتفاع على اعداء الله ، واعداء اوليائه .

ويمكن الجمع ، بان الاول اشارة الى مطلق الخروج الى الدنيا ، والثاني اشارة الى حكمه ، وهو الايمان بالله ، وباوليائه .

ثم ان السجود من جهة انه صورة مقام الفناء ، الذي هو اقصى درجات الاستكانة ، ولذا ناسب ان يوضع فيه اعز الاعضاء على ارض الاشياء ، ووجب ان يذكر الله عند تسبيحه باسمه الاعلى ، فاذا اتى العبد بذلك ، فرق قلبه ، وطهر لبه برّد الفرع على اصله ، ووضع نفسه موضعه ، شملته العناية الربانية لان عنايته تتسارع الى مواضع الدّل ،

ومراكز الاضطراب ، وايّ ذلّ اذلّ من مقام الفناء ، وايّ اضطراب اشدّ من اضطراب وجه العبوديّة ، ثمّ أنّه اذا اتمّ سنن العبوديّة بالفناء عن نفسه ، ثمّ الارتفاع برّبّه ، كبرّ وسأل ربّه مغفرة ذنوبه ، وتقصيره وقصوره في درجات احوال الارتفاع ، فأنّه غامض علماً وعملاً ، لكونه موافقاً لهوى النّفس ، ثمّ يؤكّد ذلّه بعد الارتفاع بالسّجدة الثّانية ، وتسبيح ربّه الأعلى بحمده ، فكانه اتمّ فئاته عن نفسه ، بالفناء عن جميع آثاره ، فاستحقّ بذلك اقصى مقامات العبوديّة ، ومقام الشّهود ، والبقاء الابدّي ، فيرفع رأسه ، تأدّباً للقيام بالعبوديّة ، والبقاء بالله في مقام الشّهود ، فيتشّهّد فيه بالتّوحيد ، ويقرنه بالشّهادة بالرّسالة ، فيصلّي على النّبّي وآله ، شكر النّعمة هدايتهم بذلك المقام الاسنى ، او يقصد بها التّحية بحضار مجلس الحضرة ، فيخصّ بها مقرّبي ملك الحضرة .

ثمّ يقوم للرّكعة الثّانية ، ويزيد فيها القنوت بعد السّورة ، ويطيل فيه جدّاً ، ويختار من الدّعوات الواردة فيه ، وفي غيره الزّمها واجلّها ، وما يؤثر في رقة القلب ، ويراعي في ذلك شرائط الدّعاء ما يمكنه ، فمن اطال قنوته ، واحسن دعائه فيه ، فقد احرز حظّه من كل السّعادات ، فإنّ الدّعاء من اوسع ابواب الرّحمة ، وهو طريق مستقلّ قبال طرق الخير كلّها الى جميع السّعادات ، وانا اخترت لقنوت الصّبح والمغرب دعوات من ادعيّة ائمتنا (ع) ، ولو في غير القنوت ، ولا بأس به .

واذا جلست للتّشّهد بعد هذه الافعال الدّقيقة ، والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة ، فاستشعر الخوف التّامّ ، والرّهبة والحياء ، والوجل ، من ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ، فاجعل يدك صفراً من فوائدها ، الا ان يتدارك الله برحمته ، ويقبل عملك النّاقص بفضله ، وارجع الى مبدء الامر ، واصل الدّين ، واستمسك بكلمة التّوحيد ، وحصن الله الّذي من دخله كان آمناً ، ان لم يكن حصل في يدك غيره ، واشهد له بالوحدانيّة ، واحضر رسوله

الكريم ، ونبيه العظيم ببالك ، واشهد له بالعبودية ، والرّسالة ، وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتي الشّهادة ، متعرّضاً بها لتأسيس مراتب العبادة ، فأنّها أوّل الوسائل ، واساس الفواضل ، مترقّباً لاجابته (ع) بصلاتك عشراً من صلاته ، اذا قسمت بحقيقة صلاتك عليه ، التي لو وصل اليك واحد منها ، افلحت ابداً .

وفي مصباح الشّريعة ، التّشهد ثناء على الله ، فكن عبداً لله في السرّ ، خاضعاً له في الفعل ، كما أنّك عبد له في القول ، والدّعوى ، واوصل صدق لسانك بصفاء صدر سرّك ، فأنّه خلقت عبداً ، وامرك ان تبعه بقلبك ، ولسانك وجوارحك ، وأن تحقّق عبوديتك له ، ببروبيته ، وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده ، فليس لهم نفس ، ولا لحظة إلّا بقدرته ، ومشيتّه ، وأنهم عاجزون عن اتيان أقلّ شيء في مملكته ، إلّا بإذنه وارادته .

اقول : ولا تغفل عمّا في هذه الكلمات الشريفة من الاشارات ، لا سيّما قوله وتحقّق عبوديتك له ببروبيته ، فان تحقّق العبودية بالربوبية ، أنّما يتمّ بالتفويض الكامل ، والتّسليم المطلق من جميع الجهات ، ولا يتحقّق ذلك إلّا بأن يعلم العبد ان لا نفس ، ولا لحظة إلّا بقدرته ، ومشيتّه وإذا علم ذلك ، واعتقد به اعتقاداً مباشراً لقلبه ، وعلماً صادقاً مؤثراً في افعاله وأعماله ، لا يرى في الوجود مؤثراً إلّا الله ، ولا في الكون فاعلاً غيره ، وحينئذٍ ينقطع إلى ربّه ، ويقطع طمعه عن النّاس ، وعن حوله وقوّته ، فيتمّ له التّوحيد العلمي ، فيكون في شهادته بالتّوحيد صادقاً ، وأما من لا يرى الخير إلّا في المال مثلاً ولا يرى معطياً ، ولا مانعاً إلّا النّاس ، فهو مضادّ لتوحيد الله ، ومنافق في شهادته بأن لا اله إلّا الله ، والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون ، فأنّا لله وأنّا اليه راجعون ، مصيبة عظم رزئها ، وجلّ عقابها .

أقول : ومن هذا الباب :

ما روى عن أمير المؤمنين (ع) ، أنه لا يجد عبد طعم الايمان ، حتى يعلم أن الضر والنّافع هو الله ، ومثل هذا العبد لا يكون بما في يده اوثق منه بما عند الله ، ويسوّى عنده الوجود والعدم ، والغنى والفقر ، وأما من يرى الاسباب ، ولم ير مسبب الاسباب ، ولا يطمئنّ على ضمان الله ، فهو حقيق بان يعدّ عابداً لها ، لا الله اللّهمّ إلا ان يكون إيمانه اعتقاداً جازماً ، ويكون عدم تأثير إيمانه في عمله من جهة مرض قلبه ، وضعفه ، واستيلاء العجب عليه ، وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ، فإنّ القلب قد ينزعج تبعاً للوهم ، وطاعة له من غير نقصان في الاعتقاد ، كانز عليه من ان يبيت مع ميّت في بيت ، أو في قبر مع قطعه بأنّ الميّت مثل ساير الجمادات ، لا يقدر على شيء هذا ، ولا تغفل عمّا اشير اليه في امر الصلاة ، وهي امور : منها أنّ صلاتك للنبيّ (ص) من قبيل صلاتك لله ، كما يفهم ذلك ، من قوله : أوصل - اه .

وهذا كذلك ، لأنّ الصلاة خدمة ، وعبوديّة ، وميل ورغبة من العبد إلى الله ، وذلك بالنسبة إلى الله ، أنّما هو بالصلاة ، وهكذا صلاة النبيّ (ص) خدمة ، وتواضع ، وميل ورغبة الى حضرة رسول الله (ص) ، وصورة ذلك كلّ واحدة ، أنّما هو بالصلاة المسنونة له من الله .

ومنها لزوم وصل صلاته بصلاة الله ، وطاعته بطاعته ، لأنّه بعد الله جلّ جلاله وليّ نعم الله على عباده وواسطة فيضه الاقدس ، وخليفة الله ، وجنب الله وبابه ، ووجهه الذي يتوجّه إليه الاولياء ، وبعده خلفائه المعصومون : أمير المؤمنين ، والاحد عشر من اولاده .

ومنها أنّ في معرفة حرمة بركات ، وفوائد ، وأنّ من لم يعرفه فاته فوائد صلاته ، فإنّ معرفتهم (ع) من مهمّات الأمور .

وقد روى في ذلك اخبار جليّة ، فارجع إلى ما روى في معرفتهم بالنورانيّة ، بل صحّ قول من قال : أنّ الخير كلّ في كمال معرفتهم لأنّه لا سبيل الى معرفة كنه الذات عزّ وجلّ فالمعرفة الممكنة في حقنا التي

هي اسعد السعادات ، وأفضل مقامات الدين كلها ، بل لا فضيلة مثلها
أنما هي معرفة الاسماء ، وهم اسماء الله الحسنى ، بل الاسم الاعظم
ليس إلا حقيقتهم ، فمن عرف حقيقتهم بالمعرفة الشخصية ، فقد فازو
نال ، ولم ذلك : ان المعرفة أنما هي بالوصول إلى المعروف ، والقرب
منه ، وهذا هو المقصد الاسنى والكرامة العظمى ، التي لا مرتقى
فوقها ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة .

ثم ان في فضيلة صلاته صلى الله عليه وآله ، وردت أخبار
متواترة ، ويكفي منها خبر واحد مستفيض ، وهو أنه (ص) وعد لمن
صلى عليه واحداً أن يصلي عليه عشراً ، بل في رواية الكافي ، باسناده
عن أبي عبد الله (ص) ، قال : إذا ذكر النبي (ص) فأكثر الصلاة عليه ،
فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة ، صلى الله عليه الف صلاة ، في
الف صف من الملائكة ، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على
العبد ، لصلاة الله عليه ، وصلاة ملائكته ، فمن لم يرغب في هذا ، فهو
جاهل مغرور ، فقد برء الله منه ، ورسوله ، وأهل بيته .

وروى فيه في حديث ، عن رسول الله (ص) من ذكرت عنده ،
فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله .

أقول : من كان مصلياً على رسول الله (ص) ، ويسلم لا محالة ،
يراقب ان لا يضاد في ذلك بعمله ، فإن روح الصلاة التحية والاكرام ،
وروح السلام ما يحكى لك في مصباح الشريعة ، وهذان المعنيان أنما
يخالفان بالايذاء والشقاق ، وإذا صليت عليه وآله ، وسلمت بلسانك
فراقب ، ان لا تؤذيه بعملك ، فيخالف قولك في لسانك ، لعملك
بلسانك ، وغيره من جوارحك ، فإن الأخبار وردت بعرض اعمالك على
رسول الله (ص) والائمة (ع) ، فما ظنك بهم ، إذا راوا منك القبائح
والمعصية ، وإذا رأوا في عملك الظلم على شيعتهم ، وعترتهم ، أما
تزيههم ذلك ؟ وليس مضاداً ومخالفاً مع الصلاة والسلام عليهم ، وإذا

كان لسانك مخالفاً لعملك ، وقلبك ، كان نفاقاً نستجير من ذلك إلى الله .

وقد حكى من بعض أهل المراقبة : أنه كان يدعو لجماعة من اخوانه المؤمنين مدة ، واتفق له أنه مات ابوه فورث منه مالا ، قال : أما كنت اواسي أخواني بالدعاء بالنعم الباقية : كيف ابخل عنهم من عروض الدنيا الفانية ، فقسم ارثه من أبيه بين من كان يدعو لهم .

أقول : من يحسد اخاه ببعض زخارف هذه الدنيا ، كيف يمكن له ان يرغب ان يعطيه الله كرامات عوالم الآخرة ، ومن لا يقدر ان يرى في أخيه شيئاً من النعم الخسيسة ، كيف يشتاق الى ان يصل إليه النعم الجليلة الفاخرة ؟ وهل يكون هذا إلا خلفاً ، والذي يترأى من بذل الناس الدعاء بالجنة ، وبخلهم وحسدهم في غير ذلك ، إما من جهة عدم اعتقادهم في تأثير دعائهم ، وإما من جهة عدم اطمئنانهم بوجود النعم الآخرة .

وكيف كان في مصباح الشريعة : معنى التسليم في دبر كل صلاة معني الامان ، اي من اتى بأمر الله تعالى ، وسنة نبيه خاضعاً له ، وخاشعاً فيه ، فله الامان من بلاء الدنيا ، والبراءة من عذاب الآخرة ، والسلام اسم من اسماء الله تعالى ، أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات ، والأمانات ، والألصاقات ، وتصديق مصاحبته ومجالستهم فيما بينهم ، وصحة معاشرتهم ، فأن اردت أن تضع السلام موضعه ، وتؤدي معناه ، فاتق الله وليسلم منك دينك ، وقلبك وعقلك ، لا تدنسها بظلم المعاصي ، ولتسلم منك حفظتك ، لا تبرمهم ، ولا تملهم ، ولا توحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثم مع صديقك ، ثم مع عدوك فأن من لم يسلم منه من هو أقرب اليه ، فالابعد اولى ، ومن لا يضع السلام . وضعه هذا ، فلا سلام ولا تسليم ، وكان كاذباً في سلامه ، وان افشاه في خلقه .

أقول : تفتن يا عاقل من هذه الكلمات بحكم تسليمك على الناس ، وقلبك لا يحب له سلامة جميع النعم ، او بعضها ، هل هذا الانفاق ؟ وهل للمسلم ان يتوقع لمثل هذا السلام ، ما أعد الله للمسلم من الكرامات ، وهكذا تقول في لسانك : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتؤذيه بعملك وفعلك تفتن من ذلك على موقع سلامك لنبيك ، واثمتك (ع) في صلاتك ، او في زيارتك ، فان من ظلم الناس وشيعتهم وذريتهم ، واخذ منهم مالا ، وزارهم بذلك المال ، لا سيما اذا كان ملابساً بعين هذا المال ، عند التسليم ، او بقوته لاداء التسليم ، فما حكم سلامه ، لاسيما اذا كان مع مخالفته في الباطن ، مخالفاً لرضاه في الزي والهيئة أيضاً ، بأن يكون لبس لباس اعدائه ، وتشبه باعدائه في اللباس والهيئة ، وروج بذلك اعداء الدين ، وخلاف احكام الله ، فهل سلامه في هذا الحال سلام وتحية ، او هو مستهزئ بنفسه ؟ بل يمكن ان يكون بعض هذه التسليمات ، والزيارات بمثابة السهام على قلوبهم الزكية ، والعياذ بالله ، واللجوء اليه من امثال هذه الفضائح في الزيارات ، التي هي من افضل القربات ، قل : هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

هذا ولا تقنع في تشهدك بقدر الواجب تبعاً للمتعارف ، واعمل فيه لا محالة بعض فقرات الشهد الكبير ، وكذا لا تدع في سلامك التسليم على الائمة ، بما ورد ، وعلى الانبياء والملائكة ، فان تبعية السلف صارداء عضالا لا ينجو منها إلا الأوحدي ، واتسع مجراها حتى في العبادات ، والقربات ، مثلا ارى الشيعة مولعين لذكر الشهادة بالولاية في اذانهم ، مع اعتقادهم انه لم يرد به رواية ، وان كان هذا الاعتقاد باطلا ويتركون السلام على الائمة في صلاتهم ، مع اعتقادهم باستحبابه ، وهل هذا إلا من جهة التعارف ، وعدمه .

هذا وقد لزماني بعد ما سطرت هذه الجملة ، ان اذكر ما ورد في هذا المعنى من الروايات ، في تفسير الامام (ع) قال إذا توجّه المؤمن في مصلاه ليصلي ، قال الله عز وجل لملاءكته : يا ملائكتي اما ترون الى عبدي هذا ، قد انقطع عن جميع الخلائق إليّ ، وأمل رحمتي وجودي ورأفتي ، اشهدكم أنّي اخصّه برحمتي ، وكراماتي ، وإذا رفع يده ، وقال : الله اكبر ، أثني على الله ، قال الله لملاءكته : يا عبادي اما ترونه كيف كبرني ، وعظمني ، ونزهني عن ان يكون لي شريك ، او شبيه ، او نظير ، ورفع يده ، وتبرء عمّا يقوله اعدائي . من الاشراك بي ؟ أشهدكم اني ساكبره واعظمه في دار جلالي ، وأنزله في تنزهات دار كرامتي ، وأبرئه من آثامه ومن ذنوبه ، ومن عذاب جهنم ومن نيرانها ، وإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرء فاتحة الكتاب وسورة ، قال الله لملاءكته : اما ترون عبدي ؟ كيف تلذذ بقراءة كلامي أشهدكم ملائكتي ، لاقولنّ له يوم القيامة أقرّ في جناني ، وارق درجاتي ، ولا يزال يقرء ويرقى بعدد كلّ حرف درجة من ذهب ، ودرجة من فضة ، ودرجة من لؤلؤ ، ودرجة من جوهر ، ودرجة من زبرجد اخضر ، ودرجة من زمرد أخضر ، ودرجة من نور ربّ العزة ، فاذا ركع قال الله تعالى لملاءكته ، يا ملائكتي كيف تواضع لجلال عظمتي ؟ أشهدكم لاعظمتي في دار كبريائي وجلالي ، فاذا رفع رأسه من الركوع ، قال الله تعالى لملاءكته : يا ملائكتي اما ترون كيف يقول ؟ ارتفع من أعدائك كما اتواضع لأوليائك ، وأنتصب لخدمتك ، اشهدكم يا ملائكتي لأجعلن جميل العاقبة له ، ولاصيرنّه إلى جناني ، فاذا سجد قال الله تعالى لملاءكته : يا ملائكتي اما ترون كيف تواضع بعد ارتفاعه ، وقال أنّي ، وان كنت جليلا مكيناً في دنياك ، فانا ذليل عند الحقّ إذا ظهر لي ، سوف ارفعه ، وما دفع به الباطل ، فاذا رفع رأسه من السجدة الأولى ، قال الله تعالى يا ملائكتي اما ترونه كيف قال : أنّي وان تواضعت لك فسوف اخلط الانتصاب في طاعتك بالذلّ بين يديك ، فإذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لملاءكته : أما

ترون عبدي ؟ هذا كيف اعاد التواضع ، لي لاعيدَن اليه رحمتي ، فاذا رفع رأسه قائماً ، قال الله تعالى : يا ملاءكتي لارفعنَّه بتواضعه ، كما ارتفع إلي صلاته ، ثم لا يزال يقول الله تعالى لملاءكته هكذا في كلِّ ركعة ، حتَّى إذا قعد في التَّشَّهَد الأول ، والتَّشَّهَد الثَّاني ، قال الله تعالى : يا ملاءكتي ، قد قضى خدمتي وعبادتي ، وقعد بثنِّي عليَّ ويصلي علي مُحَمَّد نبيِّي ، لأثنيَّ عليه في ملكوت السَّموات والأرض ، ولاصليَّ علي روحه في الارواح ، فاذا صلى علي أمير المؤمنين في صلاته ، قال الله : يا عبدي لاصليَّ عليك ، كما صليت عليه ، ولاجعلنَّه شفيحك ، كما استشفعت به ، فاذا سلَّم من صلاته ، سلَّم الله عليه وملاءكته .

أقول : سبحان هذا الربِّ الودود ، العطوف الرَّحيم الرَّؤوف ، وسبحانه من كريم ما الطفَّه ، ومن لطيف ما أكرمه .

ومنها ما في كتاب اللّثالي ، فقد روى أنّه سئل ما الحكمة في أنّه جعل للصَّلوات الاذان ، ولم يكن لسائر العبادات اذان ولا اقامة ؟ قال (ع) : لأنَّ الصَّلَاة شبيهة بأحوال يوم القيامة ، لأنَّ الاذان شبيه بالنفخة الاولى لموت الخلائق ، والاقامة شبيه بالنفخة الثانية ، كما قال الله تعالى : واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب والقيام الى الصلاة شبيه بقيام الخلائق ، كما قال الله :

يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين ، ورفع الايدي والتَّكْبيرة الاولى شبيه برفع الايدي لأخذ الكتاب يوم القيامة ، وقراءة الكتب بين يدي ربِّ العالمين .

كما قال تعالى :

أقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والرَّكُوع شبيه بخضوع الخلائق لربِّ العالمين ، كما قال تعالى :

وعنت الوجوه للحي القيوم ، والسجود شبيهه بالسجود لرب العالمين ، كما قال عزّ ذكره .

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود ، والتشهد شبيهه بالجنودين يدي ربّ العالمين ، كما قال تعالى :

فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومنها ما في اخبار المعراج ، من كون كيفية معراج (ص) منطبقة مع كيفية الصلاة ، من الاذان ، والوضوء إلى آخر الصلوة ، وفيما رواه في الكافي ، بعد ذكر تشريع الاذان والاقامة باجزائهما إلى السماء الرابعة ، ثم قيل لي : ارفع رأسك يا محمد ، فرفعت رأسي ، فإذا اطباق السماء قد خرقت ، والحجب قد رفعت ، ثم قال لي : طأطأ رأسك أنظر ماذا ترى ؟ فطأطأت رأسي فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا ، وحرّم مثل حرّم هذا البيت ، لو القيت شيئاً من يدي لم يقع الا عليه ، فقيل : يا محمد هذا الحرّم ، وانت الحرّام ولكلّ مثل مثال ، ثم أوحى الله إليّ: يا محمد ادن من صاد ، واغسل مساجدك وطهرها ، وصل لربك ، فدنيت رسول الله (ص) من صاد ، وهو ماء يسيل من ساق العرش الايمن ، فتلقّى رسول الله الماء بيده اليمنى ، ومن أجل ذلك صار الوضوء باليمين ، ثم أوحى الله اليه ان اغسل وجهك ، فأنك تنظر الى عظمتي ، ثم اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى ، فأنك تلقى بيدك كلامي ، ثم امسح رأسك بفضل ما بقى في يدك من الماء ، ورجليك إلى كعبيك ، فأنى ابارك عليك واوطئك موثقاً لم يطائه احد غيرك ، فهذا علّة الاذان والوضوء ، ثم أوحى الله تعالى إليه : يا محمد استقبل الحجر الاسود ، وكبر على عدد حجبي ، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً ، لأن الحجب سبع فافتتح عند افتتاح الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ستة ، والحجب متطابقة بينهما بحار النور ، وذلك النور الذي أنزله الله تعالى على محمد (ص)

فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلث مرّات ، لافتتاح الحجب ثلاث مرّات ،
فصار التّكبير سبعاً ، والافتتاح ثلاثاً ، فلمّا فرغ من التّكبير والافتتاح ،
اوحى الله إليه سمّ باسمي ، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن
الرّحيم في أوّل السّورة ، ثمّ اوحى الله إليه ان أحمدي ، فلمّا قال :
الحمد لله ربّ العالمين ، قال النّبيّ في نفسه شكراً ، فاوحى الله
إليه : قطعت ذكرى فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد لله
الرّحمن الرّحيم مرّتين فلمّا بلغ ولا الضّالّين ، قال : الحمد لله رب
العالمين شكراً ، فاوحى الله إليه قطعت ذكرى ، فسمّ باسمي ، فمن
اجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ اوحى الله إليه ان اقرء يا
محّمّد ، انّ الله تعالى هو الله احد ، الله الصّمد ، لم يلد ، ولم يولد ،
ولم يكن له كفواً أحد ، ثمّ امسك عنه فقال رسول الله (ص) كذلك الله
ربّي ، كذلك الله ربّنا ، فلمّا قال : ذلك أوحى الله إليه اركع لربّك يا
محّمّد (ص) ، فركع فاوحى الله إليه وهو راكع ، قل : سبحان ربّي
العظيم وبحمده ، ففعل ذلك ثلثاً ، ثمّ اوحى الله اليه ان ارفع رأسك يا
محّمّد (ص) ، ففعل رسول الله (ص) ، وقام متصبّاً ، فاوحى الله عزّ
وجلّ إليه ان اسجد لربّك يا محّمّد فخرّ رسول الله «ص» ساجداً فاوحى الله
عزّ وجلّ إليه قل سبحان ربّي الاعلى وبحمده ، يفعل ذلك
ثلاثاً ، ثمّ اوحى الله اليه استو جالساً يا محّمّد ، ففعل ، فلمّا رفع رأسه من
السّجود ، واستوى جالساً نظر إلى عظمته تجلّت له ، فخرّ ساجداً من
تلقاء نفسه ، لا لامر امر به ، فسبّح ايضاً ثلاثاً ، ثمّ اوحى الله إليه ارفع
رأسك ، انتصب قائماً ففعل فلم ير ما كان من العظمة إلى ان قال بعد
الرّكعة الثّانية : ارفع رأسك يا محّمّد ثبتك ربّك ، فلمّا ذهب ليقوم ،
قيل : اجلس ، فجلس ، فاوحى الله إليه : يا محّمّد اذا ما انعمت
عليك ، فسمّ باسمي ، فالهم بان قال ، بسم الله ، وبالله ، ولا إله إلا
الله ، والأسماء الحسنى كلّها لله تعالى ، ثمّ اوحى الله إليه ، يا محّمّد

صَلَّ عَلَى نَفْسِكَ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَقَالَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ التَفَتَ ، فَإِذَا بِصُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُرْسَلِينَ ، فَقِيلَ : يَا مُحَمَّدٌ سَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَمَّا السَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ ، وَالرَّحْمَةُ وَالبَرَكَاتُ لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ .

أَقُولُ : كَفَى بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ لِلْعَاقِلِ فِي الْإِطْمِينَانِ ، بَأَنَّ تَشْرِيعَ الصَّلَاةِ أَمَّا هُوَ لَامِرٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ حَقِيقَةُ مَعْرَاجِ الْمُؤْمِنِ ، وَمُطَابِقٌ لِأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ، بَلْ مُطَابِقٌ لِأَحْوَالِ الْمَبْدِءِ .

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ، وَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ ذَلِكَ ، فَلَهُ أَنْ يَعْظُمَ أَمْرَهَا غَايَةَ جَدِّهِ ، وَيَتَشَمَّرَ فِي تَكْمِيلِهَا بِكُلِّ مِيسُورَةٍ ، وَيَلْتَجَأَ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْإِلْتِجَاءِ ، وَيَقْطَعُ بِعَجْزِهِ وَقُصُورِهِ ، وَتَقْصِيرِهِ وَاضْطِرَارِهِ إِلَى عَنَايَتِهِ : فَإِنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْفَضْلِ ، وَالْعَدْلُ مَعَهُ وَبِهِ ، فَإِنْ طَالَبَهُ بِاسْتِحْقَاقِ الصَّدَقِ وَالْإِخْلَاصِ حُجْبَهُ ، وَرَدَّ صَلَاتِهِ ، وَإِنْ عَظُفَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ قَبْلَ مَنْعِهِ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا نَاقِصًا ، وَاجْزَلَ عَلَيْهِ ثَوَابًا عَظِيمًا ، وَإِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ صَدَقَ الْإِلْتِجَاءُ أَكْرَمَهُ ، بِتَوْفِيقِهِ وَتَايِيدِهِ ، وَاعَانَهُ فِي تَوْفِيَةِ مَرَادِهِ ، فَإِنَّهُ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَةَ لِعِبَادِهِ الْمُضْطَرِّينَ إِلَيْهِ ، الْمُحْتَزِّينَ إِلَى بَابِهِ ، وَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ :

أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا .

فصل : فِي التَّعْقِيبِ وَهُوَ مِنَ الْمَهْمَّاتِ ، وَمِنْ مَكْمَلَاتِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ ، مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ ، وَالْإِدْعَايَةِ وَالصَّلَاةِ ، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِجَمْعِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا ، وَتَصَانِيفُهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْمُولَةٌ ، وَلَكِنِّي انْتَخَبْتُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَهَا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، الَّذِينَ أَوْقَاتُهُمْ مَشْغُولَةٌ لِلْعِلْمِ ، أَفَادَةٌ وَاسْتِفَادَةٌ ، بَعْضُهَا وَارِدَةٌ بِخُصُوصِ التَّعْقِيبِ ، وَبَعْضُهَا لَا خُصُوصِيَّةَ لَهَا بِذَلِكَ .

منها : الصَّلَوَاتُ بَعْدَ التَّكْبِيرَاتِ الثَّلَاثِ ، وَصُورَتُهَا : اللَّهُمَّ صَلِّ

على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من صلاتك شيء ، وارحم على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من رحمتك شيء ، وبارك على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من البركات شيء وسلم على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من السلام شيء .

والدعاء على حجة الله ، امام الزمان عجل الله تعالى فرجه وصورته : وعجل لوليّك الفرج ، وارنا فيه ، وفي اهل بيته وشيعته ، ورعيته ، وعامته ، وخاصته ، ما يأمل ، وفي اعداءه ما يحذر .

واتبعته بدعاء شيخي ووالدي ، وجماعة من خاصتي من الارحام واخوان الصفا ، وعموم المؤمنين .

ثم بما ورد عن الباقر (ع) : اللهم اني اسألك من كل خير احاط به علمك ، وأعوذ بك من كل سوء احاط به علمك ، اللهم اني اسألك عافيتك في اموري كلّها ، واعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

واتبعته بما ورد من قولهم : اللهم اني اسألك الجنة ، والحدود العين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

فاتبعته بما ورد : اللهم اهْدني من عندك وافض عليّ من فضلك ، وانشر عليّ من رحمتك ، وأنزل عليّ من بركاتك . وكرره ثلاثاً .

ثم تسبيح الزهراء (ع) ، والاخبار الواردة في فضله كثيرة ، لا بأس بالاشارة إلى خبر واحد ، وهو ما روى عن الصادق (ع) قال : تسبيح فاطمة في كل يوم في دبر كلّ صلاة ، أحبّ الى الله من صلاة الف ركعة في كلّ يوم .

واتبعته بقراءة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وآية شهادته ، وآية الملك إلى قوله بغير حساب فعن ^(١) النبيّ (ص) أنه قال : لمّا اراد الله ان ينزل

(١) رواه في الكافي باختلاف كثير .

فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب ، تعلّقن بالعرش ، ليس بينهن وبين الله حجاب ، فقلن يا ربّ تهبطنا إلى دار الذنوب ، وإلى من يعصيك ، ونحن متعلّقات بالطهور والقدس ، فقال سبحانه : وعزّي وجلالي ما من عبد قرء كنّ في دبر كلّ صلوة إلّا اسكنته حظيرة القدس ، على ما كان فيه ، وإلّا نظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يوم سبعين مرّة وإلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة ، ادناها المغفرة ، وإلّا اعذته من كلّ عدوّ ، ونصرتة عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت .

ثم اتبعتها بقول : سبحان الله كلّما سبح الله شيء وكما يحبّ الله ان يسبح ، وكما هو اهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والحمد لله كلّما حمد الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يحمده ، وكما هو اهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، ولا إله إلّا الله كلّما هلّل الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يهلّل ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والله أكبر كلّما كبر الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يكبر ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر ، على كلّ نعمة انعم بها عليّ ، وعلى كلّ احد ممّن كان أو يكون إلى يوم القيمة ، اللهم انّي اسألك ان تصلّي على محمّد وآل محمّد ، واسألك خير ما ارجو ، وخير ما لا ارجو ، واعوذ بك من شرّ ما احذر ومن شرّ ما لا احذر .

واتبعته بقراءة سورة التوحيد ، ثلاث مرّات ، هدية إلى صاحب الزّمان (ع) .

واتبعتها بقول اللهم عرفني نفسك ، فإنك أن لم تعرّفني نفسك لم اعرف رسولك ، اللهم عرفني رسولك ، فإنك ان لم تعرّفني رسولك لم اعرف حجّتك ، اللهم عرفني حجّتك ، فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني .

وهذا التفصيل اخترته من جملة ما ورد خصوصاً ، وعموماً لتعقيب الصلوات الخمس ، وقد وردت في الاخبار لها فضل عظيم ، طوينا تفصيلها للإختصار .

ولكن لصلاة الصبح زيادة في المروي ، والمختار .

وهو دعاء العهد ، وعشر مرات اشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، الهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وعشر مرّات ، اللهم ما اصبحت لي من نعمة او عافية في دين او دنيا ، فمك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ، ولك الشكر بها علي يا ربّ حتّى ترضى ، وبعد الرضا .

واثنى عشر مرةً ، سورة التوحيد ، وسبع مرّات بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وابتدء كلّ يوم بين يدي عجلتي ونسياني بسم الله وبالله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وعشر مرّات سبحان الله العظيم وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وثلاث مرّات ، سبحان الله ملأ الميزان ، ومنتهى العلم ، ومبلغ الرضا، وزنة العرش .

وثلاث مرّات اللهم أنت ربّي لا شريك لك ، اصبحنّا واصبح الملك لله سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم ، واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم ، ذو الجلال والاکرام ، واسئله ان يصليّ على محمّد وآل محمّد ، وان يتوب علي توبة عبد ذليل خائف فقير ، بائس مسكين مستكين مستجير ، لا يملك لنفسه نفعا ، ولا ضراً ، ولا موتاً ، ولا حياتاً ولا نشوراً .

واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، بديع السَّمَوَاتِ
والأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وظَلَمِي ، واسرَافِي على نَفْسِي واتوب اليه .

وسبعون مرّة ، استغفر الله رَبِّي ، واتوب اليه .

وعشر مرّات أعوذ بالله السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ،
واعوذ بك رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

ومائة مرة ، لا إله إلا الله ، وازيد عليها عشراً .

واتبعها بدعاء الصَّبَاحِ المروِي عن أمير المؤمنين(ع) .

وهذه كلّها في الادعية ، والاذكار .

وأفضل منها التَّفَكُّرُ ، لا سيّما بعد صلاة الصَّبح ، والمغرب ، وهو
على وجوه .

منها الفكر في محاسبة النَفْسِ ، فيما سبق من تقصيراته ، وترتيب
وظائف يومه الحاضر ، والتدبِيرُ لدفع الصَّوارِفِ ، والعوائق الشَّاغِلَةِ عن
الخير ، واحضار النِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ في أعمال يومه ، في نفسه ، ومعاملته
للمسلمين ، والتَّفَكُّرُ في نعم الله ، وآلائه الظَّاهِرَةِ ، والباطنة ، لتزيد
معرفة به ، وشكره عليها وفي عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله ،
وخوفه من التَّعَرُّضِ لموجباتها ، والفكر في الموت على التَّفْصِيلِ الَّذِي
اشير إليه في محلّه ، او معرفة النَفْسِ ، واسرار الكون ، وفي صفات الله
واسمائه ، ان كان من اهل هذا التَّفَكُّرِ ، وإن التَّفَكُّرُ في هذه الأمور له
شعب كثيرة ، ولكلّ أهل مخصوص به .

وفي الخبر تفكّر ساعة خير من عبادة سنة .

وفيه خير من عبادة سبعين سنة ، ولعل اختلاف المثوبة من جهة
اختلاف انواعه ، والسّرّ في كونه خيراً من العبادة بالأعمال ، أنّ فيه معنى
الذِّكْرِ ، وحقيقته مع زيادة أمرين اعظمين وهما زيادة المعرفة والمحبة اذ

الفكر مفتاح المعرفة وهو سبب انكشاف المعروف وشهوده ، وهو موجب للمحبة إذ لا يحب القلب إلا من يعتقد جماله وجلاله ، وخيره ، ولا يمكن ذلك الا بمعرفة صفاته الجميلة والجليلة ، ومفتاحها الفكر ، والذكر أيضا يورث المحبة ، ولكن فرق ما بين الحبين فرق الخبر والعيان فإن الفكر مفتاح الكشف والشهود ، ولا يتأتى من الذكر ذلك ، وان كان يورث حب الانس بكثرة الذكر ومن المهمات بعد التعقيب ، سجدة الشكر لتوفيق اداء الصلاة ، وورد فيها من الفضل العظيم ما مضى .

ومن المهمات أيضاً النوافل ، وبها يتم ما نقص في الفرض من الاقبال ، وقد ورد فيها تأكيد شديد ، وينبغي ان لا يتركها ، ولو كان بأقل ما يحب من الاجزاء ولو كان في حال المشي إلى الحوائج ، ووقت نوافل الظهرين تمام اليوم على الاقوى .

وبالجملة ورد الحث الاكيد للنوافل حتى عبر في بعضها عن تركها بالمعصية ، وفي بعضها عد فعلها من علائم الشيعة ، وللعبد المراقب لمراسم العبودية في حق النوافل جد عظيم ، لسر لطيف ، وهو ان اداء الحقوق الواجبة من جهة ان في تركها عقاباً كأنه طاعة اجبارية ، واداء النوافل كأنه طاعة اختيارية ، وهي في نظر المراقب اهم من هذه الجهة بل المواظبة ، والاهتمام على النوافل يكشف عن كمال نية العبد في الواجبات أيضاً ، فكأن المواظب على النوافل ليشهد حاله بأنه انما قصد باداء الواجبات امثال الامر ، ووجه الرب تعالى ، ولم يفعلها بمجرد خوف العقوبة .

ومن النوافل المؤكدة ، صلاة الليل ، وما ادريك ما صلاة الليل ، وهي نور من الظلمة ، وانس من الوحشة ، وخلة من الكثرة .

وعن الصادق (ع) انها مرضات للرب ، وحب الملائكة ، وسنة الانبياء ، ونور المعرفة ، واصل الايمان ، وراحة الابدان ، وكرامة

الشَّيْطَانُ وسلاح على الاعداء واجابة الدَّعاء وقبول الاعمال ، وبركة في الرِّزْق ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب على منكر ونكير ، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة ، وإذا كان يوم القيامة كان ظلاً فوقه ، وتاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه . وستراً بينه وبين النار ، وحجّة بينه وبين الله تعالى ، وثقلاً في الميزان ، وجوازاً على الصُّراط ، ومفتاحاً للجنة .

وفي رواية أنّ الله تعالى اوحى إلى بعض الصّديقين ، أنّ لي عبداً من عبادي يحبّوني ، فاحبّهم ، ويشتاقون إليّ فاشتاق إليهم ، وذكروني وأذكّروهم ، وينظرون إليّ ، وأنظر إليهم ، فان حذوت طريقهم احببتك ، وان عدلت عنهم مقتك ، قال : يا ربّ وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنّهار ، كما يراعى الراعي الشّفيق غنمه ، ويحتنون الى غروب الشّمس ، كما يحنّ الطّير إلى وكره عند الغروب فاذا جنّهم اللّيل ، واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الاسرة وخلقى كلّ حبيب مع حبيبه ، ونصبوا إلى اقدمهم ، وفرشوا وجوههم . وناجونى بكلامي ، وتملّقوا إليّ بأنعامي ، فبين صارخ وباك ، ومتأوّه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وراكع وساجد ، بعيني ما يتحمّلون من اجلى ، وبسمعي ما يشتكون من حبّي ، اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عني ، كما أخبر عنهم ، والثّانية لو كانت السّموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم .

والثّالثة أقبل بوجهي اليهم ، افيرى من اقبلت بوجهي عليه ، يعلم احد ما اريد ان اعطيه .

وفيهما ان البيوت التي يصلّي فيها بالليل ، ويتلى فيها القرآن تضيء لأهل السّماء ، كما تضيء الكواكب لأهل الأرض .

وقال رسول الله (ص) في وصيّته لأمير المؤمنين (ع) : وعليك

بصلاة اللّيل ، وعليك بصلاة اللّيل ، وعليك بصلاة اللّيل .

وقال : الا ترون إلى المصلّين باللّيل ، فأَنَّهُم احسن النَّاس وجوهاً ، لانهم صلّوا باللّيل لله سبحانه ، فكساهم من نوره .

أقول : الأخبار في فضيلتها متواترة ، سوى ما نزل فيها من الآيات .

ولو لم يكن منها إلّا قوله تعالى : ومن اللّيل فتهجّد به نافلة لك ، عسى ربّك ان يبعثك مقاماً محموداً لكفى فسبحان الله ما اعظم شأنها وأجلّ خطرهما ، حيث جزائها المقام المحمود وانا أكتفي من ذكر أخبار فضيلتها بهذه الجملة ، ومن اراد التفصيل فليراجع الى ما فصلّتها .

في كتاب السّير إلى الله .

وأشير ممّا ورد في خزي من استخفّ بها وتركها ، إلى ما رواه في البلد الأمين من قول الصادق (ع) : ليس من شيعتنا من لم يصل صلاة اللّيل ، وإلى ما ورد عنه (ع) قوله (ع) : ابغض الخلق إلى الله جيفة باللّيل ، وبطال بالنّهار .

وما ورد عن النّبيّ (ص) قال : وما نام احدا اللّيل كلّه الا بال الشّيطان في اذنه ، وجاء يوم القيامة مفلساً ، وما من احد الا وله ملك يوقظه من نومه كلّ ليل مرّتين ، يا عبد الله اقعد لتذكّر ربّك ، ففي الثالثة ان لم يتنبّه يبول الشّيطان في اذنه .

أقول : لا تكن كافراً بهذه الأخبار وآمن بها واني اشهد الله :

اني أعرف من المتهجّدين من كان يسمع من يوقظه ، ويناديه وقت تهجده في اوائل أمره ، بلفظة آقا .

فيقوم لورده .

وان كان لك قلب ربّما استشعر بسائر ما ورد في اثراتها ، وبالجملة

ان كنت مؤمناً بهذه الفضائل لصلاة اللّيل ، لا تتركها ، ولا تضيّعها قطعاً
فإنّ الانسان لحبّ الخير لشديد ، أما سمعت قوله في الحديث القدسي :
ويحَنُّون إلى غروب الشّمس ، كما يحنّ الطّير إلى وكره وقت الغروب ،
فإنّ من آمن بصلاة اللّيل ببعض هذه الفضائل ، كيف لا يحنّ إلى
مجيئ وقتها ، اليس هذا الانسان من يبذل في التّقرب إلى سلاطين
الدّنيا ، واشرافها ، والخلوة معهم ، ماله وأهله ، بل يتنافس في ذلك
ببذل روحه ، وحياته .

والله تعالى يقول : والمؤمنون اشدّ حباً لله ، ولا تصغ الى من يعتذر
عن تركها بغلبة النّوم ، وعدم الانتباه ، لأنّ هذا العذر مردود بوجهه :

منها قول أمير المؤمنين (ع) لمن قال له : إني نمت البارحة من وردي قال
(ص) : انت رجل قيّدتك ذنوبك .

ومنها: أنّ النّوم عن مثل هذا الامر العظيم غير ممكن ، غالباً الا ترى هذا
الخلق الطّالبيين الى الدّنيا ، لو دعى احدهم سلطان زمانه الى خلوته في جوف
اللّيل ، لا ينام عن وقت دعوته ، بل لا ينام في أوّل الوقت ايضاً ، ويشغل
بفكر مجلسه ، وصحبته مع السّلطان ، وأنت اذا تأملت في أحوال نفسك ،
تقطع بأنك اذا استيقنت بأنّه يأتيك في جوف الليل من يعطيك بألف دينار ، لا
تقدر ان تنام من شوقك الى هذا المال ، ومن خوف فوته بنومك .

ومنها : أنّك قادر لا محالة على أن تنام عند من يوقظك ، الى ان تعتاد ذلك
فلمست بمعذور ، وبالجملّة النّوم عن مثل هذا الخبر خزي ، لا يقاس به خزي
في الدّنيا ابداً .

والنّائمون عن صلاة الليل طوائف : طائفة منهم يشتغلون أوّل الليل الى
قريب الانتصاف في مجالسهم ، بالخوض فيما لا يعنى ، بل الخوض فيما ينهى
عنه ، بل الخوض باغتياب المسلمين ، وبل وبل ، ويأكلون ، ويشربون حتى اذا بلغت
الحلقوم ، ثمّ ينامون في انعم فراش ، وأروح مكان ، وهذا النّائم لا بدّ ان ينام

من صلاة الليل ، لأنه من أول الليل أنما هيأ أسباب النوم باختياره ، بل يمكن ان يقال أنه لم ينم بعزم الانتباه . بل ولا برجائه ، لأن زيادة الاكل والشرب ، يسير سبباً لبخار المعدة ، وسكر الدماغ ، وذلك موجب لكثرة النوم ، والاستيقاظ في أول الليل من أسباب النوم في آخره ، وهكذا معصية أول الليل من أسباب النوم في آخره ، وهكذا الفراش الناعم ، والمكان المروح ، يورث زيادة النوم ، وثقل الانتباه ، ومثل هذا الشخص اذا اعتذر بعدم الانتباه ، فعذره مردود .

مثله من شرب دواء يزيل عقله في وقت الصلاة ثم اعتذر بأنّي لم اعقل وقت الصّلاة .

نعم قد ينم من تهياً لا لانتباه بالتخلّي من هذه الاسباب ، بل بالتوسّل بما ورد في الاخبار في الاستيقاظ ، والانتباه لطفاً من الله اللطيف عليه في سياسته أمر عبوديّته ، حفظاً له من العجب ، أو تعريضاً له بزيادة الاجر من كثرة اسف فوت التهجّد ، وقضاء لما فات عنه وزيادة ، ولكن الذي يستفاد من الاخبار ، انّ ذلك لا يكون إلّا قليلاً ، ليلة او ليلتين .

أمّا من نام عنها لمرض ، او لعذر سماويّ ، فهو أيضاً على وجهين :

أحدهما : من جهة اللطف الالهي كما مرّ ، فابتلاه بالمرض ، او غيره من الاعذار ، ونومه بهذا الحال ، والابتلاء أفضل عنده من صلاته وتهجّده .

وقد ورد في الاخبار انّ لمثل هذا العبد ، يكتب مثل الذي كان يعمل سابقاً قبل إبتلائه به ، وفي بعضها انّ محرابه ومصلّاه ، وأبواب السّماء التي كان يرفع منها عمله ، إنّما تبكى عليه .

وثانيهما : من باب الخزي والنكال بسبب كثرة ذنوبه التي صارت سبباً لسلب توفيقه .

ثمَّ انَّ من النَّاس من اتاه الخبيث من جهة اليمين ، فغرَّه بترك التَّهَجُّد بتَخِيل إن إشتغاله بالمطالعة في العلوم أفضل ، وربَّما اشتغل من أوَّل اللَّيْلِ إلى آخره ، ونام عن فريضة الصَّحِّح متَخِيلاً إنَّ مطالعته أفضل من صلوته ، والأغلب في ذلك الاغترار .

لأنَّ تحصيل العلوم ، وإن كان أفضل بمراتب من العبادات البدنيَّة ، ولكن له شروط :

منها كونها من العلوم النّافعة .

ومنها كون التَّحْصِيل على التَّرتيب الشَّرعي ، ولا يكون على خلافه كتَّحْصِيل العلم الَّذي وجوبه كفائيّ ، وترك الَّذي وجوبه عينيّ .

مثلاً إذا امكن للانسان العلم بالمسائل بطريق التَّقْلِيد ، والعلم بتزكية النَّفس ايضاً بطريق التَّقْلِيد ، او الاجتهاد ، ترك علم تزكية النَّفس رأساً ، وأشتغل بتحصيل المسائل بطريق الاجتهاد ، فإنَّ ذلك غير جايِز ، وهكذا إذا فرغ من تحصيل العلوم اللّازمة عيناً ، واراد الاشتغال بالعلوم الواجبة كفاية ، فليكن ما يشتغل به من ذلك اهمَّها ، فان اشتغل بغير الاهمَّ ، وترك الاهمَّ ، لا سيّما إذا كان ذلك الاختيار من جهة الميل النَّفْساني ، لا يكون ذلك عبادة لله ، وايضاً قد يشتغل الانسان بعد ملاحظة هذه الوجوه في الاهمَّ ، وليكن اكثر إشتغاله من مقدّمات هذا الاهم في غير الاهم منها ، بل في غير اللّازم ممَّا يعد عند العامّة من الفضائل .

ومنها كون تحصيلها قربة إلى الله ، وهذا من أشكال الشَّرائط ، وأغمضها ، فيها هلك من هلك ، وبالجملّة كون تحصيل العلوم مرضياً لله ، وعبادة خالصة لله لا يوجد في الخارج الا نادراً ، وظنّي أنّه لا يوجد في مائة الف واحد وكان بعض اخواني المحصلين من الاتقياء ، يقول : انا بعدما امكنتني ان اشرك الله جلّ جلاله في تحصيلي العلوم ، فضلا

عن ان يكون خالصاً لوجهه الكريم ، ولعمري أنّ هذا حال اغلب المتّقين من المحصّلين ، وان لم يشعروا به ، وكيف لغير المتّقين الذين لهم في تحصيل العلوم اغراض فاسدة ، من التمكن والاستيلاء بالعلوم على الحكم في الاموال ، والاعراض ، والنّفوس بالاهواء ، والعياذ بالله ، واللّجاء إليه من هذه المهالك ، ثم الاغترار ، وخيال أنّ هذا التحصيل أفضل من التهجّد ، وصلاة اللّيل ، كيف والمتّقون إنّما يعالجون تصحيح نيّاتهم في تحصيل علومهم بصلاة اللّيل ، والتهجّد ، والتضرّع في جوف اللّيل ، ولعمري أنّ هذا الطّريق في تصحيح النيّات الواجبة العينيّة لسدّ الطّرق ، وإنّ العروة الوثقى الّتي لا انفصام لها .

وحكى لي شيخي وسنادي في العلوم الحقّة ، أنّه ما وصل احد من طلاب الآخرة إلى شيء من المقامات الدّينيّة ، إلّا من المتّجهدين وظنّي أنّي بعد ما سمعته ، منه وجدته في رواية ايضاً ، هذا وما رويناه عن الصّادق (ع) من قوله (ع) ، ليس من شيعتنا بل وفي غير هذه الرواية ، ليس ممّن لم يصل بصلاة اللّيل ، كاف في دفع هذه الوسوسة ، ولقد اجاد شيخنا العلامة الانصاري (ره) في جواب من سئله عن ترجيح المطالعة ، وصلاة اللّيل ، قال في جوابه : يا هذا هل تشرب القرشة؟ قال نعم قال : صل صلاة اللّيل مكان قرشتين ، هذا جواب متين فيه تعريض على فساد هذا التّخيّل ، وإنّ من الغرور بوجه مليح ، فكأنّه قال : أنّك إذا كنت بهذا المثابة من المراقبة في الأحوال ، والاخلاص في الاعمال ، حتّى استشكل عليك الامر في صلوة اللّيل من جهة أنّها مرجوحة بالنّسبة إلى المطالعة ، وتحصيل العلوم ، كيف خفى عليك أنّك تشتغل بشرب القرشة الّتي أختلفت الاقوال في أنّه حرام ، او مكروه ، او مباح ، كيف لاحظت المعارضة بين المندوبين من جهة ضيق الوقت عنهما معا وانت مشغول بما هو حرام ، او مكروه ، او مباح ، فيا لله من هذا الخطب الفظيع ، ان يدلس الخبيث على العلماء ، أنّ اشتغاله بمطالعة هذه

العلوم المعلومة المرسومة ، التي أغلبها لا يمكن تصحيح قصد لها شرعي بوجه من الوجوه الصّحيحة ، أفضل من الاستغفار في الاسحار ، والخلوة مع العزيز الغفار ، كيف والعلم الذي لا يبعث الانسان على التهجّد ، هو علم لا نور فيه ، ولا ثمرة له ، ولا خير ، والعلم على ما قاله الصادق (ع) ، ملازم مع الخشية ، وصاحب الخشية لا يمكنه ترك التهجّد ويفزع إليها من خشيته .

وايضاً المؤمن انما يرى صلاة اللّيل ازيد اثرا في تحصيل العلم من المطالعة وقد كان شيخنا (ره) اوصى لنا ان نلتجىء الى الله ، ونتضرّع إليه عند تحيرنا في المطالب العلمية ، وقد جرّبنا ذلك والسّر في كون التهجّد ، والدّعاء من أسباب تحصيل العلم ، انّ العلم كما صرّح به في بعض الروايات ، ليس بكثرة التعلّم ، بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، والتّهجّد انما ينور القلب ، ويثبت النور في قلب المؤمن ، وهكذا المناجات في اللّيل ، كما روى عن الصادق (ع) أنّه إذا تخلّى العبد بسيّده في جوف اللّيل المظلم ، ونجاه اثبت الله النور في قلبه فاذا قال يا ربّ يا ربّ ناداه الجليل جلّ جلاله : لبيك عبيد سلني اعطك وتوكّل عليّ اكفك الحديث ، وكيف كان من كان له تتبّع ما في أخبار أهل البيت (ع) وأحوال السلف من مشائخنا العظام (ره) لا يشكّ في انّ صلوة اللّيل ليس ضد تحصيل العلم ، بل من أسبابه القويّة القويّة ، وكثيراً ما عرفنا من المحصّلين ، من كان من المتهجّدين ، وصار ذلك سبباً لاستقامة فهمه ، وجودة ذهنه في الوصول إلى المطالب الحقّة في المسائل العلميّة ، وارتقى إلى المراتب العالية من العلم ، بخلاف الطّالبيين منهم المجدّين في مطالعة الكتب العلميّة ، وقلماً خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة ، نعم ربّما يوجد فيهم ايضاً مدقّق مشكك ، ولكن لا يكون محققاً ، ولا يكون في علمه بركة كاملة ، بل يقلّ خيره ونوره ، ولا يوفّق لفوائد العلم هذا .

وقد خرجنا في هذا المقام عمّا أردنا من الايجاز لعقدة كان في قلبي من قديم الايام ، عفى الله عن القول بالاهواء ، وعن طغيان القلم .

ثم انّ المؤمن لا بدّ ان يكون في أوّل يومه وأوّل ليله في فكر تهجّده وتهيئة أسبابه بالنوم في النهار ، وأوّل الليل ، وتهيئة أسبابه من المكان المناسب ، وكتب الدّعوات ، وماء الوضوء والسّواك ، والسّراج وقراءة آية قل انما انا بشر - ا ه .

أقول : هذا من المجربّات عند المتهجّدين ، وورد ايضاً عن النبيّ (ص) من اراد قيام اللّيل ، واعدّ مضجعه فليقلّ اللّهمّ لا تؤمنيّ مكرك ، ولا تنسنيّ ذكرك ، ولا تجعلنيّ من الغافلين ، اقوم ساعة كذا وكذا فانه يوكل الله به ملكاً ينبّهه في تلك السّاعة .

وبالجملة من جهة ان الحال في أوّل اللّيل ، مؤثرة في توفيق آخر اللّيل ، لا بدّ لطالب التهجّد الجدّ في القيام على وظائف آداب النّوم على مرضات الرّبّ تعالى ، ليوّفقه على مرضاته في آداب القيام والتهجّد ، ومن الوظائف المهمّة ان يحاسب نفسه عند نومه من أوّل قيامه في اللّيلة الماضية ، إلى حاله الحاضر محاسبة كاملة ، كما قرّر في محلّه ، ثم ليعلم ان النّوم اخ الموت ، وانّ عند النّوم يقبض الله روحه ، ويتوفّاه كما يتوفّى روح الميّت ، ويذكر بل ويقرء قوله تعالى : «الله يتوفّى الانفس حين موتها ، والّتي لم تمت في منامها » فيأخذ عند النّوم عدّة الموت الصّغير ، ويعلم انه ان لم يعد الله روحه إلى بدنه ، فهو ميّت لا يقوم أبداً ، وان اعاده بفضل جديد ، فيقول عن قلبه ولسانه : ربّ ارجعون لعليّ اعمل صالحا ، ويتذكّر انّ النّائمين كلّهم يقولون ذلك ، بلسان حالهم وكثيراً منهم يرّد عليه ، بقوله تعالى : كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائه برزخ إلى يوم يبعثون ، وينام على طهارة وذكر ، ويعمل باهمّ ما ورد في هذا الحال ، من الادعية والاذكار مسلماً روحه ،

ونفسه وقلبه وقالبه ، واموره كلّها لله ، ويقول بلسان حاله ، روح إلى الله .

وأما الوظائف المروية .

فمنها التسمية في أوّل الدّخول إلى الفراش ، وقراءة آية آمن الرّسول أه ، عن ظهر القلب ، ملتفتاً إلى ما فيها من الإشارة إلى تفضّلاته جلّت آلاؤه إلى هذه الامة بشفاعة رسول الله (ص) ، ومتشكراً بقلبه نعمة ربّه وشفاعة نبيّه (ص) .

ثمّ تسبيح الزّهراء (ع)، ثمّ قراءة الفاتحة ، وقراءة سورة التّوحيد ثلاث مرّات ، او أحد عشر مرّة ، ويقول : يفعل الله ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بعزّته ثلاث مرّات ، ثمّ يقرء آية الكرسي ، وآية شهد الله ، ثمّ يستغفر بما ورد ، ثمّ يقرء التّسبيحات الاربع ، ثمّ يصلّي على النّبيّ (ص) وآله (ع) ، وعلى الانبياء الماضين صلوات الله عليهم اجمعين .

وقد ورد لذلك كلّ فضائل لا تحصى ، وينام على طرفه الايمن مستقبل القبلة ، كما ينام الميّت في قبره ، ويذكر الله بعد ذلك ، ويتوجّه إليه حتّى يغلب عليه النّوم في حال الذّكر ، وإذا نام هكذا فهو في عبادة ، بل روحه عند الله ، وفي كنفه ، وظلّ عطوفته ، بل هذا النّوم اعلى واشمخ من يقظة الغافلين ، وإذا نام هكذا يرجى ان يمنّ عليه جلّ جلاله ببعض الكرامات البشارات الخاصّة بالرّؤيا ، وغيرها كما ورد في الآية الشّريفة « ولهم البشرى في الحياة الدّنيا ، وفي الآخرة » وفسرّت في الاخبار بالرّؤيا الصّالحة ، واشهد بالله أنّي اعرف من زار بعض الائمة (ع) في الرّؤيا ، وسئله عن بعض المعارف الجليّة ، والاسرار الخفيّة ، واجيب بما قرّت به عينه ، ومن انكشف له في الرّؤيا عن حقيقة نفسه . ورأى كأنه قد تلاشت الغوالم ، وطلع مكانها روحه ونفسه ورأى كأنّ نفسه متّحدة بحقيقة ملك الموت . وانتبه من نومته ، وهو على هذا الحال ، ورأى بعد الانتباه أنّ روحه كأنّها تجذب بدنّها اليها ، وهاله

ذلك ، ونادى ضجيعته : يا فلانة يا فلانة حتّى ذهب عنه هذا الحال ، وهذا الحال هو عبارة عن معرفة النفس التي هي طريقة إلى معرفة الرّب كما في الاخبار المستفيضة ، وغير ذلك من امثاله ، وبالجملّة يمكن للمجاهدان يكتسب في نومه مالا يكتسب في اليقظة من العوالم الروحانيّة ، ثمّ أنّه إذا نام على ذلك فله ان يتذكر كلّما انتبه قبل وقت قيامه ، بما ورد وغيره ويقول عند تقلّبه على فراشه : التّسبيحات الاربع او الثلاث باسقاط اولها

وعن الباقر (ع) في قوله تعالى : وقليلًا من اللّيل ما يهجعون ، قال : كان القوم ينامون ، ولكن كلّما انقلب احدهم ، قال : الحمد لله ، ولا اله الاّ الله ، والله اكبر ، وإذا استيقظ للقيام ، فله ان يتذكّر بذلك فضل الله عليه بحياة جديدة ، ويخرّ قبل ان يجلس ساجداً ، ويقول في سجوده : بعض ما ورد ، وايسرها ان يقول : الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي لاعبده وأشكره او يقوله : قبل السّجدة بمجرد الانتباه على فراشه ، ثمّ يسجد ، ويقرء فيه قوله (ص) : الحمد لله الذي بعثني من مرقي هذا ، ولو شاء لجعله ساكناً الى يوم القيامة ، الحمد لله الذي جعل اللّيل والنّهار خلفه لمن أراد أن يذكر ، او اراد شكوراً ، الحمد لله الذي جعل اللّيل لباساً ، والنّوم سابتاً ، وجعل اللّيل والنّهار نشوراً ، لا اله الاّ انت سبحانك انّي كنت من الظّالمين ، الحمد لله الذي لا يخبئ منه النّجوم ، ولا تكنّ منه السّتور ، ولا يخفى عليه ما في الصّدور ، ثمّ يجلس من السّجدة ، ويقول : حسبي الرّب من العباد ، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، واذا التفت العبد على نعمة هذه الحياة الجديدة ، وحمد الله عليها ، فليقتنم الفرصة ، ويكون جدّه ورجائه في ان يحصل في حياته هذه حياتاً باقية ، لا موت بعدها ابداً ، وليعلم أن حياته هذه بمنزلة رأس مال اعطاه الله تعالى ليتّجر به ، وان امكنه ان ينتفع به انفس الامتعة ، فعليه ان لا يتسامح في ذلك ، وليعلم

ايضاً أنه ليس في الوجود ولا في الوهم موجود انفع وانفس ، واكمل وابهى واشرف واجود من الله ، ولا نظير له ، بل ولا نفع ولا نفاسة ، ولا جمال ولا بهاء ، ولا شرف ، ولا جود ، بل ولا وجود إلا في الله ومن الله ، وبالله ، فاذاً لا يليق للمطلوبية بالذات عند العاقل إلا الله ، وكلّ مطلوب سواء مطلوبيته منه ، سواء في الدنيا ، او في الآخرة ، ولا شرف ولا كمال ولا لذة إلا منه وبه ، وألذ الاشياء ، وابهجها قربه ، ومعرفته ، واذا لا يهتم العاقل إلا لطلبه ، ويترك غيره ، ويصرف همه ، وهمته عن جميع الاشياء اليه ، ثم الى مرضاته ، قل الله ثم ذرهم ، وبالجمله يجعل همه الاهم ، بل جميع همه في الله ، ولا يصرف عمره في طلب شيء غيره من المشتبهات النفسانية وامور المواشي ، أما الأولى ، فلان الاشتغال بها من جهة كدرها ، وعدم بقائها ومضادتها بالذات الروحانية الواقعية خسران عظيم ، وأما الثانية فلان همها ، والشغل بها مع ما فيه من هلاك القلب ، وتفرق الحواس ، ومضادته بالذكر ، والفكر قذى في عين العبودية ، ونقيض للتوكل ، لا فائدة فيه ، لان المقدّر كائن ، والهم فضول وخسران ، وإذا عرف الانسان ذلك معرفة شخصية حقيقية ، وصار وجدانياً له كما عرف اهل الدنيا لذاتها ، يكون قلبه وروحه وسره كلها مستغرقة في محبة الله ، ويسرى ذلك على اعضائه وجوارحه ، ويكون جميع ما سواه عنده احقر ، وادون مما يطئه برجله ، بل قد يكون مستغرق الهم ، والقلب في حضرته حتى يتعطل قلبه عن ذكر ما سواه ، وعن الالتفات الى غيره ، وعقله عن التدبير في اموره ، ويحصل له شبه الهيمن كما روى ذلك في بعض حالات امير المؤمنين (ع) ، واشير اليه في حديث المعراج بقوله : واستغرق عقله بمعرفتي ، ثم لأقومن له مقام عقله .

وبالجمله مفتاح خير الخير ، واسعد السعد ، معرفة الله ، ومحبة الله ، والذات ، وابهج البهجات في الانس بالله .

هذا وقد خرجنا من وظيفة الكتاب بذكر هذه الجملة ، فلنعد على
وظيفتنا .

ونقول : قد ورد في تفصيل كيفية صلاة الليل ، والتهجد عن ائمة
الدين ، آداب ووظائف مفصلة ، وادعية ومناجات عالية المضامين مناسبة
لشؤون الاحوال الحاضرة ، ملائمة لا حوال جميع السالكين الى الله ، من
ذوي المقامات المختلفة ، فمن ارادها فليراجع الى كتاب صلاة البحار .

ولنا في هذا المقام كلمة ، وهي ان يراقب العبد حاله ، ويختار ما
يناسبه ويؤثر فيه من تلك الوظائف ، وقد كان السلف من اهل الله يجدون
في تحصيل الرقة ، وسائر الاحوال السنية ببعض الحالات ، من لبس
المسوح ، وشد الايدي الى الاعناق ، والتمرغ في التراب ، وتقريب
انفسهم واعضاء بدنهم الى النار ، وحث التراب على رؤوسهم ، والدخول
في القبور ، ونداء الاموات والتكلم مع انفسهم ، والخطاب لها بعتابات
القرآن ، واختيار الدعاوات والمناجات المؤثرة المحرقة للقلوب ، كل ذلك
لاستجلاب الاحوال المطلوبة التي هي من اهم ما يجب مراعاته ، وان
يحترز عن مخالفة الحال ، مع ما ينجي به الرب تعالى ، والكذب في
مثل هذا الوقت ، وذلك الحال ، مثلاً اذا قرء بعض مناجات السيد
السجاد (ع) ، وقرء فيه قد ترى يا الهي فيض دمي من خيفتك ،
ووجيب قلبي من خشيتك ، وانتفاض جوارحي من هيبتك ، كل ذلك
حياء مني لسوء عملي ، ولذلك خمد صوتي عن الجهر اليك اه .

وعينه جامدة من البكاء ، وقلبه ساكن من الخوف ، وخالٍ من
الخشية وعار من الهيبة وجوارحه على ما كان من الاستقامة ، ولم يؤثر
الحياء فيه شيئاً ولم يخمد صوته .

اليس هذا كذباً صريحاً عن مشافهة وحضور الا يخاف العبدان يجيبه
الله تعالى يا كاذب ؟ اما تستحي من هذا الكذب الصريح ؟ والدعاوى

الباطلة اتَّوهم أنّي لا أرى ظاهرك او خفي عليّ قلبك ، او ترى ان مخالفتي والكذب في حضوري ، يجوز عليك ؟ اما وجدت اهون عليك منّي ؟ اما كنت تستحي من الناس ان يعلم كذبك عندهم ، وتخالف رضاهم في حضورهم ؟ ولا تحتشم عن مخالفتي والكذب في حضوري في مقام مناجاتي استهزئي ولا تهاب مني ، ولا تخاف قهري وبطشي واخذي ؟ وكيف بك اذا ظهر لك اثار قهري ، واخذي التي لا يقوم لها السّموات السّبع والارض ؟ وهكذا الى غير ذلك من مضامين المناجات والدّعوات التي ليس قلب الدّاعي متصّفا بما يصف فيها من نفسه حتّى :
لفظة استغفر الله .

روى عن أمير المؤمنين (ع) ، انه قال لقائل بحضرته استغفر الله : ثكلتك أمك اتدري ما الاستغفار ؟ أنّ الاستغفار درجة العليّين ، وهو اسم واقع على ستّة معان .

أوّلها النّدم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا .

والثالث ان تؤدّي الى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله املس ، ليس عليك تبعه .

والرابع ان تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدّي حقّها .

والخامس ان تعتمد إلى اللّحم الذي نبت على السّحت ، فتذيب بالاحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .

السّادس ان تذيق الجسم الم الطّاعة ، كما اذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله .

اقول : إذا كان الامر بهذه الدقّة ، فليعالج المناجي دعواته ، ومناجاته بقصد المعنى الذي يناسب حاله ، وبالتّجوز ، أو بغيره بما يجوز

له قوله ، مثلاً إذا اراد في وتره أن يقول : استغفر الله واتوب إليه ، يقصد من الاستغفار طلب المغفرة ، اي السّتر بالرحمة ،

ومن التّوبة الرّجوع إلى الله ، اي إلى ذكره وطلب مغفرته من الغفلة ، ولا يقصد معنى التّوبة المطلقة ، ويفعل ذلك في جميع اذكاره ، ودعواته لأنّ لكلّ ذكر حقيقة واقعية ، يجب ان يكون قائله على صفته ، مثلاً للتهليل والحمد والتسبيح والتكبير ، وغير ذلك حقائق يوصف بها قائلها، مثلاً موحداً حامداً مسبحاً مكبراً ، فاذا خالف حقيقة قلب المهلّل التّوحيد المطلق الكامل وهكذا لم يكن بقلبه ، وحقيقته حامداً ، ومكبراً ، ومسبحاً فليقصد عند ذكرها المعنى الخاص الذي يناسب حاله ، لا مطلقه الذي لا يتّصف به ، وان كان لا ينطبق حاله وصفته بما يقوله ، إلّا بالتّجوّز مثلاً يقصد بتوحيد الله ما يقابل قول المشركين والكافرين ، القائلين بعبادة الاوثان ، واليزدان والأهرمين ، لا التوحيد الذي ينقض التّوكل ، مثلاً ، وهكذا يقصد بتكبيره ما يقابل قول القائلين بالجسم ، والقائلين بالتعطيل مثلاً ، لا حقيقة التكبير العمليّ الذي اشير اليه في رواية مصباح الشريعة ، حتّى ينافيه عدم الالتذاذ بالمناجات ، فإنّ حقيقة التكبير أنما ينافي واقعاً مع عدم الالتذاذ بمناجاة الكبير ، لأنّ الانسان مجبول في نفسه من الميل والرّغبة الى الكبراء ، والمعاملة معهم ، ومجالستهم ومناجاتهم وانسهم ، فاذا كان الله في قلبه اكبر من كلّ شيء ، او اكبر ممّا يوصف ، فلا بدّ ان يلتذ بمناجاته ، ويرغب الى ذكره ، والانس به والخلوة معه ، وإذا لم يوجد في قلبه اللذة والرّغبة ، يكشف ذلك عن عارض عن حقيقة تكبيره في قلبه ، وبالجملّة :

قولك : اشهد ان لا اله الا الله ليس توحيداً حتّى يشهد له قلبك ، وإذا شهد القلب بالتّوحيد ، لا بدّ ان يترشّح من توحيدته على اعمالك واذا خالف القلب اللسان ، او العمل القلب ، لا تعدّ بهذه الشّهادة موحداً ، بل منافقاً ، وان اتّصف قلبك ببعض مراتب التّوحيد ووجد في

عملك آثاره بقدره ، خرجت بذلك من النفاق المطلق ، ولكن لا تكون بذلك موحداً على الإطلاق ، فان ادّعت ذلك بقصد منك على ذلك ، حين قولك : اشهد ان لا اله الا الله ، لا يقبل منك الدّعى بلا حقيقة ، فتدخل بذلك في بعض مراتب النفاق فالاولى ان تلتفت عند قولك ، ودعائك ، الى ما تقصد بها ممّا يناسب حالك ، ولا يكذبك في قصده قلبك وعملك ، ولو بنحو من التجوّز والاتساع ، فالاولى للمتّهجّد ان يكثّر فكره في هذه المعارف ، ويحبس نفسه على التّفكّر عن الذّكر ، حتّى يلجاء الحال الى الذّكر والدّعاء ، وهذا يقلّ فيه مخالفة اللسان مع القلب ، لا سيما اذا كان عارفاً بمدخل الكذب ، والنفاق على اقواله وافعاله .

ثمّ انّ الذي ذكرنا من استجلاب بعض الافعال ، الاحوال المرغوبة ، من شدّ الايدي الى الاعناق ، وغيره لا بدّ ان يراعى في ذلك ايضاً موافقته مع الحال ، فاذا خالف الحال الصّورة ، وذلك ايضاً من شعب النفاق ، نعم لا يجب ان يكون الاقدام على هذه الافعال عند الابتداء بها عن حقيقة كاملة ، لمن يريد ان يعالج بها استكمال الحال ، واستجلاب الكمال ، ولكن لا بدّ ان يكون واجدة لبعض مراتب الحقيقة ، ومريداً بها كمال الحقيقة ، مثلاً اذا قام عن نومته التي كانت على ما وصفناها من الوظائف ، وفعل عند انتباهه ما ذكرنا ، وتفكّر فيما ذكرناه ، لا بدّ ان تؤثر ذلك في قلبه من الحسرة ، والخشية ، والمذلة ما تهيه للجلوس على التراب ، وشدّ يديه الى عنقه مثلاً ، حتّى يستجلب بذلك كمال هذه الاحوال ، وآلّا فمن كان عند قيامه ايضاً نائماً ، بل ميتاً عن روح ذكر الله ، ومستتهراً في ذكر الدنيا ، فلا ينبغي له ان يقدم على بعض الافعال النّاشية عن الاحوال السّنية ، ولا ينتفع مثل صاحب هذا القلب منها ، بل قد يتضرّر ، وقد يكون مضحكاً ايضاً ، والاولى والافضل في ذلك ايضاً ان ينتشأ ذلك عن احوال القلب ، بعد كمالها ،

وبعد امساك مآ ، حتّى يغلبه الحال في الاقدام عليه ، ولا بأس ان يفعله عن حال مآ ، بقصد استكمال الحال به .

روى في الانوار عن ابي قدامة الشّامي ، حكاية شابّ استشهد في الجهاد ، وفيه أنّ الشّابّ اوصى اليه حين اصاب ان يوصل خرجه الى امّه ، فمات واذا دفنوا جثته ، رأوها وقد خرجت من القبر ، فاذا بطيور بيض ، وقعوا عند جنازته على الارض ، واكلوا لحمه ، وبقيت عظامه ، فدفنوها ، فاذا جاء ابو قدامة بخرجه الى امّه ، ليدفع اليها الخرج ، سألته عن خبره ، فاخبرها بقصّة الطّيور ، فحمدت الله ، ففتحت الخرج ، واخرجت منها مسحاً وغلاً من حديد ، وقالت كان ابني اذا جنّه اللّيل ، لبس هذا المسح ، وغلّ نفسه بهذا الغلّ ، وناجى مولاه ، ويقول في مناجاته : الهي احشرنني من حواصل الطّيور ، فاستجاب الله دعائه .

اقول : اذا كان حال العبد مثل حال هذا الشّاب ، يليق به هذا العمل ، ويؤثر فيه ذلك الاثر ، رزقنا الله مثل هذه الاحوال من فضله وكرمه ، بحقّ المتهجّدين من اوليائه ، واهل خلوته ، وانسه .

وبالجملة عمل العاملين ، سواء كان من الاقوال او الافعال على وجوه ثلاثة :

الاول ان يتنشّى القول والفعل ، عن حال وصفة في القلب ، فانّ القلب اذا احترق من الم موت الولد مثلاً ، لا بدّ ولا حيلة من النّوح والبكاء ، واظهار الاحزان والاشجان ، وذلك كلّها تغلي من قلب الثّكلى من غير تعمل ، وهكذا اذا احترق من الم الفراق ، لا بدّ من بثّ الشّكوى ، واظهار الشّوق والعشق ، ويقول لسان حاله :

« جون شبّ آمدهم را دیده بیار آمد و من گوئی اندر بن مویم سر نشتر میشد »

وهكذا اذا استشعر تطلّع الحبيب عليه ، وعلى احواله فلا محالة يظهر التّضرّع ، والاستكانة والابتهاال ، والملق بالسّجود على التّراب ،

والخروج على الاذقان ، ونحوها على قدر عظمة المحبوب ، واستشعار
الجنائفة ، والتقصير والقصور ، من نفس المحب وفي ذلك قيل
بالفارسية :

بسيرا زبونيها بر خویش روا دارد درویش که بازارش با محتشمی باشد
فكلما صدر قول ، او عمل من المتهجد من صفة القلب ، سواء
كان توحيداً او عملاً ، او تسبيحاً او تكبيراً او ركوعاً او سجوداً ، او دعوى
الشوق ، او اظهار الانس ، او غير ذلك ، فهو المطلوب الاول ،
والمقصد الاسنى من التهجد ، والقيام ، والصلاة والعبادات كلها .

والثاني ان يخالف القلب العمل ، مخالفة تامة كصلاة المنافقين ،
وهم كسالى ، وكدعوى اكثر العامة مثلاً التوكل ، وكدعوى الفارغ من
جميع مراتب المحبة الحب ، واظهار الشوق ، وشكواه من الم الفراق ،
فان ذلك هو الذي لا ينتفع به صاحبه ، بل ويتضرر به .

والثالث ان يكون في القلب صفة من هذه المراتب ، ولكن لا على
حد يبعث من غير تعمل على العمل المخصوص ، من قول وفعل ،
وحينئذ ينبغي للعامل ان يعمل العمل قولاً ، وفعلًا مع قصد مقدار حاله ،
وصفة قلبه ، ولو لم يصح دعواه الا بالتجاوز ، ويستكمل بذلك حاله ،
وقلبه ، ويستجلب بالعمل كمال الحال ، وآياه ان يقصد من فعله ، وقوله
ازيد عما في قلبه ، فيكون كاذباً ومنافقاً . ويسير سبباً للخذلان
والخسران ، هذا .

فليكن قيام العبد الى تهجده عن الشوق ، فاذا لا يرضى بالقليل ،
والافضل ان يجعل ذلك مقدار ما بينه كتاب الله لنبية (ص) ، وطائفة من
المؤمنين الذين كانوا معه ، وان لم يوفق بهذا المقدار لاعدار عامة ، او
خاصة فلا محالة ان يكون ذلك في الشتاء ، اربع ساعات او خمس
ساعات ، وفي الصيف من الثلاث الى ساعتين ، وان امكنه ان يقوم عند

الانتصاف الذي هو مخصوص لاهل الخلوة ، حتّى يصلي اربع ركعات من صلوات اللّيل ، ويدعو الله تعالى في السّاعة الاولى من النّصف الثّاني ، في مهمّاته ، ثمّ ان غلبه النّوم نام ساعة ، ثمّ يقوم ثانياً الى اتمام ورده ، فإنّ هذه السّاعة ، ساعة مخصوصة لاجابة الدّعاء ، وللخلوة سيار الله تعالى .

كما ورد ذلك في خبر^(١) ابن اذينه ، عن الصادق (ع) ، قال : ان في اللّيل لساعة لا يوافقها عبد مسلم ، يصلي ، ويدعو الله فيها الاّ استجاب له ، قال الراوي : قلت له : اصلحك الله ، واية ساعة هي من اللّيل ، قال : اذا مضى نصف اللّيل ، في السّدس الاول ، من النّصف الثّاني .

وقد روى النّوم بعد اربع ركعات منها ، عن رسول الله في بعض اللّيالي ، ثمّ القيام ثانياً ، ثمّ انّ من مهمّات اهل المحبّة ، اكرام رسول الحبيب .

ولذلك انشأ قدوة اهل المراقبة سيّدنا الاوحد ، جزاه الله عن امّة جدّه ، جزاء المعلّمين المنبّهين ، لجواب منادي الله تعالى في اللّيالي كلاماً لطيفاً جامعاً لمراسم هذا المقام ، مناسباً لاداء حقّ المنادي ، والنداء .

وهو قوله : اللّهمّ انّي قد صدقت بربوبيّتك ، وبمحمّد خاتم رسالتك ، وبهذا المنادي عن جوارك ، وان لم تسمعه اذني ، فقد سمعه عقلي المصدّق بالاخبار المتضمّنة لوعودك ، فانا اقول : مرحباً بك ايّها الملك الوارد علينا من مالكنّا الحكيم الكريم الجواد المحسن اليّنا ، قد سمعنا بلسان حال عقولنا قولك ، عن معدن انجاح مسؤولنا ، هل من سائل فاعطيه سؤله ، وانا سائل لكلّ ما احتاج اليه ممّا يقتضي دوام اقباله

(١) رواه في الكافي .

عليّ ، ودوام توفيقى للاقبال عليه ، وتمام احسانه اليّ ، وكمال ادبي بين يديه ، وان يحفظني ويحفظ عليّ كلّ ما احسن به اليّ ، وسمعنا ايّها الملك قولك ، عن مولينا الذي هو اهل لبلوغ مأمولنا ، هل من تائب فأتوب اليه ؟ وانا تائب اختياراً واضطراراً ، لآتي عاجز ضعيف عن غضبه ، وعقابه ، ومضطر الى رضاه وثوابه ، فان صدقت نفسي في التوبة على التحقيق ، وآلاً فلسان حالي وعقلي تائب اليه ، بكلّ طريق من طرق التوفيق ، وسمعنا قولك ايّها الملك عن سيّدنا وسلطاننا ، الذي هو اهل لرحمتنا ، وقبولنا : هل من مستغفر ، فاغفر له ؟ وانا مملوكه المستغفر من كلّ ما يكرهه منّي المستجير به في العفو عنيّ ، فان صدق قلبي ولساني في الاستغفار ، وآلاً فلسان حال عقلي ، وما انا عليه من الاضطرار ، والاعسار ، والانكسار يستغفر عنيّ بين يدي جلالته ، وعفوه ورحمته ، وانا ذليل حقير بين يدي عزّته ، ورأفته ، وقد جعلت ايّها الملك ما قد ذكرته من سؤالي ، وتوبتي واستغفاري ، وافتقاري ، وذليّ وانكساري امانة مسلّمة اليك ، تعرّضها من باب الحلم والرحمة ، والكرم والجود ، على من انعم بك علينا ، وبعثك اليّنا ، وفتح بين يدينا ابواب التوسّل اليه فيما تعرضه عليه .

وقال : وإن لم تحفظ ما ذكرناه ، ولا تهياً لك ان تتلوه فاكته في رقعة . وتكون معك تحفظها ، كما تحفظ عزيزك ، واذا كان في ثلث الاخير من كلّ ليلة ، تخرجها بين يديك ، وتقول : ايّها الملك المنادي عن ارحم الراحمين ، واكرم الاكرمين ، هذه قصّتي قد سلّمتها اليك ، مالي لسان ولا جنان ، يصلح لكلام اعرضه عليك .

اقول : التّعرض بجواب هذا المنادى ايضاً من قسط هذا السيّد الجليل ره ، ولقد اجاد واتى بما هو فوق المراد ولكن ظنيّ أنّه سقط منه بعد قوله ومحمّد خاتم رسالتك ذكر التصديق باوصيائه .

فالاولى ان يقال ، بعده ، وباوصيائه المعصومين الاثنى عشر ،

حججك ، وخلفاءك ، عليهم افضل صلاتك وسلامك .

ثمّ يعقبه بقوله : وبهذا المنادى ، وانا اقول : وان شاء ان يجمع بين الامرين ، فليقل في ليلة الجمعة من أوّل اللّيل ، وفي سائر الليالي في أوّل الثّلت الاخير .

اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، بأفضل صلواتك ، وصلّ على هذا الملك الكريم السّوارد علينا ، يندبنا الى رحمتك ، ودعاءك ، ومغفرتك ، وقبولك ، ووفّقنا لاجابته على وفق رضاك ، ومره ان يعرض استغفارنا ، ودعائنا ، وتوبتنا الى حضرت جمالك ، من باب حلمك وكرم عفوك ، وجودك ومنك ، وعطفك وحنانك ، يا حنان ، يا منان ، يا ارحم الراحمين ، وصلّ على محمّد وآله ، والحقنا بهم ، واعطنا افضل ما وعدته لاوليائهم ، صلواتك وسلامك عليهم اجمعين .

ثمّ انّ الذي يجب بحكم العقل على العبد المراقب ، في وظائف جهات العبوديّة ، في تهجّده خصوصاً ، وغيره من اوراده عموماً ، ان يأتّم بائمّة الدّين ، من اهل بيت النّبوة (ص) ، ويجعل ما روي عنهم في ذلك اسوة لنفسه ، ومثالا بين عينيه ، بل يقيس في ذلك حاله مع احوالهم ، ويستكشف من ذلك حقّ ما يجب عليه من التّمكّن ، والتّذلّل ، والتّضرّع ، والابتهال ، وانه اذا ثبت هذه التّضرّعات ، والتّمكّن ، والاعتراف منهم ، مع كونهم مقرّبين عنده ، ومطيعين له لم يعصوا الله طرفة عين ابداً ، ولم يسهوا عنه لحظة ابداً ، فما يكون حقّنا مع سوء حالنا وذلّ مقامنا وتورّطنا في سوّئة ذنوبنا واتّصافنا بهذه الاخلاق الرّذيلة مثلاً اذا تأمّل في مناجات الائمة ، لسان ضراعتهم ، واعترافهم مع طهارتهم ، وعصمتهم فليحکم على نفسه من حقّ الضّراعة والاعتراف ، بما يجب عليه بحكم القياس .

وانا اذكر ما كان ينادي به الامام السّجاد (ع) في السّجدة ، بين كلّ ركعتين من صلاة اللّيل فليكن عبرة لامثالنا ، فيما يجب من اداه حق

جهات العبوديّة ، روي^(١) أنّه كان يسجد بين كلّ ركعتين سجدي الشكر ، ويقول فيها ، الهي وعزّتك وجلالك ، وعظمتك ، لو أنّي منذ بدعت فطرتي من أوّل الدهر ، عبدتك دوام خلود ربوبيّتك ، بكلّ شعرة في كلّ طرفة عين ، سرمداً ابداً بحمد الخلائق ، وشكرهم اجمعين ، لكنت مقصّراً في بلوغ اداء شكر خفيّ نعمة من نعمك عليّ ، ولو اني كربت معادن حديد الدّنيا بانيابي ، وحرثت ارضها باشفار عيني ، وبكيت من خشيتك مثل بحور السّموات والارضين دماً وصديداً ، لكان ذلك قليلاً من كثير ما يجب من حقّك عليّ ، ولو أنّك الهي عذبتني بعد ذلك ، بعذاب الخلائق اجمعين ، وعظمت للنّار خلقي ، وجسمي ، وملأت طبقات جهنّم منّي ، حتّى لا يكون في النّار معذب غيري ، ولا يكون بجهنّم حطب سواي ، لكان ذلك بعدلك عليّ ، قليلاً من كثير ما استوجه من عقوبتك .

تأمل يا اخي في هذه الحال ، ممّن رأى من حقّ شكر الله عليه . مثل ما رآه (ع) وذكره في هذا الدّعاء ، بعد القسم بعزّة الله وجلاله ، ورأى من استحقاق العقوبة ما ذكره (ع) ، كيف يكون حاله في حضور مولاه ، واذا كان هذا حاله (ع) مع طهارته وعبادته ، وزهده في الدّنيا ، ومعرفته ، ومحبّته على مولاه ، وقربه منه ، فكيف يجب ان يكون حالنا مع ما نحن عليه من هذه الاحوال ؟ فواسواته ، وواحسراته على ما فرطنا في جنب الله ، وقد كنّا من السّاخرين على انفسنا ، وبالجملّة اصل كلّ خسران الجهل ، والغرور ، والّذي اراه في نفسي ، وفي امثالي من الجاهلين ، أنّه لو يبكي ساعة من خوف الله ، وجرى من عينه عشرة مشاقيل من الدّموع ، يجد من نفسه حالاً او طمأنينة كأنّه ادى حقّ شكر الله ، وازيد ، بل اذا انضمّ اليه احياء ليلة يتراءى من حاله شبه دلال في اعماله ، ودعواته كأنّه يرى حقّاً لنفسه ، على الله ، وقس يا مغرور هذا

(١) رواه شيخنا البهائي في مفتاح الفلاح .

الحال من عباداته وزهده ، ومثل ما له (ع) ، وبكى اربعين سنة ، وهو يرى جناياته ، وقصوره في اداء حقّ العبوديّة ، بحيث لو عذّبه الله بعذاب الخلائق اجمعين ، وملاً طبقات جهنّم منه ، كان ذلك قليلاً بالنسبة الى كثير ما يستوجه من عقوبة الله ، فسبحان خالق النّور ، والحمد لله حمداً ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله في خلق هؤلاء الانوار السّاطعة من اوليائه ، ومنّه بهم ، وبمعرفتهم ، وولايتهم علينا ، وصلى الله عليهم صلاة ينبغي لكرم وجهه ، ونور جماله ، وفيض جوده ، وكماله ، ونستغفر الله برحمته ، وبشفاعتهم ، ان يغفر لنا عظام اوزار الجهل ، والغرور ، واخرجنا بهم من الظّلمات الى النّور باذنه ، وهدانا الى الصّراط المستقيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

ثمّ أنّه ينبغي ان يكون همّ الرّجل في تلطيف المراقبة ، ويعالج في ذلك بكلّ ما يقدر عليه من الضّراعة ، والابتهاال ، والتّبذل ، والتّصبص ، والبكاء ، والدّعاء ، ونداء الله باسمائه الجماليّة ، والسّكوت ، والنّظر الى السّماء ، واطراق الرّأس ، واحضار النّفس الى مجلس القود ، وتكرار القول : بيا الهي ، وسيّدي كيف نظرك اليّ بين سكّان الثّرى ، ام كيف منعك عليّ في دار الوحشة والبلا ، الهي يا مولاي ليت شعري ماذا تقول بدعائي ، ويكرر ذلك كثيراً ، ثمّ يفرض نفسه حاضراً بين يدي الله تعالى ، ويقول : مخاطباً عن الحضور اتقول : لا ؟ ويكون التّلفّظ بلفظة لا ، اثقل عليه من الجبال .

ثمّ يقول : فان قلت : لا ، فيا ويلي يا ويلي ، ويا غوثي ويا غوثي ، ثمّ يتفكّر في خزي ردّه تعالى في جميع عوالمه ، وآثاره في عقله ، وروحه ، وقلبه وبدنه ، ثمّ ينوح على ذلك كلّ واحد بعد واحد ، ويقول : فيا ويل عقلي ان حجبه ربّي ، وسيّدي كيف يكون حاله ، اذا اختلس عن مقام النّور ، وشرف الحضور ، وعن درجة التّمكن ، مطاع ثمّ امين ، وصار عابداً للهوى ، ومطيعاً لخزير الشّهوة ،

وخادماً لكلب الغضب ، وحجب عن مجاورة الاطيين ، وقرب ربّ العالمين ، فمسح عن حقيقته ، فصار شيطاناً مفتناً ، وابليساً مدلساً ، ثم يذكر ما يصل الى روحه من النكال من ردّ الملك المتعال ، ويقول : فيا ويل روحي ، ان منع عن جوار الله ، والتعلّق بعزّ القدس ، وطرد عن مجلس الانس ، وحجب عن العلّيين ، وصار في مهوى دركات السّجّين ، وقرن مع الشّياطين ، ثم يذكر قلبه ، ويقول : ايا ويح قلب من به مثل ما بيا ، اذا منع عن ذكر الرّحمن ، ومحبة الحنان المنان ، ومال الى الشّيطان وعشق هذه الدّنيا الدّنية واستهتر في حبّها ، ووقع في حبّها ، واخذ الى الارض ، فمثله كمثّل الكلب ، ان تحمل عليه ، يلهث ، واسودّ من ظلم المعاصي ، واعتاض من ذكر الله بالتّناسي ، ومن العلوم بالوسواس ، فطبع عليه ، ولم يبق له طريق الى الخلاص ، ثم ينوح على اجزاء بدنه واحداً بعد واحد ، ويخاطب رأسه ، ويقول : يا رأسي كيف بك من غضب الرّحمن ، ان عذّبك في الدّنيا ، ومسحك برأس القردة والخنازير ، او سودّ وجهك ، وفضحك بين العالمين ، او اعمى بصرك ، او اصمّ سمعك ، او اخرس لسانك ، او شوّه خلقك ، اما رأيت وسمعت ، رؤساً كثيرة من العصاة ، غضب عليهم الرّحمن ، وعذّبهم بذلك ، او بغيرها من المخازي ، او ارسل اليهم نارا فاحرقها في الدّنيا ، وساقها بعده الى نار الاخرة ، او اخر اخذك بما بعد الموت ، وما بعد الموت اخزى وادهى ، فياذا العقل والتّعريف ، والرأي والتّصريف ، اما تذكر احوال القبر والبلى ، والدّود والبلوى ؟ اذ اغيت في الثّرى ، سيأكل التّراب لحملك ، ويدخل الدّود في انفك ، ويجري حدقتك على خدك ، وتبدّل من المنظر النّظيف ، والجمال اللّطيف ، الى الحطب الكثيف ، فيزيل وجهك في الثّرى ، ويغبر في الغبراء ، فيرهقه قتر وذلّة ، وبؤس ومذلّة ، وكبر ومثلة ، فانظر في مرآة عقلك جمال صورتك ، وتأمل في قبح منظرك ، وشوهتك ، وخذ من هذه السّوانح موعظتك ، ثم اعطف عنان فكرك الى عذاب الاخرة ، والجحيم وتدبّر في الحميم ،

الذي يصبّ على رأسك ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، والقي في نار حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد .

وبالجملة ينوح على اجزائه واحداً بعد واحد ، ويذكر ما يفعل بها ، ان كان من اهل العذاب ، وان شاء ان يجعل نوحه كلّ ليلة بواحد منها ، وان شاء يقرء في بعض الليالي .

ما رواه الزّهري من نوح السّجّاد على نفسه ، بالثّشر والشّعور ، ويجعل ليلة من ليلائه ايضاً ينوح فيها على حيائه ، فيذكر أوّلاً من جميل صنع الله عليه ، وطول اناته ، وحسن طلبه ، ولطفه في دعوته الى خلوته ، وقربه ومجلس انسه ، ثمّ يذكر معاملته مع هذا الرّبّ الجليل ، ويتأمّل فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة ، يندب ، وينوح على مروئته وحيائه ، ووفائه ، ويقول : فواسوأته وواخجلاله من افتضاحي ، وقلة حيائي ، هذا ربّي ، وسيّدي ، ومنعمي ، ملك الملوك ، جبار الجبابرة ، اكرم الاكرمين ، هو يدعوني الى ذكره ، ومجالسته ، والانس معه ، وهو ملك الملوك ، اغنى الاغنياء اله الارض والسّماء ، وانا استثقل عن قبول هذه الكرامات العظيمة ، وانا اذلّ الاذلاء ، فقير من كلّ الجهات ، بل فقر محض ، ولا شيء مفلس مرهون نعمه ، موجود بعنايته ، حيّ بحيوته ، مرزوق بنعمه ، مقصّر جان في خدمته ، كيف لولا حلمه عنيّ ؟ وقد امهلني ، وشملني بستره ، واكرمني بمعرفته ، وهداني السّبيل الى طاعته ، وسهّل لي المسلك الى كرامته ، واحضر في سبيل قربته ، وتحبّب اليّ بنعمه ، وارسل لدعوتي الى مجلس كرامته ، والاستيناس بمناجاته ، اكرم خلقه عنده واحبّ عباده اليه ، ولم يقنع في اكرامي بنعمة دون اخرى ، وكرامة فوق كرامة ، حتّى اعزّني بارسال ملك في كلّ ليلة الى دعوتي ، فكان جزائه منّي ، ان كافأته عن الاحسان بالاسائة ، وقبح المعاملة ، حريصاً على ما

اسخطه سريعاً الى ما ابعد عن رضاه ، مستبطاً لمزيدة ، مستحظاً لميسور
رزقه ، مستقضيّاً بجوائزه بعمل الفجّار ، كالمراصد رحمته بعمل الابرار ،
اتمّنّى عليه العظائم كالمدلّ الآمن من قصاص الجرائم ، فأنّا لله وأنا اليه
راجعون ، مصيبة عظم رزئها وجلّ عقابها ، فما اقبحني والأمني ،
وافضحني ، واشنعني ، وما اقلّ حيائي ، واعدم وفائي ، حين جاهرته
بالكبائر ، مستخفياً عن اصاغر خلقه ، فلا راقبته ، وهو معي ، ولا
راعت حرمة ستره عليّ ، آه واسوء صباحاه ، بأيّ وجه القاه ، ام باي
لسان اناجيه ؟ وقد نقضت العهود ، والايمان بعد توكيدها ودعوته حين
دعوته ، وانا مقتحم بالخطايا ، فاجابني وهو غنيّ عنيّ ، وسكت عنه ،
فابتدأني ، ودعاني ، ولم اجب ، واقبل اليّ ، واعرضت عنه ،
فواسوأته ، وقبح صنيعاه ، آية جرئة تجرّعت ، واي تعزير عزرت
بنفسي ؟ فيالله من هذه العظائم الفظيعة ، والاحوال الشنيعة الفضيحة ،
فوعزّتك وجلالك يا سيّدي ومولاي ، ويا ملجئ ومنجاي ، لو كان لي
جلد على عذابك ، وقوّة على انتقامك ، ما سالتك العفو عنيّ ، بل
دعوتك الى عذابي ، وعقابي سخطاً على نفسي ، ولؤمها ، كيف عصيتك
بعد هذه الكرامات الجليلة ، واقبلت اليها ، واعرضت مدبرة عنك ، بعد
هذه اللطاف الجميلة ، ويا سبحان هذا الرّبّ الودود ، ويا سبحان هذا
الحلم العظيم ، ويا سبحان هذا اللّطف اللّطف ؟ ! فقد فتح لامثالي من
العصاة اللّثام ، والطّغاة الملائيم ، باب التّوبة ، ولم يمنع عن الاوبة ،
ووعد للتائب القبول ، وعفى عن السيّئات ، وبدلها باضعافها من
الحسنات ، وبالجملّة يكون جدّه في اظهار حقيقة جناياته ، وما يعرفه من
كرامات ربّه ، ليكثر حسراته ، وجده وبكائه ، فيؤثر في نزول الرّحمة ،
وشمول الكرامة .

ثمّ أنّه من اهمّ المهمّات ، ان يتوسل في آخر كل ليلة بخفراء
اللّيلة ، وحماة الامة من المعصومين ، ويسلّم عليهم ويسألهم ان يشفعوا

له عند ربّه بالقبول ، وتبديل السيّئات بالحسنات ، ويجعلوه من شيعتهم وحزبهم ودعاتهم ، ويرغبوا الى الله في ان يرضى عنه ، ويقبله ويلحقه بهم ، ويجعله من شيعتهم المقربين ، واوليائهم السابقين .

هذا ، ومن مهمّات امر الصّلاة الجماعة ، وورد فيها ، وفي التّرجيب عليها ، والزّجر عن تركها ، امر عظيم في اخبار المعصومين ، وهكذا في فضلها ، وعقوبة تركها ، فمن اراد تفصيلها ، فليراجع كتب الاخبار ، وانا اشير الى بعض ما ورد فيها ، بعد الاشارة الى سرّ تشريعها .

فأقول الحكمة العظمى في تشريعها اتّحاد قلوب المؤمنين في امر الله ولذلك فوائد لا تحصى من قوّة امر الاسلام وغيرها ، وله تأثير في تكميل النّفوس ، وقوّتها في السّير الى الله ، واستجلاب الفيض الاقدس ، فإنّ رحمة الله اذا نزلت لواحد من المجتمعين ، لا سيّما اذا كان اجتماعهم واتّحادهم لله ، وفي الله ، يعمّ جميعهم ، وان لم يكن غيره مستحقّاً له ، ومثل اجتماع القلوب ، اتّصال المياه القليلة المتعدّدة ، اذا صارت بالاتّصال كراً ، لا يقبل النّجاسة ، ولا ينجسه شيء ، وله سرّ شريف ، ووجه لطيف في علم المعرفة ، وايضاً صلاة الجماعة كالصّلاة الواحدة ، فاذا فرض كون بعض المصلّين واجداً لبعض شرائط الفضيلة ، والكمال ، والاخر واجداً للبعض الآخر ، فالكريم يعطي الفاقد ايضاً فضيلة صاحبه الواحد ، والعمدة في حكمة فضيلتها الامران الاولان .

واذاً يجب على العبد بحكم المراقبة ، ان يحدّد في تقوية امر اتّحاد القلوب ، مع اخوانه المؤمنين ، وصفاتها فكلاً زاد الاتّحاد والصفاء ، زاد تأثّر كلّ واحد منهم من نور صحبه ، وزادت الرّوحانيّة ، فانظر في مبالغة الشّرع في هذا الامر ، وما ورد في مدح المواسين والموثرين على انفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، في القرآن والامر بصلة القاطع ، ووصل الهاجر ، وان يقول المحقّق لغير المحقّق انت

المحقّ ، وانا غير المحقّ ، وجعل الكذب في الاصلاح بين الاخوين مستحبّاً ، وندب المؤمنين في امر الصّفا ، بأن لا يخفى احدهم اموره من اخيه الثّقة لأنّ في ذلك نوع اختلاف بين القلوب ، ويضادّ كمال الصّفا ، وانظر الى ما ورد في فضيلة التّحابّ في الله من الامر العظيم ، الّذي يتخيّر العقول ، ويعجبني ان اشير الى عدّة ممّا ورد فيها :

منها ما رواه في الكافي عن ابي جعفر (ع) ، قال : انّ المؤمنين اذا التقيا ، فتصافحا ، ادخل الله عزّ وجلّ يده بين ايديهما ، واقبل بوجهه على اشدهما حبّاً لصاحبه .

اقول : تأمل في هذه الرّواية ، فانّ فيها لبلاغاً لأنّ المتصافحين ، قد يكون احدهما من اهل الفضائل العظيمة ، والاخر من اهل المعصية ، واذا فرض انّ هذا العاصي ، احبّ المتّقي اكثر من حبّه للعاصي ، واقبل الله عليه بوجهه ، دون المتّقي كأنّه يكشف ذلك عن كون المحبّة في الله ، اشدّ تأثيراً عند الله من جميع الفضائل ، بل يكشف عن كون غيرها بالنسبة اليها كالعدم ، ولعمري انّ هذا امر عظيم ، لا يقدر قدرها القادرون .

وروي فيه ايضاً في حديث ، عن ابي عبد الله (ع) قال : اما بلغك الحديث ، انّ رسول الله (ص) كان يقول : انّ الله خلقاً عن يمين العرش ، بين يدي الله ، وعن يمين الله ، وجوههم ابيض من الثلج ، واضوء من الشّمس الضّاحية ، يسئل السّائل ما هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الّذين تحابّوا في جلال الله .

وروي فيه ايضاً عن ابي جعفر (ع) قال : قال رسول الله ، المتحابّون في الله ، يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء ، في ظلّ عرشه عن يمينه ، وكلتا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضاً ، واضوء من الشّمس الطالعة ، يغطّهم بمنزلتهم كلّ ملك مقربّ ، وكلّ نبيّ مرسل ، ويقول النّاس : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله .

وروي في المستدرک عن مجموعة الشَّهيد (قدّه) ، نقلا من كتاب الانوار لأبي علي ، محمّد بن همام ، باسناده الى معروف بن معروف ، صاحب ابي طفيل الَّذي كان صاحب النَّبي (ص) ، وامير المؤمنين ، عن ابي جعفر (ع) عن ابيه ، عن ابيه ، عن ابيه ، قال قال النَّبيّ (ص) : من زار اخاه في الله ، باهى الله به ملائكته ، حتّى اذا لقيه ناداه ملك من السّماء ، طبت وطاب ممّشاك ، حتّى اذا حدّثه قال الله للملكين : له عمل سبعين نبياً كلّهم مجتهد في طاعتي ، قد اهرق دمه في سبيلي ، حتّى اذا ضاحكه قال الله للملائكة : اشهدكم عبادي ، أنّي اضحكه يوم تبيّض وجوه ، وتسود وجوه ، حتّى اذا آكله قال الله عزّ وجلّ بخزان جنّته ، وسكّانها من كرائم ملائكته : اشهدكم عبادي ، وخزنتي من خلقي ، وملائكتي ، أنّي اكرمه بالنظر الى نوري ، وجلالي وكبريائي يوم القيامة ، واشهدكم أنّي ممّن ازكّيه ، واطهره واثّبه ، وارضيه ، واشفّعه .

تدبّر في هذه الرواية ، وهذا الجزاء جدّاً ، وإذ قد تمهّد لك ذلك ، فراقب أن يكون قلبك في صلاة الجماعة صافياً مع امامك ، والمأمومين ، لا سيّما مع امامك الَّذي ورد فيه : أنّه شفيعك ، فانظر من تشفّعه ، ولذا قال الشَّهيد في شرح النّفليّة في معنى العالم الَّذي في رواية من صلّى مع امام عالم : أنّ المراد من العالم من كان عالماً بالله ، وبكتابه وسنة نبيّه ، وما يتوقّف عليه من المقدّمات ، وعالماً بكيفيّة تطهير القلب ، وتزكية النّفس ، مع استعمالها ، وقال في آخر كلامه ، وإنّما العلم الموجب للقرب والجنّة ، هو الاخير ، وذلك لأنّ الامام الَّذي طهر قلبه ، وزكى نفسه يحبّه لا محالة من يعرفه ، وهو أيضاً يحبّ المؤمنين بحبّ الله ، أشدّ من حبّهم له ، فيكون قلبه صافياً مع المؤمنين الَّذين يأتمنون به وهكذا يكون قلوب . المأمون معه في كمال الصّفا بل ويكون أصحابه أيضاً غالباً من أهل الصّفا ، فيكون اجتماعهم في صلاتهم على مراد الله ، وأمّا من كان اجتماعه في صلاته بمجرّد الصّورة ، وكانت

القلوب مخالفة ، بل يكون بينها عداوة ، يريد كلّ واحد شرّ اخيه ، ويحاسده في نعم الله ، لا سيّما إذا كان ذلك بين المأموم والامام ، لا اظنّ أن يكون في هذه الجماعة نور ، ولهذا الاجتماع فضل عند الله ، فالعمدة في العبادات كونها مثاراً لصفات القلوب ، وتأثيراتها ، وتنويرها ، والعبادة إذا لم تؤثر في القلب ، لا يثمر إلّا شيئاً قليلاً ملحقاً بالعدم .

روى في الاحتجاج في جملة ما كتبه امامنا ارواحنا فداه ، إلى الشيخ الجليل الشيخ المفيد ره ، ولو أنّ اشياعنا وفقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا .

وقال عيسى : يا عبيد الدّنيا ، تحلقون رؤسكم وتقصّرون قميصكم ، وتنكسون رؤوسكم؟ ولا تنزعون الغلّ من قلوبكم .

وروى أيضاً ، أنّ من بعض ما وعظ الله تعالى عيسى ، وان قلّموا اظفاركم عن كسب الحرام ، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء واقبلوا بقلوبكم فأنّي لست أريد صوركم .

وبالجملة الاهمّ اجتماع القلوب ، فمن وفق لصلاة الجماعة مع قوم يكون قلوبهم مجتمعة في الله ، فليرج من كرم الله كلّ ما ورد في فضل الجماعة ، ومن كان اجتماعه مع قوم بينهم تباعض وتحاسد ، ويرجو ان يجزيه الله هذه المثوبات التي وردت في الاخبار لصلوة الجماعة ، فهو مغرور وليس رجائه رجاء ، بل امنيّة وغرور ، هذا .

وقد ورد في تفضيل امام الجماعة على المأموم ، ما يكشف عن حقيقة ما ذكرناه من لزوم القلب مع الامام ، وهو ما رواه في المستدرک عن كتاب تحف العقول ، في حديث طويل قال : وأمّا حقّ امامك في صلاتك ، ان تعلم أنّه قد تقلّد السّفارة فيما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربّك ، وتكلّم عنك ، ولم نتكلّم عنه ، ودعا لك ، ولم تدع له ،

وطلب فيك ، ولم تطلب فيه ، وكفاك همّ المقام بين يدي الله ،
والمسائلة فيك ، ولم تكفه ذلك ، فان كان في شيء من ذلك تقصير كان
به دونك ، وإن كان اثماً لم تكن شريكه فيه ، ولم يكن عليه فضل ،
فوقى نفسك بنفسه ، وصلاتك بصلاته ، فتشكر له ، على ذلك ، ولا
حول ولا قوة إلا بالله .

أقول : لا يخفى على العاقل ، أنّ من وضع امام صلاته بهذا
الموضع ، وعامله ، معاملة السّفير الوافد المتكلّم عنه ،
مع الله بذل له كل الدنيا وروحه ويرى ذلك قليلاً في جنب
الله جلّ جلاله فضلاً عن الصّفاء والوفاء . . .

الفهرس

المؤلف في سطور	٥
في ذكر بعض اسرار الطهارة	٧
في الاشارة الى ما يلزم على العاقل من التفكير	٩
في التخلي في آدابها الظاهرية	١١
الفصل الثاني : في عبره بالخصوص	١٣
في الوضوء وبعض آدابها الظاهرية	٢٩
في السواك وفضلها وفوائدها وكيفيةها وأوقاتها	٣٢
في التوبة من الذنوب	٤٣
فصل : في الغسل	٧١
فصل : في الحمام	٧٣
فصل : في التنوير	٧٥
فصل : في تقليم الاظفار	٧٦
فصل : في اخذ الشارب واعفاء اللحي	٧٦
فصل : في العطر	٧٧
فصل : في التيمم	٧٨
فصل : في اللباس	٧٩

٨٨	فصل : في الاوقات
٩٠	فصل : في الاهتمام بالاقوات الشريفة
٩٦	فصل : في آداب العبد يوم العيد
١١٢	فصل : في المكان
١١٩	في الصلاة وفيه فصول في معنى الصلوة
١٢٢	في الآيات الدالة على ان المراد من الصلوة ليست مجرد الاعمال الظاهرية
١٢٤	في بعض ما روي من صلاة المعصومين «ع» في الحقائق
١٢٦	في الاحوال التي يكمل بها الصلاة
١٣٢	فصل : في الاستقبال
١٣٥	فصل : في لزوم الخوف وفضيلته
١٤٨	فصل : في علاج الخوف
١٥٢	فصل : في الخوف عن سور الخاتمة
١٥٨	فصل : في الرجاء وحقيقته
١٦٣	فصل : في اسباب الرجاء
١٧٠	فصل : في القيام
١٧١	فصل : في النية
١٨١	فصل : في الأذان والاقامة
٢٠٣	في التكبير
٢١٥	في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم
٢٢٦	في تفسير : الحمد لله
٢٣١	في تفسير : رب العالمين
٢٣٩	في تفسير : الرحمن الرحيم
٢٣٩	في تفسير : مالك يوم الدين
٢٤٤	في تفسير : اياك نعبد واياك نستعين
٢٤٩	في تفسير اهدنا الصراط المستقيم
٢٥٥	في تفسير صراط الذين انعمت عليهم

٢٥٦	في تفسير غير المغضوب عليهم ولا الضالين
٢٥٨	في تفسير قل هو الله أحد
٢٥٩	في تفسير الله الصمد لم يلد ولم يولد
٢٦٠	في تفسير ولم يكن له كفواً أحد
٢٨١	فصل في التعقيب
٢٩٢	في صلاة الليل